جامعة الزاوية

إدارة الدراسات العليا والتدريب

كليـــــــــــــــــــــــــــة الآداب

قســـــم اللغة العربية وآدابها / شعبة الأدبيّات

النصح والإرشاد في شعر يوسف العظم

دراسة وصفية تحليلية

إعــداد الطالبة: مصطفى سعد المرغني سعد

إشراف الدكتور: علي محمد كريدغ

الدرجة العلمية: أستاذ

(2022/2021م)

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الإجازة الدقيقة الدكتوراه بتاريخ 2022/07/20م

الموافق 21/ ذو الحجة/ 1443هـ قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب جامعة الزاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبْ ﴾

سورة هود الأية 88

المقدّمـــــــــــــــــة

الحمـد لله رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام علـى أشـرف الخلـق أجمعـين ، نبيّنـا محمـد عليه أفضل صلاةٍ وأزكى تسليم .

أمّا بعـــــدُ :

فـإنّ كـل الصـفات الحميـدة التـي جـاءت بصـفة الإلـزام عليهـا فـي الكتـاب العزيـز، وحـثّ عليهـا رسـولنا الكـريم ﷺ ، لابـد أن تُغْـرَسَ فـي نفـوس الناشـئة وتُسْـقَى بمـاء النصـح والإرشـاد حتـى تـؤتي ثمارهـا، فينـتج عـن تلـك البـذرة، الفضـيلة وحـب الخيـر والعلـم النـافع للـدين والـوطن، وعلـى هـذا النحـو، فقـد كـان السـلف الصـالح يتعلّمـون وينهلـون مـن كـل مـا مـن شـأنه أن يغـرسَ فـي نفوسـهم تلـك الصـفات النبيلـة، فكانـت الغايـة مـن النصـح والإرشـاد، ترسـيخ مبـدأ اسـتنهاض الهمـم علـى أمـرٍ مـا، يرضـاه الله تعـالى وتستحسـنه الـنفس، ولـم يقتصـر هـذا الأمـر علـى الخطـب المنبريـة أو الرسـائل النثريـة أو المقـالات ، بـل تعـداه إلـى الشـعر ، بـالرغم مـن أن خصائصـه ليسـت ثابتـة، وإنّمـا هـي متغيـرة تبعـاً لتغيّـر مظـاهر الحيـاة علـى اخـتلاف مجالاتهـا الاجتماعيـة والثقافيـة والسياسـية، إذ لـم يعـد الشـاعر العربـي المعاصـر يكتـف بالحـديث عـن القضـايا الذاتيـة، وإنّمـا تعـدّى ذلـك إلـى القضـايا الموضـوعية التـي تتعلّـق بـالمجتمع، مسـتعيناً علـى ذلـك بظـواهر أسـلوبية وأسـاليب بلاغيـة غـدت ظـاهرةً بـارزةً فـي الـنص الأدبـي مـن خـلال الشـواهد الشـعرية التـي تحصـل بهـا الفائـدة وتكشـف عـن الدلالة البنائية والنفسيّة .

ويمثّـل الشـعر الـذي يتغنـى بـالوطن الفلسـطيني، مكانـةً هامّـة فـي مسـيرة الشـعر العربـي المعاصـر عمومـاً والمُقَـاوِم منـه علـى وجـه الخصـوص، ولعـلّ مـن أبـرز عوامـل الإبـداع فـي هـذا الجانـب تعـود إلـى المأسـاة التـي تعيشـها فلسـطين ، حيـث شـكّلتْ ولا تـزال المـادّة التـي يسـتوحي منهـا الشـعراء مواضـيعهم الشـعرية، ومـن بـين الشـعراء البـارزين فـي هـذا الغـرض، الشـاعر يوسـف العظـم الـذي كانـت مسـيرته مقترنـة بالشـعر ، فشـعره حافـلٌ بهمـوم الأمـة ، يفـرح لنجاحاتهـا ويأسـى لإخفاقاتهـا ، بـل أن شـعره مغمـوس بهمـوم الإسـلام أينمـا كـان ، وقـد خـصّ فلسـطين باهتمـام عظـيم ومسـجدها الأقصـى باهتمـام خـاص حتـي سُـمّيَ بشـاعر الأقصـى، فاختـار الباحـث الجانـب الـذي غلـب علـى شـعره، وهـو الخـاص

بالنصح والإرشاد ، وفي مضمونه استنهاضٌ للهمم وغرس لحبّ الوطن في النفوس والذود عنه بالغالي والنفيس، فكان عنوان الأطروحة :

(النصح والإرشاد في شعر يوسف العظم ، دراسة وصفية تحليلية)

أسباب اختيار الموضوع :

1 ــ النصح : غرض شعري هدفه التوجيه السديد الذي يوجه الأجيال الصاعدة ويحفظ كرامة الإنسان، وقد انتبه قليلٌ من الشعراء لهذا الأمر فنال حظّه الأوفر من الاهتمام في الدراسات البحثية كغيره من الأغراض الأخرى، فرأى الباحث أن دراسة هذا الجانب تظهر من خلاله ظواهر أسلوبية شائعة مثل: الصّورة الشعرية، والرمز، والتناص، والأساليب الإنشائية، وغير ذلك من المواضيع التي يتم التركيز عليها في الدراسات الحديثة .

2 ــ يوسف العظم : من المعاصرين وفي شعره النصح والإرشاد ، لذا يمكن معرفة المزيد عن هذا الغرض وتأكيد ذلك في شعره ،لا سيّما وأن جلّ شعره إلا ما ندر بما يخص القضية الفلسطينية ؛ فهو شاهدٌ بنفسه على المعاناة عبر الاحداث المتلاحقة في فلسطين ، فوقع الاختيار على هذا الجانب من شعره الذي يجسّدُ سمةً بارزةً في نتاجه الشعري .

إشكاليـــــــة البحـــــث :

تتحدد في النقاط التالية :

1 ــ الوصول إلى سمات الجمال وصدق العاطفة وقوة الأداء عند الشاعر ، حيث يتطلب تحليلاً دقيقاً وقراءة معمّقة .

2 ــ تكمن الإشكالية في استعراض ألوان شعره لا سيّما مجال النصح ، ومن خلال ذلك تتفرع بعض تساؤلات البحث كما يلي :

1 ــ هل يتقارب غرض النصح والإرشاد في الشعر العربي القديم والحديث ؟ وما مضمون شعر النصح عند يوسف العظم ؟ وما دور الشاعر في تطوير هذا الجانب ؟.

2 ـــ ما دوافع شعر النصح عند الشاعر ؟ وهل يؤثر النصح والإرشاد في سلوك المجتمع ؟ وهل تختلف بيئة المتلقي بين عصري التقليد والحداثة ؟ .

أهـــــداف البحـــث :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي :

1 ـــ هدف عام وهو: حفظ التراث العربي ونقله للأجيال اللاحقة، وذلك برسم صورة العصر الحديث من خلال شعر يوسف العظم عند استعراض نماذج شعرية من أعماله .

2 ـــ هدف خاص وهو: الاطلاع على نتاج الشاعر ، وخصوصاً الجانب المخصص لهذه الدراسة وهو النصح والإرشاد ، ومن خلال ذلك يتضح مدى تفوقه أو قصوره في هذا الجانب.

3 ـــ هدف خاص أيضًا : إن الأدب هو الصورة الصادقة لحياة الشعوب و الأمم، وفيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرّست بها عبر أمدٍ بعيد من حضارتها، ومن هذا المنطلق ستتضح الصورة الأدبية لنتاج الشاعر، ومدى إمكانية استغلالها في ترسيخ الأدب العربي .

أهميـــــــة الموضـــــوع :

1 ـــ إثراء المكتبة العربية ، بالبحث في أوجهٍ شعرية نادرة عند شعراء القديم والحديث ؛ لتكون موضوعات للدراسة والنقد ، وهذا الموضوع كما يبدو من خلال البحث والتنقيب لمْ يُدْرسْ بشكلٍ كافٍ ، لذا ينبغي طرحه للدراسة من جديد .

2 ـــ غرض النصح فيه توجيه للأجيال اللاحقة من خلال نصوص الشاعر ، وفي هذه الدراسة إحياءٌ للتّراث، وإبراز لجانبٍ من الأدب العربي في العصر الحديث .

3 ـــ لا شكّ أن دراسة نصوص الشاعر من جوانب لغوية وأدبية ، تُمكّنُ الباحثَ والمتلقي من التّعمّق والتأمل في أسرار اللغة وتميّزها .

حـــدود البحـــــث :

يتحدد إطار تحرّك البحث في حدود دراسة الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم كما يلي :

أ ـــ الحـــدود الزمانيـــة :

وتعني زمن نتاج الشاعر العظم، وهو العصر الحديث والمعاصر (1931م ــ 2007 م) وقد كانت في نصوصه إطلالة على الزمن القديم، ثم كان للباحث الاستشهاد ببعض الأبيات الشعرية من مختلف العصور .

ب ـــ الحدود المكـــانية :

يتّسع مكان البحث ليشمل جانباً من الإبداع في المشرق العربي، وتحديداً (الأردن) موطن الشاعر، لكن الأثر الأدبي يشمل الوطن العربي كلّه ، وبخاصة التركيز على القضية الأم (فلسطين)، بل إن شعره يتعدّى ذلك، فهو يوجه خطابه للأجيال العربية والإسلامية عموماً، وستكون الدراسة وفق المقاييس الأدبية المتعارف عليها.

الدراســـات الســـابقة :

لا يمكن ادّعاء السبق في البحث في مجال الشعر العربي ، فقد قدّم كثيرٌ من الباحثين أعمالاً جليلة في مختلف الأغراض ، ومع وجودِ ذلك كلّهِ ، فإن الدارس وجد مجالاً يضع فيه لبنةً قد تُسْهم في جانب من جوانب التكميل ، ومن خلال الدراسات الاستطلاعية حول الموضوع ، لم يتم العثور على دراسة علمية تناولت الموضوع طبقاً للصورة الموسومة له هنا ، أما الدراسات أو الكتب التي تم الاطلاع عليها ولها علاقة بالشاعر فكانت كما يلي :

1 ـــ المضمون الإسلامي في شعر يوسف العظم ، عمر العيسو، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 24 / 9 / 2020 ، وقد تحدث (العيسو) عن الأثر الإسلامي لدى هذا الشاعر ، حيث أشار إلى مواضع الأخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وذلك لمقصد سليم وهو توجيه الجيل المسلم الجديد إلى آثار الإسلام الخالدة ، ويرى الباحث أن هذا الموضوع جدير بالمتابعة ؛ لما فيه من قيمٍ نبيلة .

2 ـــ دراسة نقدية بعنوان : يوسف العظم شاعراً ، محمد الحمايدة ، صدر ضمن سلسلة كتاب الشهر (جريدة الدستور) التي تصدر عن وزارة الثقافة ، الأردن ، 9 / 1 / 2006 م ، فذكر أهم المبادي الإسلامية التي حرص عليها في شعره ، ودعوته إلى بر الوالدين والرفق بهما متكئا على كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ، وهذا الاسلوب من أساليب الترغيب والترهيب كان في معظم الأبيات ، وهو أسلوب تربوي إسلامي .

3 ـــ يوسف العظم شاعر القدس ، زكي الشيخ عثمان كتانة ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ط 1 ، 1407 هـ ، 1987 م ، وقد خصص (كتانة) بحثه عن الشعر الوطني عند العظم ، وبشكلٍ خاص عن شعره الذي تميّز به عن غيره من الشعراء بخصوص القدس العربية ، ويرى الباحث أن هذا الموضوع مهمٌّ في الأدب العربي الحديث من حيث توجيه الدارسين والباحثين إلى العناية بأمورٍ تخصّ أوطانهم .

المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة :

استمدت هذه الدراسة مادّتها الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر موضوع الدراسة، يوسف العظم، دار الضّياء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2002م، والتي احتوت على تسعة دواوين مجتمعة ، ترتيبها حسب ورودها في الأعمال كالتّالي :

1 ـــ ديوان : (في رحاب الأقصى) ص 9.

2 ـــ ديوان : (عرائس الضّياء) ص 111.

3 ـــ ديوان : (قناديل في عتمة الضّحى) ص 153.

4 ـــ ديوان : (الفتية الأبابيل) ص 197.

5 ـــ ديوان : (لو أسلمت المعلّقات) ص 237.

6 ـــ ديوان : (قبلَ الرّحيل) 285.

7 ـــ ديوان : (على خطا حسّان) 329.

8 ــ ديوان : (أناشيد وأغاريد للجيل المسلم) 375.

9 ــ ديوان : (قطوفٌ دانية) 399.

ثم من جملة غير يسيرة من المصادر والمراجع ، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم برواية حفص والحديث النبوي الشريف ، ثم معاجم اللغة مثل: لسان العرب ، وتاج العروس وكتب الأدب الأخرى المتعلقة بالبحث مثل : البلاغة العربية ، والإيضاح في علوم البلاغة ، ومجموعة من الدواوين الشعرية لبعض الشعراء ممن تم الاستشهاد بشعرهم ، وكذلك بعض الرسائل العلمية والمجلات ، وقد تمت الإشارة إليها وترتيبها بالترتيب الألفبائي في ثبت المصادر والمراجع .

هيكلية البحث وتقسيماته :

تمّ تقسيم متن البحث إلى خمسة فصول ، ومقدمة ومهاد نظري وخاتمة على النحو التالي :

1 ــ المقدّمـــــة :

وتمت فيها الإشارة إلى أهمية موضوع البحث وتقسيماته ومنهج الدراسة وغير ذلك من الأمور المتعارف عليها في البحوث العلمية فيما يتعلق بالمقدمة .

2 ــ مهـــاد نظـــــري:

المبحث الأول : تعريف النصح والإرشاد في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : التعريف بالشاعر وثقافته العامة .

3. الفصل الأول : (مرجعيّات النصح عند الشّاعر) .

المبحث الأول : القرآن الكريم.

المبحث الثاني : السّنة النبوية المطهّرة .

المبحث الثالث : تأثّره بالشعراء السّابقين .

المبحث الرابع : تجربة الشاعر الذاتية .

4 ــ الفصل الثاني : (اتجاهات النصح عند الشاعر) .

المبحث الأول : الترغيب والبشارة

المبحث الثاني : الترهيـــــب

المبحث الثالــث : العتـــــــاب .

5 ـــ الفصل الثالث : أســـاليـــــــب النصـــــــح .

المبحـــث الأول : أساليب خبريــة .

المبحث الثاني : أساليب إنشائية .

المبحث الثالث : القصـــــــص .

المبحث الرابع : الحـــــــــــوار.

6 ـــ الفصل الرابع : النصح وآليـــات التلقـي (مراعـــاة أحـــوال المتلقـي).

المبحـث الاول : الخطـاب الموجه للرجـــال .

المبحث الثانـــي : الخطـاب الموجـــه للمـــرأة .

المبحث الثالـث : الخطاب الموجه للأطفـــال .

المبحـث الرابـــع : الخطـاب الموجـه للخـارجين عـن العـرف الاجتمـاعي (السـفهاء والمنافقون)

المبحث الأول : العاطفـــــــة .

المبحث الثاني : الألفـــــــاظ .

المبحث الثالــث : الأساليـــــب .

المبحث الرابـــع : الصـــــــورة .

المبحث الخامس : الإيقـــاع الشعـــري

7 ـــ الفصـــل الخامـــس : (الـــدراســـة الفنيـــة) .

8 ـــ الخـــــــــاتمة :

وفيهـا عـرض لأبـرز النتـائج والتوصـيّات، وقـد ذُيِّـلَ البحـث بقائمـة المصـادر والمراجـع ، ثـم فهرس الموضوعات .

منهـــج الدراســـــــــة :

يـأتي المـنهج الوصـفي فـي مقدمـة المنـاهج التـي اعتمـدت عليهـا الدراسـة ؛ لأنـه يقـوم بوصـف الظـواهر الاجتماعيـة فيتتبـع الجزئيـات ، ويسـاعد فـي الكشـف عـن جماليـات الـنص وإزاحـة الغمـوض ــ إن وُجـدَ ــ ثـم المـنهج التحليلـي مـن أجـل الوصـول إلـى مـنهج متكامـل يجمـع بـين النظريـة والتطبيـق لدراسـة وصـفية تحليليـة ؛ تضـمن تحقيـق نتـائج أكثـر واقعيـة تصـبُّ فـي خدمـة الدراسـة وأهـدافها ، وكـان للمـنهج التـاريخي حضـوره ؛ لأن الشـاعر التفـت إلـى أحـداثٍ تاريخيـة كثيـرة فـي نصوصـه وقـد حـاول الباحـث جهـده أن يجمـع بين هذه العناصر بما يحقق ما ورد في عنوانها من وصف وتحليلٍ.

وإذ يقـدم الباحـثُ هـذا العمـل ، فإنـه يرجـو مـن الله العلـي القـدير أن ينفـعَ بـه ويَسُـدَّ فراغـاً فـي المكتبـة العربيـة كغيـره مـن الجهـود المبذولـة مـن أجـل الإسـهام فـي خدمـة لغـة القرآن الكريم ، وأن يعُمّ نَفعَهُ طلّاب العلم والمهتمين بالأدب إنّه على ذلك قدير .

وأخيـــــــراً : لا يـزعم الباحـث أن هـذا العمـل سـيجيئ كـاملاً خاليـاً مـن الهفـوات والـنقص ، فالكمـالُ مـن صـفات الخـالق جـلّ وعـلا، والمخلـوقُ مجبـولٌ علـى الـنقص والزلـل ، فأسـألُ اللهَ التوفيــق والسّداد .

مهاد نظري

لا يعيش المسلم فردًا وحيدًا ، بل يعيش وسط هذا المجتمع الذي يموج بأصناف العقائد والمعتقدات والأخلاق ، منها ما يوافق الإسلام ، ومنها ما ينحرف يميناً أو يسارًا ولا يمتّ إلى صحيح المعتقد بصلة ، ووسط هذا المجتمع الخليط يحتاج المرء إلى الناصح الدّاعي إلى الخير وإلى سواء السبيل ، وإنّ من أعظم القربات بين المسلمين ومن أهمّها بعد التوحيد ، محاولة رصّ صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم وإشاعة الألفة والمحبّة بينهم ، وهذا لا يتأتّى إلّا بعد مراعاة ما أوجبه الله تعالى من حقوق الأخوة ، التي لا تدوم إلا بالمحبّة والحب المتبادل والتّضحية .

اهتم الإسلام بالنصيحة اهتماماً كبيراً ، ووضع لها آداباً وأخلاقاً حتى تؤدّي ثمارها وتبلغ مراميها وتحقق أهدافها ، فالنصيحة لها هدفها ودورها في حماية المجتمع المسلم، قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونْ** ﴾ [1] .

أما النّصيحة لله فهي : وصفه بما هو له أهل ، والخضوع له ظاهراً وباطناً ، والرغبة في محبة طاعته والرهبة من مساخطه بترك معصيته والجهاد في رد العاصين إليه ، وهي من أوليات حق المسلم على أخيه المسلم ، قال ﷺ : " حق المسلم على المسلم ست : " قيل : ما هن يا رسول الله ؟ وذكر منها : " إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له " [2] ، والنصح له : يتمحور حول أمره بكل ما فيه الخير والصلاح ، ونهيه عما فيه من الشر والفساد بما يتفق مع أوامر ونواهي الشريعة .

---

[1] سورة آل عمران : الآية 104 .

[2] صحيح مسلم ، تح محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت، باب حق المسلم للمسلم رد السلام ، ج 4 ، ص 1705 ، حديث رقم 2162 .

وللنصيحة آداب وشروط ، ومـن **شروطها** ما يلـي :

1ـ أن تكـون خالصـة لوجـه الله ، وهـدفها إرضـاء الله وحـده ، ولا يجـب علـى الناصـح أن يعتمد في نصحه على شبهة أو ظن لم يثبت له دليل .

2ـ أن يبتعـد الناصـح عـن أسـلوب التجـريح أو التأنيـب أو إيـذاء المشـاعر، مـع ضـرورة اختيار الزمان والمكان المناسبين .

3ـ أن يشـتمل النصـح علـى تقـديم الحكمـة والموعظـة الحسـنة بأسـلوب يتماشـى وحالـة المنصوح [1] .

وأمـــّا آدابـــها :

1ـ عـدم التكبـر فـي قبـول النصـيحة ، وعـدم الإصـرار علـى الباطـل وتقبـل وجهـة نظـر الآخرين بكل رحابة صدر .

2ـ أخـذ النصـح مـن المسـلم العاقـل ، وشـكره ترغيبـاً وتشـجيعاً لـه فـي الاسـتمرار فـي رأب الصدع وإصلاح ذات البين

3ـ التطبيـق العملـي للنصـيحة بـأن يبـدأ الناصـح بنفسـه ، فيلتـزم بالفضـائل ويبتعـد عـن الرذائل [2] .

ومما يعبّـر عـن أدب النصـيحة مـا يمكـن أن يسـمّى (بالحكمـة العلميـة) ، وهـي ذلـك القسـم مـن الحكمـة الـذي يتـدبر الواقـع الاجتمـاعي وفـق مقـاييس الخيـر والمحـك الأخلاقـي، والحكمـة العلميـة تهـدف إلـى الخيـر وتنـاقش العقـل والعمـل ولهـذا فهـي تطبيقيـة هـدفها تحقيـق السـعادة فـي الـدنيا والآخـرة ، عـن طريـق رسـم المثاليـات الواجـب اتباعهـا فـي مجـال الشـئون الفرديـة والعائليـة والاجتماعيـة ، كمـا تهـدف إلـى إصـلاح الفاسـد وإبعاد الخلل [3].

4ـ إلا تكون النصيحة في العلن .

---

[1] إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة . بيروت ، د ت ، ج 2 ، ص 335 .

[2] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 338 .

[3] ينظر : ميادين العقل العلمي في الفلسفة الإسلامية الموسعة (الأخلاق والتربية ـ السياسة والاقتصاد ـ التدبير والأدبية) ، علي زيعور ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1421 هـ ، 2001 م ص 48 ـ 49 .

المبحث الأول :

تعريف النصح والإرشاد لغة واصطلاحًا .

االنصـــح :

مـن خـلال الاطـلاع علـى المعنـى اللغـوي للكلمـة فـي المعـاجم اللغويـة ، يلاحـظ أن المعنى فيها غير مختلف ، فتم الاقتصار على أخذ المعنى من بعضٍ منها :

" نصـح الشـيء نصـحاً ونصـوحاً ونصـاحة : خلـص ، يقـال: نصـح المعـدن ويقـال : نصـحت توبتـه أي خلصـت مـن شـوائب العـزم علـى الرجـوع ، ونصـح قلبـه : خـلا مـن الغش ، ونصـح لفـلان الـود ونصـح لـه المشورة ، وفلانـاً أرشده إلـى مـا فيـه صـلاحه ، فهـو ناصـحٌ وهـي ناصـحة والجمـع نصـحُ ونصّـاح وهـو نصـيح والجمـع نصـحاء ، واستنصـح : قبـل النصـيحة ، استنصـحه :عـدّه نصـيحاً ، والنّاصـح الخـالص مـن كـل شـيء ، والنصـح إخلاص المشورة " [1].

الإرشـــــاد :

رشـــد : راشـد اهتـدى فهـو راشـد ، وأرشـده هـداه ودلـه يقـال أرشـده الله وأرشـده إلـى الأمـر وله وعليه . [2]

قـال تعـالى:**﴿ وَقَـال الَّـذِي آمَـنَ يَـا قَـوْمِ اتَّبِعُـونِ أَهْـدِكُمْ سَـبِيلَ الرَّشَـاد﴾** [3]. أي أدلّكـم علـى طريـق الصّـواب والسّـداد الـذي يوصـل إلـى المقصـود ، وفـي ذلـك تعـريض بـأن مـا عليـه فرعـون وقومـه هـو سـبيل الغـي والضـلال ، وفـي الحـديث قولـه ﷺ: " علـيكم بسـنتي وسـنّة الخلفـاء الراشـدين " [4] فوصـف الخلفـاء بالراشـدين ، توكيـد مـن النبـي الكـريم ﷺ بأنهم سيسيرون من بعده على ما يرضي الله ورسوله .

قال الشاعر (ابن عدِّيم الرَّواحي) [5] :

إلهـيَ أرشدني برشدك واهدني ** لمـا فيه إسعـــادي ومحو شقاوتـــي

---

[1] المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات ، مكتبة الشروق الدولية ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، ط 4 ، 1425هـ ، 2004 م ، ص 926 مادة (ن ص ح) .

[2] المصدر السابق ، ج 1 ، ص 346 .

[3] سورة غافر : الآية 38 .

[4] موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس ، تح ، تقي الدين الندوي ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1413 هـ ، 1991 م ، ج 3 ، ص 80 .

[5] هو : ناصر بن سالم بن عديّم الرّواحي ، ت 1334 هـ ، من فضلاء الإباضية في زنجبار مولده ووفاته فيها ، له ديوان شعر طبع بعضه وأكثره مخطوط ، وديوان السنة المحمدية ، وله رسالة في التوحيد ...ينظر : الأعلام خير ، الدين الزركلي ، ج 7 ، ص 348 .

إلهـــيَ أرشـــدني المراشـــد كلّها ** لأمـر معـــادي أو لأمر معيشتي

هـذه الأبيـات مـن قصـيدة مطوّلـة اعتمـد فيهـا الشـاعر تكـرّار أسـلوب النـداء فـي كل بيت من أبياتها ، مع ربطه بلفظ (الرشاد) المرادف للنصح والهداية .

النصح والإرشاد :

لا يكـاد يختلـف المفهـوم العـام للنصـح والإرشـاد قـديماً وحـديثاً ، فهـو مسـتخلص مـن المعنـى اللغـوي القـديم ، وبـذلك يكـون معنـاه " هـو مخاطبـة الوجـدان ، وإثـارة العواطـف مـن خـلال التنـوع البيـاني الـذي يعـرض المعنـى بأسـاليب مختلفـة ، مـع التـذكير بالعواقـب والترغيب في الفعل والتخويف من الترك " [1] .

ومعلـوم أن التناصـح مـن أعظـم مقوّمـات الأخـوّة فـي الله ، ولأهميـة ذلـك أكّـد رسـول الله ﷺ أنّ النصـيحة مـن الـدين ، وأشـار إلـى تلـك المكانـة السّـامية لأثـر النصـيحة فـي النفـوس فقـال : " الـدين النصـيحة ، قيـل: لمـن يـا رسـول الله ؟ قـال: لله ولكتابـه ولرسـوله ولأئمـة المسلمين وعامّتهم " [2] .

أمّـا النصـيحة لله : فـالمعنى منصـرفٌ إلـى الإيمـان بـه ، ونفـي الشّـريك عنـه ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلّها وتنزيهه عن جميع النّقائص .

وأمّـا لكتابـه : فالتصـديق الجـازم بأنـه كـلام الله الحـق الـذي لا يأتيـه الباطـل ، ولا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر الخلق على الإتيان بمثله .

وأمـا النصـيحة لرسـوله : فالتصـديق برسـالته واتبـاع سـنّته وتطبيقهـا قـولاً وعمـلاً وتقريـراً ، وأئمـة المسـلمين هـم ولاة الأمـر مـن الأمـراء والقضـاة وكـل مـن لـه ولايـة ، فمـن الواجب معاونتهم على الحق وترك الخروج عليهم .

---

[1] السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي : أحمد محمد غلوش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 1424هـ ، 2003 م ، ج 1 ، ص 432 .

[2] صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، تح ، محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة بيروت ، ط 1 ، 1422هـ ، ج 1 ، ص 21 .

وأمّـا لعامـة المسـلمين : فتكـون بكـف الأذى عـنهم ودفـع الضـرر وجلـب المنفعـة لهـم بالنصـح والتوجيـه والإرشـاد إلـى مـا فيـه صـلاح المجتمـع ، مـن أجـل ذلـك كانـت النّصيحة من العناصر الأساسية في الإسلام . [1]

والقـرآن الكـريم يسـجل خيـرَ مثـالٍ، فالطريقـة والأسـلوب اللّـذين عرضـهما خليـل الله (إبـراهيم عليـه السـلام) فـي تعاملـه مـع أبيـه يشـدّان الانتبـاه ؛ لمـا فـي ذلـك مـن التـدرّج فـي النصـح والإرشـاد والتلطّـف مـع أبيـه مـع قـوّة الحجـة فـي الحِجـاج ، قـال تعـالى: ﴿ **وَاذْكُـرْ فِـي الْكِتـابِ إِبْـراهِيمَ إِنَّـهُ كـانَ صِـدِّيقاً نَبِيًّـا* إِذْ قـالَ لِأَبِيـهِ يـا أَبَـتِ لِـمَ تَعْبُـدُ مـا لا يَسْـمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِـي عَنْـكَ شَـيْئاً* يـا أَبَـتِ إِنِّـي قَـدْ جـاءَنِي مِـنَ الْعِلْـمِ مـا لَـمْ يَاتِـكَ فَـاتَّبِعْنِي أَهْـدِكَ صِـراطاً سَـوِيًّا* يـا أَبَـتِ لا تَعْبُـدِ الشَّـيْطانَ إِنَّ الشَّـيْطانَ كـانَ لِلـرَّحْمنِ عَصِـيًّا* يـا أَبَـتِ إِنِّـي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا** ﴾ [2] .

فـالملاحظ علـى أسـلوبه عليـه السـلام ، أنـه أسـلوبٌ قرآنـي اتبـع فيـه فـن الاسـتدراج بغـرض التوصـل إلـى مـراده مـن المخاطـب مـن حيـث لا يشـعر ، فـأراد أن ينصـح أبـاه ويعظـه فيمـا كـان فيـه مـن الخطـأ العظـيم والارتكـاب الشّـنيع " فرتّـب الكـلام معـه فـي أحسـن اتسـاق وانتظـام ، مـع اسـتعمال المجاملـة واللطـف واللـين ، والأدب الجميـل ، والخلق الحسن ، مستنصحاً في ذلك بنصيحة ربه جلَّ وعلا " [3] .

فكانت نصيحته على أربع مراحل :

قـال : يـا أبـتِ ولـم يقـل : يـا أبـي ، وهـذا مـن أسـلوب الملاطفـة ؛ لأن الإلـه الـذي كـان يعبـده أبـوه ، إنمـا هـو جمـاد لا ينفـع ولا يضـر، ثـمّ ثنّـى بدعوتـه إلـى الحـق وبـيّن لـه أنـه بالهدايـة ينجـو مـن عـذاب الله وينـعم برحمتـه ، وفـي الرابعـة : خوّفـه مـن سـوء العاقبـة فـي قولـه :

---

[1] ينظر : مسند الإمام الشافعي ، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله ، يوسف الزواوي الحسيني ، وعزت العطار الحسيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1370 هـ ، 1951 م ، ، ج 1 ، ص 12 .

[2] سورة مريم : الآية 41 ـ 45 .

[3] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور ، نصر الله بن محمد ...ابن الأثير ت 637 هـ ، تح ، مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي ، 1375 هـ ، ج 1 ، ص 235 .

﴿ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ ، فجمع بين الخوف والمسّ والعذاب ، وقد صدّر نصائحه بقوله (يا أبتِ) توسّلاً واستعطافاً وتذللّاً لأبيه ، إلا أنّ أباه لم يستجبْ لدعوته [1] .

نشأ النصح والإرشاد من واقع المجتمع على مر العصور ، مع ملاحظة كل ما يدور من مآخذ في مجال السلطة والمال ، والعادات والتقاليد الاجتماعية ، والمثل العليا والقيم الدّينية السّامية ، ورصدها من خلال التعايش في كل مجتمع ، حيث كان الشعراء قديماً ناقدين لما يدور حولهم بشكلٍ عفويٍ على السّجية .

وهناك شعراء تطرّقوا في أشعارهم إلى مجال النصح ، فصار شعرهم يمثّل حكمًا وأمثالًا ومواعظ يُنْصحُ بالأخذ بها ، فكانت النتيجة فنوناً وموضوعات جديدة ، فهم كانوا جزءًا من مجتمع ليس بجديد ، لكنه متواصل ومترابط ، ذو قيمٍ وعادات وتقاليد وأعراف إمّا دينية أو قومية ، فهم متفقون على أسس وقوانين لا يختلف فيها اثنان ، لذا يكون التوجيه والنصح والإرشاد مقبولاً لدى المجتمع ، فكانت الدعوة إلى مكارم الأخلاق والخوف من الله ونبذ العنف ومخاطبة الناس بالترغيب والترهيب .

إن ما يعنينا في هذا الجانب من الدراسة ، هو مجال النصح والإرشاد ، وهو الذي يمثل الحكمة المستخلصة من تجارب الشعراء وأفكارهم ، التي اكتسبوها من تجاربهم الإنسانية، وذا فإن الشاعر يستخدم خبرته وفطنته ويوظّفها توظيفًا صحيحًا ، ومن هنا يصبح لهذا الفن مجموعة من المعاني منها:

الوصيّة : التي تعني " النصح والإرشاد والتوجيه بقولٍ بليغٍ ومؤثّر، وتتضمّن حثًّاً على سلوكٍ نافع ورغبة في رفعة شأنه وجلب الخير له، وعادة ما تكون صادرة من ذوي الخبرة الطويلة وأهل العقل والفكر السّليم " [2] تتبعه مودّةٌ صادقة وحبٌّ عميق .

---

[1] ينظر : المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب ، ابن الأثير ، تح ، محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ، بيروت ، 1995 م ، ج 2 ، ص 66 .

[2] في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي مكتبة دار التراث ، القاهرة ، طبعة دار التراث الأول ، 1412 هـ ، 1991 م ، ص 268 .

النصح والإرشاد اصطلاحاً :

لا يكاد يختلف مفهوم النصح والإرشاد قديماً وحديثاً ، فهو مستخلص من المعنى اللغوي القديم وبذلك يكون معناه : " هو مخاطبة الوجدان ، وإثارة العواطف من خلال التنوع البياني الذي يعرض المعنى بأساليب مختلفة مع التذكير بالعواقب والترغيب في الفعل والتخويف من الترك " [1] .

ويخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى النصح والإرشاد ، وكذلك النهي عن معناه الحقيقي ، فيحمل بين ثناياه النصح والإرشاد أيضاً ، فيكون الأمر طلباً لا تكليفاً ولا إلزام فيه ، وإنّما هو طلب يحمل في طيّاته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد ، نصح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) ابنه بعشر نصائح أو أكثر مجتمعة في قصيدة شعرية ، قال في مطلعها :

تـردَّ رداء الصّبر عند النّوائبِ ** تنـل من جميل الصبر حُسنَ العواقبِ

وكن صاحباً للحلم في كلَ مشهد ** فما الحلم إلا خير خدنٍ وصاحبِ

وآخر بيت فيها :

وكن حافظاً للوالدين وناصراً ** لجارك ذي التّقوى وأهل التقاربِ [2].

يتّضح من ذلك أن النصح تم توجيهه دون تكليف ولا إلزام ، وإنّما كان طلباً يحمل بين طيّاته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد ، وكان بمنهج الله الذي ارتضاه لعباده في قوله تعالى : **﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنْ ﴾** [3]، والملاحظ أن شعر النصح والإرشاد سار في نفس النسق قديماً وحديثاً، بحيث التزم فيه الشعراء بإسداء النصح الذي يذم الدنيا ، واضطراب أحوالها وسرعة تقلّبها ، مقابل التطلع إلى الآخرة ، وعمل الصالحات أملاً في اكتساب الأجر .

---

[1] السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي : ص 432 .

[2] ديوان أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب ، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له د ، عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، د ت ، ص 30 .

[3] سورة النحل : الآية 125 .

المبحث الثاني :

التعريف بالشاعر وثقافته العامة

مولده :

هـو يوسـف هويمـل محمـد شـحادة العظـم وُلِـد فـي مدينـة (مَعَـان) جنـوب الأردن عام 1931 م ، فارتبط بمدينته وأحبّها وأنشد فيها شعراً ، [1] ومن ذلك قوله :

مَـــعَان إن بحثـتَ عـــن المعاني ** لقيـت به المـــروءةَ والتّفانـــــي
بفتح الميـم تُـنْطـــقُ لا بضـــــمٍ ** وتعنِـي منـــزلاً بـــــالخيـــر دانِ
لـــــــه بابٌ يرحّـــبُ كـــلّ حينٍ ** بمـن قـــدموا ويُفْـتـــح في ثَوانِ
ويلقـــى الضيـــف في بشرٍ ويُضْفـِـي ** على الملهوف ثوبـــاً من أمـــانِ [2] .

قـد اسـتوحى معـاني القـرآن ومضـامينه فـي شـعره ، واسـتلهم معانيـه مـن آيـات قرآنيـة معبـرة عـن مواقـف مختلفـة ، أراد مـن خلالهـا إبـراز جانـب الـدعوة إلـى الله ، مـن منطلـق الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر الـذي يـرتبط بالنصـح والإرشـاد ، فهـو موجـهٌ وناصحٌ انطلق من آدابٍ إسلامية في شعره .

نشأته :

- كانـت نشـأته دينيـة ، وحفـظ القـرآن الكـريم منـذ الصـغر فـي أسـرة متواضـعة تتحـدر أصولها من الشام .
- سـافر إلـى بغـداد ودرس فـي كليـة الشـريعة ، ثـم انتقـل إلـى القـاهرة لمواصـلة الدراسـة وتخـرّج مـن كليـة اللغـة العربيـة بالجامعـة الأزهريـة عـام 1953 م ، مـن معهـد التربية للمعلّمين بجامعة عين شمس عام 1954 م [3] .
- امتدحـه زكـي الشـيخ حسـين عثمـان كتَّانـة مؤلـف كتـاب (يوسـف العظـم شـاعر القـدس) فقـال : " هـو شـاعر آمـن ، لـم يتبعـه غـاوٍ ، ولـم يهـم فـي وادٍ ، ولـم يقـل مـا لا يفعـل ، أو لِأقُـل : مـا لـم يَقُـل ، وشـعره شـاهدٌ بـذلك ، مـا مـن بيـت لـه قـرأت

---

[1] ينظر : معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين : أحمد الجدع ، القسم 920 التراجم والأعلام ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2015 م ، ج 2 ، ص 1378 ـ 1379

(2) الأعمال الشعرية الكاملة : ، يوسف العظم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، 2002 م ، ص 347 .

[3] معجم الأدباء الاسلاميين : أحمد الجدع ، ص 1378.

فلمست أنه من الإيمان في حلٍ ، فقد وجدته وضع جنّات ربّه هدفاً يسعى لينالـه " [1] .

حيـــاتـهُ العمليـة :

- كتب في كثيرٍ من الصحف الأردنية والعربية ، وله مؤلّفات عديدة مطبوعة ومخطوطة ، وكان معلّماً للثّقافة الإسلامية والأدب العربي في الكلّية العلمية الإسلامية في (عمّان) منذ عام 1954 م وحتى العام 1962 م .
- كان رئيساً لتحرير صحيفة الكفاح العربي الإسلامي (عمّان) 1956 م ـــ 1958 م ، كما أصدر سلسلة (مع الجيل المسلم) وهي مجموعة من الكتب التربوية وتعدُّ منهاجاً متكاملاً للطفل المسلم .
- أسس مع فريق من المربين والمثقّفين مدارس الأقصى بالأردن واشتغل مديراً عاماً لها ، كما عمل عضواً في مجلس النّوّاب الأردني عن محافظة (معان) عام 1963 م ، 1967 م ، وعضواً ومقرّراً للجنة التربية والتعليم وعضواً في لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأردني [2] .
- زار عدداً من الأقطار العربية بدعوة من مؤسّساتها وهيئاتها الثقافية والفكرية وألقى عدداً من المحاضرات في معظم أقطار الوطن العربي وأوروبا ، واطلع على أنظمتها التربوية ومنها اتحاد الطلبة المسلمين ورابطة الشباب المسلم في أمريكا واتحاد الجمعيات الإسلامية فيها .
- كان عضواً في مجلس أمناء كلية المجمع الإسلامي ، وكلية العلوم الإسلامية ، والمعهد الشرعي في (عمّان) ، كما أسهم في وضع مناهج التربية الإسلامية ومناهج خاصة برياض الأطفال ، وشارك في أكثر من أربعمائة محاضرة وندوة ولقاء على مدى اثنين وثلاثين عاماً ، مع مشاركاته في المؤتمرات العامة والمتخصصة في البلاد العربية وأوروبا [3] .
- من الصحف الأردنية التي كتب فيها : (الجزيرة ــ الصباح ــ المساء ــ الأفق الجديد ــ المدار ــ الرأي ــ الدستور ــ صوت الشعب ...)، وكذلك في عدد من الصحف العربية في مصر والعراق وسوريه والكويت وتونس ولبنان والمغرب ،

---

[1] يوسف العظم شاعر القدس : زكي الشيخ حسين عثمان كتّانة ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1407هـ ، 1987 م ، ص 13 .

[2] ينظر : يوسف العظم شاعر القدس ، 19 .

[3] المصدر السابق: ص 20 .

وقدّم عبر الإذاعة الأردنية برامج كثيرة (تمثيليات ــ أحاديث ــ ندوات فكرية وتربوية ـ لقاءات أدبية) بتكليف من التلفزيون الأردني [1] .

إنتاجه الأدبي :

كان الشاعر واحداً من الشعراء في ساحات الأدب العربي، من خلال ما قدمه من أعمال شعرية مختلفة تعددت موضوعاتها ، ومن تلك الأعمال ما يلي :

1.الإيمان وأثره في نهضة الشّعوب ،الدار السعودية للنشر والتوزيع .

2ــ المنهزمون(دراسة هامة للفكر المتخلّف والحضارة العربية) دار الضياء للنشر 2008 م .

3. رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط3 ، 1985 م .

4 ـ قواعد وأحكام في الاقتصاد الإسلامي، دار العصر الحديث ،1983 م .

5 ــ رباعيّات من فلسطين ، الدار العربية للعلوم والنشر والتوزيع، 1983 م.

6 ــ العلم والإيمان للجيل المسلم . يا أيّها الإنسان (مجموعة قصصيّة) المكتب الإسلامي للطباعة والنشرين 1985م.

وغير ذلك من عناوين أشار إليها زكي الشيخ كتّانة في كتابه يوسف العظم شاعر القدس ، مثل: مشاهد وآيات للجيل المسلم ــ السلام الهزيل ــ رباعيات من فلسطين ــ ألوان من حضارة الإيمان للجيل المسلم . [2]

بالإضافة إلى الأعمال الشعرية الكاملة موضوع الدراسة، التي تضمّنت تسعة دواوين عناوينها على النحو التالي : في رحاب الأقصى ص 90 ــ عرائس الضّياء ص 111ــ قناديل في عتمة الضحى ص 153 ــ الفتية الأبابيل ص 197 ــ لو أسلمت المعلّقات ص 237 ــ قبل الرّحيل ص 285 ــ على خطا حسّان ص 329 ــ أناشيد وأغاريد للجيل المسلم ص 375 ــ قطوفٌ دانية كما تضمنت الأعمال الكاملة سبع

---

[1] ينظر : معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين : أحمد الجدع ، ص 1378 ـ 1379 .

[2] ينظر : يوسف العظم شاعر القدس : ص 21 .

قصائد بعدد المعلقات السبع في الجاهلية سماها (الشقيقة المسلمة) وكل شقيقة ما يقابلها من المعلقات الجاهلية [1] .

موضوعات شعره :

كتب الشاعر في الأغراض التقليدية المعروفة عبر العصور ، مع حرصه الشديد على الالتزام بما يتماشى مع الأخلاق الاسلامية الحميدة والمثل العليا ، فإلى جانب الوصف والهجاء والمديح والفخر والرثاء ، فقد عارض المعلقات الجاهلية برؤية إسلامية ، وتغنى بأطفال الحجارة فقال :

حجارة القدس نيرانٌ وسجّيلٌ ** وفتية القدس أطيارٌ أبابيلُ

وساحة المسجد الأقصى تموج بهم ** ومنطق القدس آيات وتنزيلُ

والقدس أرض العلى والمجد مذ عُرِفَت ** يبارك القدسَ قرآنٌ وإنجيلُ[2].

خلاصة القول : أنه من شعراء الأردن ، كان أديباً ، وشاعراً أراد من خلال شعره ابراز جانب الدعوة إلى الله ، من منطلق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي يرتبط بالنصح و الإرشاد .، وقد وجه خطابه إلى مختلف الشرائح من ابناء أمته العربية .

- توفى رحمه الله يوم الأحد في 15 رجب 1428هـ، ــ 2007 م .[3] ، رحل عن الدنيا وخلّف نتاجاً تتدارسه الأجيال اللاحقة من بعده .

---

[1] يوسف العظم شاعر القدس : ص 21 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان (الفتية الأبابيل) ص 205 .

[3] ينظر : معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين : أحمد الجدع ، ص 1378 ـ 1379 .

الفصل الأول :

مرجعيات النصح عند الشاعر .

المبحث الأول : القرآن الكريم

المبحث الثاني : السنّة النبوية المطهّرة

المبحث الثالث : تأثـره بالشعراء

المبحث الرابع : تجربة الشاعر الذاتية

المبحث الأول

القرآن الكريم :

هو الدستور الخالد للبشرية جمعاء ، فهو كتاب تشريعٍ وحياة من جهة ، وكتاب أدبٍ وبلاغة معجزة من جهةٍ أخرى، يفيض على ألسنة الشعراء والأدباء يكتبون شعرهم وقصصهم على تفاوت بينهم في طرق التمثيل والأداء ، وهو صانع التراث ومصدره الأكبر، قال جلّ في علاه:﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [1] وتأتي السنّة النبوية المطهرة في المرتبة الثانية ؛ لتؤكد على قطعية الثبوت لهذا المصدر الديني الخالد .

ولعلّ غنى القرآن الكريم واحتوائه على كثيرٍ من القصص والشخصيات والرموز الدالة، من أهم مميزاته التي جعلت الأنظار مشدودة إليه ، وكذلك صلاحيته لكلَ زمان ومكان، كانت من ضمن الأسباب التي دفعت الشعراء والباحثين والأدباء وغيرهم أن يممّوا وجوههم شطره ؛ ليغترفوا من منهله الغزير الذي لا ينضب ، وها هو الشاعر موضوع الدراسة كغيره من الشعراء يستهلّ بعض نصوصه بآيات قرآنية ، أو يلجأ إلى تضمين مفردات واردة في آيات القرآن ، أو يعمد إلى الإفادة من تركيبٍ بعينه من خلال عبارةٍ ينقلها ، أو توظيفٍ لمعنى سيق في كلام الله ــ عزّ وجل ــ في محكم التنزيل عن طريق الاقتباس .

والاقتباس يعني : الأخذ ، أي أن يضمّن الشاعر أو الكاتب في كلامه لفظاً من آية من آيات الكتاب العزيز أو من حديث المصطفى ﷺ ؛ لتزيين الكلام وتحسين النظم وتقوية المعنى [2] .

وإيماناً منه بأن الكتاب العزيز يكتنز قصص السابقين ، وما فيه من معانٍ وايحاءات كثيرة وعجائب أعيت فرسان البلاغة وأساطين الكلام ، فإنّه " لا خلاف

---

[1] سورة الأنعام : الآية 34 .

[2] ينظر : روضة الفصاحة ، أبوبكر الرازي ، تح خالد الجبر ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2005 م ، ص 72 .

بين أهل العلم أن التعبير القرآني فريدُ في عُلوّه وسموّه ، وأنّه أعلى كلام وأرفعه " [1]، فهو مصدرٌ أدبيٌ يتسنّم ذروة البيان والفصاحة ، وقد أشار في شعره إلى الأجسام النورانية (الملائكة ، والجنة والنار والقيامة ، وبعض الأنبياء عليهم السلام والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وبعض الشخصيات البارزة في تاريخ الجهاد الإسلامي قديماً وحديثاً ، مع ذكر أسماء لمعارك كانت ولا تزال راسخة في ذاكرة التاريخ ، كما عرّج على ذكر أماكن شرّفها الله تعالى في كتابه العزيز ، وهذا يدل على أنه استفاد من القصص القرآني . ويمكن تقسيم تعامله مع النصوص القرآنية وفق النسق التالي :

أولاً : اقتباس ألفاظ قرآنية :

يتحدّث الشّاعر بأسلوب ميسّر ، وغير مباشر فيه دعوة الى الرجوع الى الله بالتذلل إليه سبحانه مأخوذ من ألفاظ القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله :

وهل أظلُّ على عهدي أوثقه ** لا أبتغي غير جناتٍ ورضوانِ

أسترحم اللّه في أفياء كعبته ** وأسأل الله في سرِّي وإعلاني

بأن يمُنَّ على نفسي بهدأتها ** حتى أُمَزقَ بالطاعات عصياني[2].

يفهم من سياق الأبيات أنه أخذ الألفاظ (العهد ــ جنّات ــ رضوان ــ سرّي وإعلاني ــ يمنَّ) من عدة آيات قرآنية منها قوله عز وجل : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** ﴾ [3] ، وفي ذلك بيان لمسؤولية وأهمية العهد وتوجيه للحرص على الوفاء به ، وتلك هي شيمة المسلم الحقيقي ، وقوله تعالى: ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا** ﴾ [4] ، ولا شك أن الذي يفي بوعده إنما يبتغي الجنة التي وعدها الله سبحانه لعباده المتقين ، قال تعالى :

---

[1] التعبير القرآني : فاضل السمرّائي ، دار عمّان الأردن ، ط 6 ، 2009 م ، ص 7 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 148.

[3] سورة الاسراء : الآية 34 .

[4] سورة مريم : الآية 61 .

﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [1]، والشاعر يدعو ربّه في المكان المستجاب فيه الدعاء بإذن الله ، ويتضح ذلك من إشارته للكعبة الشريفة ، وفي ذلك دعوة إلى التضرع إلى الله بالدعاء واللجوء إليه .

وفي قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ** ﴾[2] ، وهذه تناسب دعاءه في السر والعلن ، أما قوله عز وجل : ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [3] ، فالله سبحانه وتعالى قد منّ على عباده بأن هداهم للإيمان .

ومن خلال ذلك يوجه الشاعر النصح والإرشاد بطريقة غير مباشرة ، وبدأ حديثه باستفهام مفاده مصارعة هوى النفس ورغباتها ؛ للحفاظ على عهده مع الله أملاً في مرضاته ورغبة في جنّاته ، ثم يبين مكان الدعاء المستجاب وهو يناجي ربّه سراً وجهراً في رحاب البيت الحرام وسط جموع الحجيج الآتية من كل بقاع الأرض، كلٌ سائلٌ ربّه أن يتجاوز عن سيئاته ، فيفتح بذلك صفحة جديدة يهجر من خلالها المعاصي والآثام، وفي هذا توجيه غير مباشر أيضا ؛لآداء ركن مفروض يُتمّم الأركان التي بُنِي عليها الإسلام قال تعالى : ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ [4] ، وبما أنه في الغالب يصعب غلبة النفس وتطويعها وابعادها عن إغواء الشيطان ، فإن الشاعر كان رجاؤه من خالقه أن يمنَّ عليه بالهداية.

وفي قوله : (حتى أمزِّقَ بالطاعات) دلالة على الاستمرار في الطلب والرجاء فاستعمل الاستعارة في لفظ التمزيق لقوة بلاغته وجرسه القوي الموحي في مدلوله على شدّة قوة الفعل وكناية على إقراره الجازم بأن محو المعاصي لا يتأتى إلا بالطاعة ، ومن نص (سبحان الله) يوجه الشاعر النصح والإرشاد مستلهماً اللفظ القرآني فيقول :

لا تقنطوا من رحمة ** الرحمن أو مرضاتهِ

---

[1] سورة غافر : الآية 60 .

[2] سورة التوبة : الآية 37 .

[3] سورة القصص : الآية 5 .

[4] سورة الحج : الآية 27 .

فالحلـــــم والغفـــــران ** والرضــوان بعــض صفاتـــهِ

لا تمتـــروا فـــي ذاتــه ** فالـــــروح مـــــن آياتـــــهِ

والصـــــدر في أنفاســـــه ** والقلـــب فـــي خفقاتـــــهِ [1] .

الأبيـات تحمـل فـي طياتهـا الـوعظ بشـكل واضـح ، فمـن صـفات الله جـل وعـلا ، (الرحمـة ، والغفـران ، والحلـم ...) ، ومـن أولـى العقائـد هـي: توحيـد الله سـبحانه فـي ذاتـه وصـفاته ، وهـي عقيـدة تتعمـق فـي الـنفس المسـلمة التـي تسـتلهم مـن الفطـرة ومـن الثقافـة الدينيـة السـائدة التـي يشـكل القـرآن الكـريم والحـديث النبـوي الشـريف منبعهـا الأول ، وكثيـر من الشعراء استلهموا الصفات الإلهية من القرآن الكريم.

وفـي أبيـات الشـاعر ثـلاث صـفات للمـولى عـز وجـل أجـاد فـي انتقائهـا ؛ لتتفـق فـي مضـمونها أو تناسـب التوجيـه الـذي يسـعى مـن خلالـه ، وهـو توجيـه النصـح والإرشـاد وكـان مرجعـه فـي ذلـك القـرآن الكـريم ، ففـي البيـت الأول بـدأ بأسـلوب النهـي مـن خـلال اللفـظ القرآنـي (لا تقنطـوا) مـن الآيـة الكريمـة ﴿ **قُـلْ يَاعِبَـادِيَ الَّـذِينَ أَسْـرَفُوا عَلَـى أَنْفُسِـهِمْ لَا تَقْنَطُـوا مِـنْ رَحْمَـةِ اللَّـهِ** ﴾ [2] ، نهـيٌ أتبعـه بالترغيـب فـي الرحمـة التـي اتصـف بهـا الرحمن والتي تُغْني عن رحمة المخلوق ، وهـو القائـل :

إن أغلـق النـاسُ بـابَ الـودِّ وانصرفُـوا ** فعنـد ربـِكَ بـابٌ ليـس ينغلـقُ [3].

وفـي ذلـك نظـرة تفاؤليـة للحيـاة ، فرحمـة الله وسـعت كـل شـيء ، ومرضـاة الله تعـالى التـي أشـار إليهـا تقتضـي أن يقـدم الإنسـان مـا يرضـي خالقـه حتـى يفـوز بمرتبـة الرضـوان وهذا يتفق مـع الآيـة الكريمـة فـي قولـه تعـالى : ﴿ **رَضِـيَ اللَّـهُ عَـنْهُمْ وَرَضُـوا عَنْـهُ ذَلِـكَ لِمَـنْ خَشِـيَ رَبَّـهُ** ﴾ [4] ، ثـم ذكـر بعـض الصـفات الإلهيـة فـي البيـت الثـاني ، ولهـذه الصـفات أصـول قرآنيـة ، والموصـوف إذا كـان مثبتـاً تزيـده الصـفة دقـةً ووضـوحاً ، أمّـا إذا كـان محـذوفاً تقـوم الصـفة مقامـه ، وهـذا كثيـر فـي القـرآن الكـريم ، وقـد يـذكر الشـعراء صـفة الله

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 57 .

[2] سورة الزمر : الآية 53 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 66 .

[4] سورة البينة : الآية 8 .

دون ذكـر لفـظ الجلالــة ؛ لأن هـذه الصـفات ملازمــة لذاتــه تعــالى ، فأصـبحت الصـفات مغنية عن موصوفها .

وفــي البيــت الثالــث بــدأ بــالنهي أيضــاً بــاللفظ (لا تمتــروا) الــذي تكــرر فــي ســتة أبيـات وهـو مـأخوذ مـن قولـهِ تعـالى : ﴿ **ذَلِـكَ عِيسَـى ابْـنُ مَـرْيَمَ قَـوْلَ الْحَـقِّ الَّـذِي فِيـهِ يَمْتَـرُونَ** ﴾[1]، أي يشـكّكون ، وفـي الشـطر الثـاني مـن البيـت استحضـر لفـظ (الـروح) وهـي آيـة مـن آيـات الله فـي خلقـه ، مسـتلهماً ذلـك مـن قولـه عـزّ وجـل : ﴿ **وَيَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الـرُّوحِ قُـلِ الـرُّوحُ مِـنْ أَمْـرِ رَبِّـي وَمَـا أُوتِيـتُمْ مِـنَ الْعِلْـمِ إِلَّا قَلِـيلًا** ﴾[2] ،أي لا يعلـم كنهها إلا خالقها .

أمّـا البيـت الرابـع ، ففيـه إشـارة إلـى أحـد أنـواع الـنفس كمـا وردت فـي محكـم التنزيـل ومنهـا (الأمّـارة بالسـوء) ومـا يعتريهـا مـن اضـطراب ، إذ فـي الغالـب تحيـد بصـاحبها عـن جـادة الطريـق ، قـال تعـالى علـى لسـان امـرأة العزيـز : ﴿ **وَمـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ الـنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[3] .

وخفقـات القلـب آيـة أخـرى ، فالإيمـان الحقيقـي يجلـب الطمأنينـة والسـكينة للقلـب ، قـال تعـالى : ﴿ **الَّـذِينَ آمَنُـوا وَتَطْمَـئِنُّ قُلُـوبُهُمْ بِـذِكْرِ اللَّـهِ أَلَا بِـذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَـئِنُّ الْقُلُـوبُ** ﴾[4]، اسـتوحى الشـاعر تعبيـره مـن القـرآن ناصـحاً ومرشـداً للعمـوم وحـرص علـى أن يكـون للإنسـان قلـب بـه يفقـه ويعقـل ويبصـر ويطمـئن بـذكر الله ، فالمعـاني القرآنيـة وجـدت طريقهـا إلـى الشـاعر وخلقـت تآلفـاً بينهمـا ، وكـان مـن مظـاهر هـذه الألفـة كثـرة المفردات القرآنية في شعره ؛ لأنه تشبّع بها منذ طفولته ودرج على تأملها في حياته .

وفـي سـياق القصـيدة ذاتهـا يصـور إبـداع الخـالق فـي مخلوقاتـه مـن إنسـان وحيـوان وجمـاد وانتظـام سـير هـذا الكـون بنظامـه البـديع فـي إشـارة إلـى التأمـل والتفكـر ، وفـي الأبيـات التاليـة يسـتمد الشـاعر الألفـاظ (تمتـروا ــ آياتـه ــ الصـبح ــ الليـل ــ الشـمس ــ

---

[1] سورة مريم : الآية 34 .

[2] سورة الإسراء : الآية 85 .

[3] سورة يوسف : الآية 53 .

[4] سورة الرعد : الآية 28 .

النجم ــ الرعد ــ البرق ــ الطير) من آيات قرآنية عديدة ، وبعض الأبيات تشير إلى أكثر من آية وسيتم الاكتفاء بكتابة آية واحدة للاختصار ، قال الشاعر:

لا تمتـــروا فـــي ذاتـــهِ ** فالكـــونُ مـــن آياتـــهِ

والصبـــح فـــي إشراقـــه ** والليـــلُ فـــي ظلماتـــهِ

والشمـــسُ في كبـــدِ السمـاء ** والنجـــم فـــي رعشاتـــه

والرعـــد دوّى قاصفـــاً ** والبـــرق فـــي ومضاتـــه [1].

(لا تمتروا) أي لا تشككوا " فالنهي مستعمل في حقيقته من طلب الكف عن المرية في إنزال القرآن " [2].

الصبح في إشراقه هو : صورة بداية النهار والله تعالى يقول : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾[3] تبيان لقدرة الله في تعاقب الليل والنهار ، وقوله : الشمس في كبد السماء، هو استحضار للآية الكريمة : ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ [4] .

أما البيت الرابع فذكر(الرعد) المسبح لخالقه وهو آية عجيبة من آيات الله في الكون ، قال عز وجل : ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ** ﴾[5].
ثم ذكر(البرق) الوارد في سورة (البقرة) وهو نعمة من نعم الله ينتج عنه نزول الغيث، وكل الألفاظ التي أخذها من القرآن هي موجودة في غير الآيات المذكورة تدعو إلى التأمل والتدبر في عظمة الله ، وقد تم الاقتصار على ذكر آية أو آيتين على سبيل الاستشهاد وذلك للاختصار ، ثم يتابع النص فيقول :

والطيـــر حلّـــق فـــي الفضـــاء ** أو نـــام فـــي وكناتـــه

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 56 ـ 57 .

[2] التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، ت 1393هـ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 م ، ج 21 ، ص 236 .

[3] سورة التكوير : الآية 17 ، 18 .

[4] سورة يس : الآية 12 .

[5] سورة الرعد : الآية 13 .

نـــاءت بـــه السحـــب الثقـــال ** فســـال فـــي ربواتـــه

والبحـــر يهـــدرُ صاخبـــــا ** والفلـــك فـــي جنباتـــهِ [1].

وحركـة الطيـر فـي الفضـاء اسـتوحاها مـن قولـه تعـالى : ﴿ **أَوَلَـمْ يَـرَوْا إِلَـى الطَّيْـرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ** ﴾ [2] .

والسـحب الثقـال هـي رمـز الخيـر الـوفير ، بمـا تجـود بـه مـن الغيـث الـذي ينشـر الخيـرات ويعـم بـه الرخـاء ، قـال تعـالى : ﴿ **وَاللَّـهُ الَّـذِي أَرْسَـلَ الرِّيَـاحَ فَتُثِيـرُ سَـحَابًا فَسُـقْنَاهُ إِلَـى بَلَـدٍ مَيِّـتٍ فَأَحْيَيْنَـا بِـهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَـا كَـذَلِكَ النُّشُـورُ** ﴾ [3] ، وتكرر اللفظ فـي قولـه عـز وجـل ﴿ **هُـوَ الَّـذِي يُـرِيكُمُ الْبَـرْقَ خَوْفًـا وَطَمَعًـا وَيُنْشِـئُ السَّـحَابَ الثِّقَالَ** ﴾ [4].

وفـي البيـت الأخيـر استحضـر صـورة البحـر والفلـك مـن قولـه تعـالى : ﴿ **هُـوَ الَّـذِي يُسَـيِّرُكُمْ فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ**﴾ [5] ، وقولـه جـلّ وعـلا : ﴿ **وَعَلَيْهَـا وَعَلَـى الْفُلْـكِ تُحْمَلُـون**﴾ [6] ، وغيـر ذلـك مـن النصـوص الشـعرية التـي وردت فيهـا ألفـاظ مـأخوذة من كتاب الله كما هي .

تعامـل الشـاعر مـع التصـوير القرآنـي بمقابلـة تصـوير مشـهد علاقتـه بالخـالق ؛ ليزيـد الصـورة وضـوحاً ؛ فتتمثـل فـي ذهـن المتلقـي وتسـتقر فـي ذاكرتـه بسـرعة فـي كثيـرٍ مـن الأحيان ، وذلك بحسب ثقافة المتلقي ومدى حفظه للنصوص القرآنية .

ومن نص (أكرم بربي مجيرا) قال :

فـــإذا اســـودّت الوجـــوه إلهـــي ** جئـــت أرجـــوك نظـــرةً وســـرورا

وإذا صـــــارت الجحيـــم مقامـــاً ** رحـــتُ أرجـــوك جنّـــةً وحريـــرا

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 57 .

[2] سورة الملك : الآية 19.

[3] سورة فاطر : الآية 9 .

[4] سورة الرعد : الآية 12 .

[5] سورة يونس : الآية 22 .

[6] سورة المؤمنون : الآية 22 .

وإذا غصّـــت الحلـــوقُ بكـــأسٍ ** ربَّ هَـبْ لـي من الشّـــراب طهـــورا [1].

الألفـاظ : (وجـوه ــ اسـودت ــ نظـرة وسـرورا ــ الجحـيم ــ مقامـاً ــ جنـة وحريـرا ــ الشـراب الطهـور) هـي مـن ألفـاظ القـرآن الكـريم ، وفـي البيـت الأول صـورتان متقابلتـان بمعنيين مختلفين :

الأولـى تبـين حـال الـذين اسـودت وجـوههم كمـا فـي قولـه تعـالى : ﴿ **فَأَمَّـا الَّـذِينَ اسْـوَدَّتْ وُجُـوهُهُمْ أَكَفَـرْتُمْ بَعْـدَ إِيمَـانِكُمْ فَـذُوقُوا الْعَـذَابَ بِمَـا كُنْـتُمْ تَكْفُـرُونَ** ﴾ [2] ، تقابلهـا صـورة الـذين ابيضـت وجـوههم وكـان جـزاؤهم الخلـود فـي رحمـة الله ، وهـذا مـا دلـت عليـه الآيـة التـي بعـدها : ﴿ **وَأَمَّـا الَّـذِينَ ابْيَضَّـتْ وُجُـوهُهُمْ فَفِـي رَحْمَـةِ اللَّـهِ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُونَ** ﴾ [3] .

وفـي البيـت الـذي يليـه صـورتان: صـارت الجحـيم مقامـا ، وهـذا مسـتمدٌ مـن قولـه عـز وجـل : ﴿ **إِنَّهَـا سَـاءَتْ مُسْـتَقَرًّا وَمُقَامًـا** ﴾ [4] ، وقولـه : جنـة وحريـرا وشـراباً طهـورا مـن قولـه تعـالى : ﴿ **وَجَـزَاهُمْ بِمـا صَـبَرُوا جَنَّـةً وَحَرِيـراً** ﴾ ــ ﴿**وَسَـقَاهُمْ رَبُّهُـمْ شَـرَابًا طَهُـورً** ﴾ [5] .

أما البيت الأخير فأخذه من قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ** ﴾ [6]

والشـاعر إذ يُضـمِّنُ شـعره بمثـل هـذه الألفـاظ ، فإنـه يـدعو إلـى استحضـار الشـعور النفسي بعظمة الآيات الواردة في محكم التنزيل ؛ للعظة والاعتبار والدرس المستفاد .

ثانيـاً :الأخـذ بـالمعنى : أي أن الشـاعر يسـتخلص المعنـى مـن خـلال آيـات القـرآن الكريم ، ومن ذلك نص (سبحان الله) إذ يقول :

عَمَـرَ الوجـــــودَ بفضلـــــــهِ ** وأفـــــــاض مـــن خيراتـــهِ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 59 .
[2] سورة آل عمران : الآية 106 .
[3] السورة نفسها : الآية 107 .
[4] سورة الفرقان : الآية 66 .
[5] سورة الإنسان : الآية 12 ، 21 .
[6] سورة الواقعة : الآية 53 .

مـــن نبعـــهِ الثّـــرّ الغزيـــر ** يجـــود مـــــن بركاتـــــــهِ

والعلـــمُ في العصـــرِ الحديـــثِ ** يضُـــــــجُّ فـــي آلاتـــــهِ

كـــم مجهـــرٍ قُرِبَـــتْ لنـــــا ** الأبعـــــاد فـــي عدساتـــه

أو هاتـــــفٍ حمـــلَ الحديـــثَ ** مُـــــــردّداً همساتـــــــــه [1] .

فـي البيتـين : الأول والثـاني استحضـار لقولـه تعـالى : ﴿ **وَإِنْ تَعُـدُّوا نِعْمَـةَ اللَّـهِ لَا تُحْصُـوهَا إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَظَلُـومٌ كَفَّـارٌ** ﴾ [2] ، والمعنـى نفسـه ورد كثيـراً فـي محكـم التنزيـل وفـي بقيـة الأبيـات هـي دلالـة علـى التقـدم العلمـي المسـتمر ، وهنـاك آيـات قرآنيـة دالـة علـى هذا المعنى منها : قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [3] .

ومن قصيدة (أكرم بربي مجيرا) قوله :

أَلـــنْ ربِّ مـــا قسا مـــن فـــــؤادي ** فلقـاءُ الحبيـب يشفـي الصّـــدورَا

فـي حمـى بيتـــك العتيـق تعالـــت ** تلبيـــاتٌ تعانـــقُ التكبيـــــرَا

إلهـــي يا مجيـــر الحيـــارى مـــن ** ضـــــلالٍ أكـــرم بربـــي مجيـــرا [4] .

ينـــاجي الشـــاعر ربّـــه ، ويـــدعوه فـــي خشـــوع وخضـــوع مســـتجيراً ومستشـــعراً الـــذل والانكسـار ، والإقـرار بسـمة العجـز والضّـعف أمـام خالقـه ، فهـو يتـألم مـن قسـوة فـؤاده ، ويتمنـى لقـاء الحبيـب المصـطفى ﷺ ؛ ليشـفي صـدره ويتصـور المشـهد فـي حمـى البيـت العتيـق ، حيـث تتعـالى أصـوات التلبيـة والتكبيـر وتصـدح الحنـاجر بـذكر الله تعـالى، تصـحبها دمـوع النـدم فـي مشـهدٍ مهيـب ، وهـو بـذلك يـدعو المتلقـي لأن يستشـعر معـاني الآيات القرآنية وأن يؤوب الغافل ويتوب العاصي ، فباب التوبة مفتوح .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 58 .

[2] سورة إبراهيم : الآية 34 .

[3] سورة الأسراء : الآية 85 .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 59 .

في البيت الأول أخذ المعنى من قوله تعالى : ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ [1] ، وفي ذلك استحضار لأمر الله لنبيه موسى وأخيه هارون عليهما وعلى رسولنا السلام ، عندما بلغ الظلم مداه من قِبل فرعون بقومه ، وقوله تعالى : ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا** ﴾ [2] ، فالآية الكريمة تناسب البيت الثاني في بيان مشهد الحجيج في صورة مهيبة ، بزيٍّ موحّد يناجون ربّاً واحداً بالذكر والتلبية ، وفي قوله : (يا مجير الحيارى) ، فالمعنى مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ [3] ، وفي ذلك توجيه لاستحضار معاني الآيات التي استقى منها الشاعر أبياته .

وفي نص آخر مطوّل (جريح في ليلة القدر) يتحسّر الشاعر على عدم إحيائه لليلة القدر بسبب وعكة صحية حالت دون مبتغاه ، فكتب النص فيه نصح وإرشاد واستنهاض للهمم وحث على الجهاد ، ويرى في إحياء هذه الليلة مناسبة لذلك ، ومن خلال قراءة النص تظهر صورة ، جليّة للمسلمين الأوائل الذين اتّبعوا ما عاهدوا الله عليه وتمسّكوا بدينهم وانتصروا له ، وفيها تلميح أو إشارة وتذكير للقوة بعد مجيء الإسلام وفي خلافة الصحابة بعد الرسولﷺ وبخاصة أثناء الفتوحات الاسلامية حرصاً على نشر الدين وتعاليمه .

وهذا ما أكّد عليه في قوله (كم عانقوا المجد والأكوان مصغيةٌ) ، فكان المسلمون مثالاً يحتذى به في الشجاعة والإقدام ، يقول في نصّه :

إن كانَ جسمي لمْ يُحْيِ شعائرهَا ** فالقلبُ رغْم جراحِ القلب أحْياها

يا أمة الفتحِ والأنفالِ[4] والهفي[5] ** قومي لتحيي مع الأيام ذكراها

---

[1] سورة طه : الآية 44 .

[2] سورة الحج : الآية 27 .

[3] سورة النمل : الآية 62 .

[4] الأنفال : الغنائم لأنها من فضل الله وعطائه ، الواحد : نفل ، وهو ما ينفله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه من المغنم ، الموسوعة القرآنية ، إبراهيم الابياري ، مؤسسة سجل العرب ، ط 1405 هـ ، ج 9 ، ص 547 .

[5] لهف : مشتقة من الهلع واللهف الاسى والحزن والغيظ وقيل الأسى على كل شئ يفوتك بعد ما تشرف عليه ، لسان العرب ، ج5 ، ص 4087 .

واستنهضي في حماها كل مكـرمة ** زانـت جبـاه الأولـى فـي الأرض مسراهـا

كم عانقوا المجـد والأكـوان مصغيـة ؟ ** إن رتّلــوا سورة الرحمـن أو طـــه [1].

استحضـر الشـاعر أسـماء أربـع سـورٍ مـن كتـاب الله (الفـتح ــ الأنفـال ــ الـرحمن ــ طـه) كمـا كـان للأسـلوب الإنشـائي حضـوره بـالأمر والنـداء والاسـتفهام والتعجـب ، وللبيـان أيضاً بالاستعارة والكناية والجناس .

وفـي الأبيـات التاليـة صـورتان متقابلتـان ، الأولـى تهـز المشـاعر وتحـرك الوجـدان وتـثلج الصـدور مـن خـلال الألفـاظ (قلـوبهم نبضـاً ــ سـواعدهم عزمـاً ــ سـيوفهم حزمـاً ــ مشـاعلهم هـدى ــ دمـاؤهم مسـكاً) فكـل تشـبيه يناسـب لفظـه وقـد أجـاد الشـاعر فـي ذلـك ، واللفـظ الأخيـر كنايـة عـن الشـهداء الـذين ارتـوت بـدمائهم سـاحات الـوغى ، قـال تعـالى : **﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّـذِينَ قُتِلُـوا فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ أَمْوَاتـاً بَـلْ أَحْيَـاءٌ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ يُرْزَقُـونَ ﴾** [2]. صـورة تظهـر فـي صـدر الأبيـات مشـرقة ومضـيئة فـي تـاريخ المسـلمين ، تكـرّر فيهـا الفعـل الماضـي (كـان) ؛ لزيـادة التأكيـد ومـا زاد الصـورة جمـالاً حضـور الفنـون البلاغيـة مـن الاسـتعارة والتشـبيه والمقابلـة ، وتقابلهـا صـورة أخـرى فـي عجـز الأبيـات ترسـم حالـة الضـعف والهـوان مـن خـلال الألفـاظ (مسـخنا ــ أمواهـا ــ كَـلَّ متناهـا ــ الكفـر تغشّـاها ــ الكفـر أعماهـا) وهـذا هـو المصـير الـذي آل إليـه حـال المسـلمين اليـوم ، والشـاعر إذ يبـيّن ذلـك ، فإنـه يسـتنهض الهمـم ويحفـز الجيـل للاقتـداء بالسـلف الصـالح فـي الشـجاعة والإقـدام وإكرام الضيف ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف ...

كــانت قلوبهم نبضاً يفيض تقـــى ** مـــا بالنا قـد مسخنا اليـوم أفواهـا

كـانت دماؤهم مسكـاً نتيـه بـــه ** واليـوم صـارت دمـاء القـوم أمـواهـا[3]

كانت سواعدهم عـزم الرجـال بها ** يا أمتي ... مـا لهـا قـد كـلَّ متناها

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 162 .

[2] سورة آل عمران : الآيـة 169 .

[3] أمواها : المفرد موه ، المعنى فيه أنه أرق حتي صار كالماء في رقته ، لسان العرب ، ج 2 ، ص 1160 .

كانـــت سيوفهـــم حزمـــاً ومرحمـــة ** واليـوم صارت رمـاح الكفـــر تغشاهـــا

كانـــت مشاعلهـــم للحائريـــن هـــدى ** واليـوم بطـش العدا والكفـر أعماهـــا[1].

وهـذه هـي الصـورة الثانيـة التـي أشـار إليهـا فـي عجـز الأبيـات ، ترسـم مسـخ الأفـواه ، كمـا صـارت الـدماء أمواهـاً والسـواعد الفتيـة كلّـت ، وطغـى علـى الأمـة بطـش الأعـداء واسـتفحل طغيـانهم بـأرض العـرب والمسـلمين ، ويسـتمر الـنص فـي صـورة تفاؤليـة مشـحونة بـالعواطف ، فهـو لـم يفقـد الأمـل ويـدعو إلـى الانتفاضـة والانطـلاق مـن بعـد السُّـبات وشـحذ الهمـم ، وتجديـد العهـد مـع الله تعـالى ؛ لإرجـاع هيبـة الأمـة ومكانتهـا السامية ، فقال :

يا أمتـي بـادري للخيـر وانتفضـي ** فـي ليلـةِ القـدر كيف اليـوم ننساهـا ؟

وجـدّدي العهـد للرّحمـن وانطلقـي ** واستلهمـي فـي رحـاب المصطفـى جاهـا[2] .

ثالثاً : القصة المرتبطة بالقرآن :

كلمـة (قصـة) كمـا يشـير أصـلها اللغـوي : أصـل صـحيح يـدل علـى تتبـع الشـئ ، ومـن ذلـك قـولهم : اقتصـت الأثـر ، إذا تتبعتـه [3] ، قـال تعـالى : ﴿ **قَـالَ ذَلِـكَ مَـا كُنَّـا نَبْـغِ فَارْتَـدَّا عَلَـى آثَارِهِمَـا قَصَصًـا** ﴾ [4] ، ولـذا فقـد ورد هـذا المعنـى صـراحة فـي القرآن الكـريم فـي قولـه عز وجل : ﴿ **وَ قَالَـتْ لِأُخْتِـهِ قُصِّـيهِ فَبَصُـرَتْ بِـهِ عَـنْ جُنُـبٍ وَهُـمْ لا**

---

[1] [2] الأعمال الكاملة : ص 162 .

[3] معجم مقاييس اللغة ، ج 5 ، ص 11 ، مادة (قص) .

[4] سورة الكهف : الآية 64 .

يَشْعُرُونَ ﴾ [1] ، في إشارة إلى طلب أمِّ موسى عليه السّلام من أخته تتبع أثره ، فإنّ ما ورد من أخبار الماضي في القرآن الكريم (بالقصص) ، كما في قوله تعالى :**﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾** [2] ؛ هو تأكيدٌ على ارتباطها الوثيق بواقع تاريخي ، سواء أكان قد عرفه الناس ، أم لم يعرفوه مجملاً كان أم مفصّلاً .

إن القصة القرآنية تبلغ أعلى درجات الصدق ، وهي تصور شخصيّاتها ، وتنقل حوادثهم ، وتعلن هواجسهم ، وتصف أحوالهم ، ولا عجب في ذلك ؛ لأنها صادرة عن الله سبحانه وتعالى ، كما أن للقرآن الكريم وقصصه تأثير نفسي لا ينجو منه قارئ ، إذ لا يمكن تجاوز ذلك الحضور الإلهي المهيب ، الذي يملأ جنبات النفس رغبة ورهبة يثير فيها انفعالات عاطفية تحرّك الوجدان وتسمو بالروح ، بالتصريح البيّن حيناً ، وبالتلميح الموحي حيناً آخر [3] .

ولعلّ من الظواهر البارزة في الشعر الحديث ، عودة شعرائه إلى التراث واستثمار رموزه ، وما ينتجه من تفجير لملكات اللغة في التعبير العميق والمكثّف والواعي عن التجربة الشعرية ، حتى تربط الحاضر بالماضي ويعيد تشكيله بما ينسجم ورؤية الشاعر وموقفه ، فالنص الشعري الحديث غدا بنية منفتحة متعددة الدلالات والمستويات والمحاور [4] .

---

[1] سورة القصص : الآية 11 .

[2] سورة يوسف : الآية 3 .

[3] ينظر : التصوير الفني في القرآن ، سيّد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط 8 ، 1983 م ، ص 17 (بتصرف) .

[4] ينظر: الشاعر والتراث : دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث : مدحت الجيار ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، د ت ، الإسكندرية ، ص 227 .

وإذا كانت العودة إلى التراث بمجمله تحقق للشاعر عمقاً في التعبير عن التجربة ؛ فإن في استلهام التراث الديني ما هو أبعد من ذلك وأعمق ، ذلك أن الديني يعني المقدس بحضوره وسطوته ومساحته الكبرى التي يحتلها في الذاكرة الجمعية للأمة وبخاصة الشعراء ، فهو بالنسبة لهم يمثل فرصة عظيمة لإثراء قولهم ورفد تجاربه من خلال ربطه بأصلٍ عظيم وجدرٍ عميق متصل ، فأخذوا يستثمرون معطياته الروحية والنفسية العظيمة أضافة إلى معطياته الرمزية والفنية الكبيرة [1] .

ومن نص (ليلة القدر) يقول :

في ليلةِ آياتِ القدرِ ** وسلام اللهِ إلى الفجرِ

نزل القرآن يشرّفه ** في أعظم أيام العمر [2].

في الأبيات السابقة دعوة إلى التماس فضل هذه الليلة المباركة ؛ لما فيها من مزيد الأجر والثواب ، وهي مناسبة عظيمة يترقبها كل مؤمن صادق ؛ لينال أجرها ، قال تعالى : ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾[3] .

وفي النص التالي (الصراع بين الحق والباطل) :

يسردُ الشاعر بالتفصيل المشهد القوي المؤثّر ، الذي انتصر فيه الحق انتصاراً رسم صورة مشرقة على صفحات التاريخ الإنساني .

---

[1] ينظر : الشاعر والتراث : مدحت الجيّار ، ص 227 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 338 .

[3] سورة القدر : الآية 3.

فقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام ؛ ليخلّص قومه من بطش فرعون و قومه ، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم فيقول :

في سورة القصص الغرّاء موعظة ** وفي تلاوتها هدي وتبيانُ

يختال فرعون مغروراً بزينته ** وقد بنى الصرح للمختال هامانُ

والسّاحرون تباروا في براعتهم ** يملي عليهم فنون السّحر شيطانُ

وكفُّ موسى بلا سحرٍ وشعوذةٍ ** ينساب فيها بحول اللّهِ ثعبان [1]

أورد القرآن الكريم هذه القصة في مواضع عديدة ، وعبر مشاهد توزّعت على عددٍ من السور القرآنية ، وكان المشهد الرّئيس من خلال النص هو المواجهة بين منطق الحق ودعاوي الاستعلاء والقوة والتّجبّر .

ويرى الباحث أن الشاعر تعامل مع شخصية (فرعون ، وهامان) على أنهما رمز السلطة الفردية والظلم السياسي والاجتماعي ، في المقابل ذكر سيدنا موسي عليه السلام ، الذي كان من الأنبياء الصالحين الذين يدعون إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو الذي يعنيه الشاعر في النص (الصراع بين الحق والباطل) ، كما أجاد في اختيار العنوان الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً ببنية النص ، ففي لفظ (الصراع) دلالة على الاستمرارية وانتصار الحق في النهاية ، والمقابلة بين اللفظين (الحق والباطل) اقتباس من قوله تعالى : **﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾** [2] وهذه استحضار لصورة الفتح المبين (فتح مكة) ، الذي سبقه مشهد انتصار الحق بين السحرة وفرعون من جهة ، ونبي الله موسى عليه السلام من جهة أخرى .

---

[1] الأعمال الكاملة : ص 326 .

[2] سورة الإسراء : الآية 81 .

إن استحضار مثل هذه القصة في الشعر العربي الحديث ، مرتبط أشد الارتباط بحاجة الشعراء إلى البحث عن رموز خاصة تميز تجاربهم عن تجارب نظرائهم الغربيين ، الذين اطلعوا على تجاربهم ضمن عملية مثاقفة واسعة قادتها الترجمات ، واستدعاء الرموز الدينية ـــ كرموز القصة وشخصياتها ـــ واتخاذها رموزاً وأقنعة في القصيدة لا تتيح فقط القدرة على تجاوز الذات والتحرر من قيدها ، بل تمنح الشاعر إمكانيات التعبير الحر والواعي عن التجربة ؛ حين يجعل الرمز أو القناع وسيلة يختفي خلفها الشاعر أو الكاتب ؛ ليأتي هذا التعبير أعظم تأثيراً وأكثر إقناعاً فنياً من خلال ما يعرف بالمعادل الموضوعي الذي يعد " الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في قالب فنّي " [1] ، ثم يستمر الشاعر في رسم الصورة فيقول :

ليلقفَ السّحْرَ مهزوماً يطارِدهُ ** وقد تبدّد ما للسحر سلطانُ

مُذْ كان ربُّك بالمرصادِ يرقبهم ** قد حلّ بالقوم تشريدٌ وخذلانُ

وكان ربُّك يرعى جُنْدَ دعوته ** والمستبدُّ لهُ خزيٌ وخسرانُ

ومالُ قارون نار في جوانحه ** ما عاد للمال تأثيرُ ولا شانُ

فأمرُ ربِّكَ حقٌ لا مردَّ لهُ ** وحكم ربك تنزيلُ وفرقانُ[2].

إنّ كل ما أتوا به من سحر ظلّ عاجزاً أمام قدرة الله الذي يتابع بعنايته وقدرته ، والملاحظ من خلال النص أن الشاعر يبعث برسالة مفادها أخذ العظة والعبرة بما كان في الأمم السّابقة ، وهذه القصّة مثالٌ يحتذى به عند ذوي الألباب .

---

[1] اليوت الشاعر الناقد : ف أ ماثيسن ، ترجمة ، إحسان عباس ، المطبعة العلوية ، بيروت ، 1965 م ، ص 132 .

[2] الأعمال الكاملة : ص 326 .

لقد شكّل الهروب إلى الرمزية سواء أكان بالأسطورة أم بالرمز الديني والتاريخي حالة من حالات الدفاع النفسي ؛ لإعادة التوازن المفقود بفعل ثقل الواقع وتناقضاته السياسية والاجتماعية ، وإذا كان استلهام الرموز وبعض الصور قد وَصَمَ التجارب الشعرية بالغموض وربما أوصلها إلى حالة العُتْمَة ، فإن في استلهام الرموز القرآنية إضاءة لكل عتمة حيث ترتبط التجربة الشعرية بتجربة المتلقي ومخزون ذاكرته ، وهو ما يجعل التلقي عملية تفاعل بين المبدع والمتلقي .

ومن نص (قابيل) يقول الشاعر :

قابيل مزّقت الحشا وذبحتني ** ومضيت تلعقُ في الدماء وتشرب

وتصيحُ أنك مخلصٌ لقضيتي ** والغاصب المحتل عندك أقرب

تختال في دنيا المذلة والخنا ** وتقول جدّك في المكارم يعربُ

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ ** تمضي إذا حمي الوطيس وتهرب[1] .

شكّلَت قصة ابني آدم عليه السلام (قابيل وهابيل) الخطيئة الأولى فكان دم (هابيل) هو الدم الأول المسفوح ظلماً ، فصار (قابيل) رمزاً للجريمة والعنف في التراث العالمي، وبالمقابل صار أخوه (هابيل) رمزاً للضحية ، قال تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ** ﴾[2] .

استدعى الشاعر القصة واستند إلى رمزية (قابيل) المستقرة في الوعي ، وقدّم رؤيةً مأساوية ولم يجعل من (قابيل) رمزاً للقتل فحسب ، بل جعله في صورة جزّارٍ متوحش يمزق الحشا بعد قتل فريسته ويلعق من دمها ، والنص يعيد المتلقي بالذاكرة إلى الوراء في رسم صورة الخطيئة الأولى بين الأخوين قطبي القصة عبر مشهد شعري

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 38 .

[2] سورة المائدة : الآيات من ، 27 .

يجسد بشاعتها الحاضرة بقوة في هذا الزمان ، تزرع الجدث في صميم الواقع المعيش بتفاصيله اليومية التي أنهكت كاهل الضحية ، على أمل أن تعيد القاتل إلى الإحساس بقيمة الأخوة التي دعا إليها سبحانه وتعالى في محكم التنزيل ، في محاولة لمنعه من الإقدام على الارتماء في أحضان العدو الغاصب المحتل .

وفي هذا النص تتشكّل رؤية شعرية من خلال تجربتين متباعدتين زمنياً ، الأولى تمثل قتل الأخ لأخيه وقد وقع حقيقة في الماضي ، والثانية هو المشد نفسه يتكرر في الوقت الحاضر وبأكثر بشاعة ، وأمام هذا النص لا يملك المتلقي إلا أن يحيل المشهد إلى (هابيل) الفلسطيني الجريح الممزق ، فمشهد النص يصب في عمق المأساة الفلسطينية ، وبالتعريض يوجه الشاعر خطابه بكل مرارة وحسرة إلى كل من فرّط في القضية وتعاون مع العدو، وكان سبباً في ما آل إليه حال الأمة اليوم ، وفي البيت الرابع يلتفت إلى الماضي مستشهداً بقصةٍ صارت مثلاً في التراث العربي وتناقلتها كتب الأدب ، من قول الشاعر : (عمران بن حطّان) [1] .

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ** ربْداء تفزع من صفيرِ الطائرِ

هلاّ برزت إلى (غزالة)[2] في الوغى** بلْ كان قلبك في جناحي طائر [3].

وهذا الاستشهاد بصدر البيت الأول من قبل الشاعر ، إنما هو اسقاط على ما تعانيه الشعوب من ساستهم ، ولسان حاله يقول : هل من صحوة ؟ هل من صرخة توقظ ضمير الأمة ؟ أليس في الأمة رجل رشيد يعيد أمجادها التي سُلِبت ؟ .

---

[1] هو : عمران بن حطان بن ضبان السدوسي الشيباني ، ت 84 هـ ، من الصفوية وخطيبهم وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، طلبه الحجاج بن يوسف وأمر بالقبض عليه ، فهرب إلى الشام ...ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 5 ، ص 70 .

[2] هي : غزالة الحرورية امرأة شبيب بن نعيم بن يزيد الخارجي ، من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية ، ولدت في الموصل ، ..ينظر : المصدر نفسه : ج 2 ، ص 118 .

[3] بلاغات النساء – أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور ، ت 280 ، صححه وشرحه ، أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة ، 1326 هـ ، 1908 م ، ص 125 .

إن ظـاهرة استحضـار آيـات القـرآن الكـريم احتلـت مسـاحة كبيـرة مـن الأعمـال الكاملـة للشـاعر ، وهـو بهـذا التعلـق الـديني يوجـه نصـائح كـي لا يخـرج الانسـان مـن البـر إلـى الشّـقاء ومـن التقـوى إلـى الفجـور ، وقـد ظهـر التعـالق النصـي فـي البيـت الرابـع مـع قـول (عمران بن حطان) وهي قصة معروفة في معروفة في تاريخ العرب .

المبحث الثانـــــي

السنة النبوية الشريفة :

السـنّة فـي اللغـة : هـي الطريقـة والسـيرة [1] ، قـال عـز وجـل : **﴿ سُـنَّةَ مَـنْ قَـدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾**[2] .

وفـي الاصـطلاح : هـي كـل أثـرٍ عـن النبـيﷺ ، مـن قـولٍ ، أو فعـلٍ ، أو تقريـر ، أو صفة خلقية ، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكمٍ شرعي [3].

لقـد حظيـت السـنّة المطهـرة بمكانـة رفيعـة عنـد الشـعراء منـذ بـزوغ فجـر الإسـلام ؛ لأهميـة صـاحبها أشـرف خلـق الله ﷺ القائـل : " فُضِّـلتُ علـى الأنبيـاء ، وأعطيـت جوامـع الكلم ، وأحلّت لي الغنائم ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً " [4] .

ولمـا كـان المصـدر التشـريعي الأول فـي الإسـلام هـو القـرآن الكـريم ، ثـم سـنّة نبيّـهِ ﷺ ، صـار لزامـاً أن يكـون المبحـث الثـاني يتنـاول مرجعيـات الشـاعر مـن السّـنّة النبوية المطهرة ؛ لمعرفة ما استند إليه الشاعر في شعره ، سواء أكان بالإشارة أم باللفظ

والشـاعر قـد أفـاد مـن الحـديث النبـوي ، ووظّفـه فـي شـعره بوصـفه مصـدراً ثانيـاً للمضـامين الدينيـة ؛ لمـا فيـه مـن توضـيح وشـرح لمـا اشـتمل عليـه القـرآن الكـريم مـن جوانـب مختلفـة كـالتي تخـتص بالتشـريع أو المعـاملات اليوميـة ، وتطبيـق السـنة المطهـرة فيمـا يتعلـق بالجـار ، وحقـوق الوالـدين ، واليتـيم وغيـره ، وهـذا دليـل علـى توجـه الشـاعر إلـى

---

[1] لسان العرب : ج 13 ، ص 220 فصل الهاء .

[2] سورة الإسراء : الآية 77 .

[3] ينظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، تح ، سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط 1 ، 1404 هـ ، ج 1 ، ص 233 .

[4] سنن الترمذي : ج 3 ، ص 175 .

الجانب الديني ، وإلى جانب الحديث النبوي ذكر مواقف من السيرة النبوية الشريفة ، ووظّفها في أعماله الشعرية الكاملة ، من باب التذكير بالقيم والمثل العليا التي تربى عليها السلف الصالح ، وسيتم التعريج عليها بعد الحديث النبوي.

وفي بعض الأبيات من القصيدة المطوّلة (الشقيقة المسلمة) [1] لمعلقة (عنترة) [2] ، يستلهم العظم قوله من حديثه ﷺ " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " [3] ، ويصور ما آل إليه حال الأمة التي تجرعت كأس الذل والمهانة ، الأمة التي حملت مشعل الرسالة الإلهية ، ها هي اليوم تئن تحت وطأة المستعمر الذي احتل الأرض ودنّس العرض، فقال يوسف العظم :

يا أمّةً مسخ الطّغاة كيانها ** فغدت على سفح المهانة ترتمي

وتنكّرت للدين وهو سلاحها ** وتعثّرت في الدرب دون تقدّم [4] .

كل ما حدث ويحدث للأمة ، بسبب الابتعاد عن نهج الله الذي رسمه لعباده ، وفي هذا دعوة للإصلاح من شان المسلمين .

---

[1] (الشقيقة المسلمة) تسمية لكل قصيدة عارض بها الشاعر المعلقات السبع المشهورة في الجاهلية بروح إيمانية (معلقة لبيد بن ربيعة ، وعنترة العبسي ، وامرئ القيس ، وعمرو بن كلثوم ، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد ، والحارث بن حلزة)، وهذه القصائد في ديوانه الموسوم (لو أسلمت المعلقات) ينظر : الأعمال الشعرية الكاملة : ص237 ـ 285 . وللاطلاع على معلقات الشعراء المذكورين ، ينظر : دواوين الشعراء العشرة ، محمد فوزي حمزة ، مكتبة الآداب ، دار عالم الطباعة ، القاهرة ، ط 4 ، 2016 م.

[2] هو: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد ، ت 22 ق هـ ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، من شعراء الطبقة الأولى ، من أهل نجد ، كان من أحسن العرب شيمة وأعزهم نفساً ، له ديوان شعر ، وقد ترجموها إلى الألمانية والفرنسية ...ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 5 ، ص 91 .

[3] شعب الإيمان : أبوبكر ...البيهقي ، تح ، محمد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط 1 ، 1410 هـ ، ج 7 ، ص 297 .

[4] الأعمال الكاملة : ص 255 .

ومن قصيدته (على خطا حسّان) [1] ، قال يوسف العظم :

يـا شاعـر الدعـوة الغـراء إن لنـا ** بشعـرك الفـذ جيشـاً ليس ينهـزم

تـزجـي القوافي لدينِ اللّـهِ غاضبـة ** كمـا تزمجـر فـي بركانهـا الحممُ

قاتلت بالشعـر ركـن الشرك تهدمـه ** وشعـر خصـم الهـدى والحـق ينهـدم[2]

الأبيـات اسـتمدها مـن حديثـه ﷺ لحسّـان بـن ثابـت الصـحابي الجليـل الـذي قاتـل بشـعره فـي سـبيل الله ، فـي قولـه ﷺ : " إن روح القـدس يُؤيّـدك مـا نافحـتَ عـن الله ورسوله " [3] .

واسـتهلّ الشـاعر أبياتـه بخطـاب شـاعر الـدعوة ، وهـو شـاعر الرسـول ﷺ ووصـف الـدعوة (بـالغراء) ناصـعة البيـاض ، وصـف انتقـاه الشـاعر يتفـق تمامـاً مـع الـدعوة المحمديـة قـال ﷺ " قـد تـركتكم علـى المحجـة البيضـاء ليلهـا كنهارهـا لا يزيـغ عنهـا إلا هالـك " [4] ، ثـم وصـف الشـاعر بأنـه الجـيش الـذي لا يهـزم فيحيـل مخيلـة المتلقـي لمتابعـة صـورة حربيـة لسـانية أسـلحتها قـوافي الشـعر فـي شـدة وقعهـا علـى المشـركين ، فشـبّه القـوافي بحمـم البـراكين الملتهبـة ، واختـار لهـا لفـظ (تزمجـر) وهـذا يعنـي ضـخامة الصـوت وقـوة الفعـل ، ولسـان حالـهِ يقـول : لمـاذا لا تتكـرر تلـك البطـولات ؟ ومـا الـذي دهـا الأمة حتى تغطّ في هذا السبات العميق ؟ .

ومن نصِّه (صوم رمضان) قال :

رمضـــــانُ هـــلَّ هلالُـــــهُ ** فاستبشـــــروا بطلوعـــــهِ

وبصومـــــــــه وصلاتـــــهِ ** وبذكـــــــره وخشوعـــــهِ

---

[1] هو : حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، ت 54 هـ ، شاعر الرسول ﷺ وأحد المخضرمين عاش ستين عاماً في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، من سكان المدينة المنورة ،...ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 2 ، 175 .

[2] الأعمال الكاملة : ص

[3] صحيح مسلم : ج 4 ص 1935 .

[4] سنن ابن ماجة : أبو عبد الله بن يزيد القزويني ت 273 هـ ، تح ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبي ، د ت ، ج 1 ، ص 16 .

فاضـــــت علينـــــا رحمـــــةٌ ** بالخيـــــرِ مـــــنْ ينبوعـــــــهِ

قـــد عـــاش يشـــرق بالهـــدى ** يـــا مرحبـــاً برجوعـــــه [1].

الصـــوم : ركـــن مـــن أركـــان الإســـلام ، وبـــه مـــن النفحـــات الروحانيـــة والمعـــاني السَّـاميه والقـيم المثلـى فـي فضـله وبركتـه مـا يعجـز عنـه الوصـف ، والله سـبحانه وتعـالى تولّى الجزاء عليه وأضافه إليه سبحانه .

ولفظ (الهـلال) مفرد الأهلـة التـي أشـار إليهـا القرآن الكـريم فـي قولـه تعـالى : ﴿ **يَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الْأَهِلَّـةِ قُـلْ هِـيَ مَوَاقِيـتُ لِلنَّـاسِ وَالْحَـجِّ** ﴾ [2] ، وفـي البيـت الأول استحضـــار للآيـــة الكريمـــة وإشـــارة إلـــى قولـــه ﷺ : " صـــوموا لرؤيتـــه وافطـــروا لرؤيته " [3] .

والشـاعر إذ يبـرز هـذه المعـاني فـي أبياتـه ، فإنمـا يؤكـد وينصـح مـن خـلال ذلـك وينبـه الغافـل إلـى فضـل هـذا الشـهر الكـريم ، ويلاحـظ علـى الألفـاظ التـي اسـتخدمها الشـاعر أنهـا سهلة سلسة مرتبطة ومتوازنة .

ومن نص (الله حق .. تعالى الله خالقنا) قال :

كـــلام ربـــي يـــداوي النـــاس مـــن سقـــمٍ ** لأنـــه مـــن لـــدى الرحمـــــن تنزيـــلُ

مـن كـان يرعـى حقـوق الخلـق يحفظها ** فإنّـه عـن حقـوق النـاس مســؤولُ [4] .

فـــي البيتـــين دعـــوة إلـــى التمســـك بـــالقرآن الكـــريم وحفـــظ حقـــوق العبـــاد ، فـــإن المسـؤولية تقـع علـى عـاتق كـل مـن تـولى أمـر المسـلمين ، والرسـول الكـريم ﷺ يبـين أهميـة هـذا الموضـوع لمـا فيـه مـن انتظـام سـير الحيـاة العامـة والخاصـة فيقـول : " كلّكـم

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 387 .

[2] سورة البقرة : الآية 189 .

[3] سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك الترمذي ، ت 279 هـ ، تح ، بشار عواف معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 م ، ج 2 ، ص 61 .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 429 .

راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته ، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيّته ، والرجل راعٍ في أهله والمرأة راعية في بيت زوجها " [1] .

مواقف من السيرة النبوية :

من نص (الرضاع وحليمة السعدية) [2] قال :

مَنْ تُرَى ترضع اليتيم وتسعد ** وتباهي بلثمها لمحمدٍ ؟

ثغره باسم كإشراقة الصبح ** وفي وجههِ الصّفاء تورّد

مَنْ لهذا اليتيم يا لهف قلبي ؟ ** بحنان ذراع مَنْ يتوسّدُ ؟

أيُّ حضنٍ تُرى سيحْنُو عليه ؟ ** أيُّ بيتٍ تُرى به سيمجّدُ ؟

وتوارت خلف الرجال نساء ** كل أنثى ترجو الثراء وتنشد [3] .

استعان الشاعر بالسيرة النبوية في قصة إرضاع الرسول ﷺ ، وفي عشرة أبيات استحضر صورة النسوة اللائي يقدمن من البادية إلى مكة ؛ بغية إرضاع الأطفال بمقابل، ويتساءل ويكرر الاستفهام ، فالموقف يثير الدهشة ويشد الانتباه ، وتتسع الصورة في عين المتلقي كلما استحضر المشهد المهيب ، يا تُرى من سيكون لها سبق الفضل ونيل الشرف الأعظم في اختيارها ليتيم تحتضنه ؟ إنه سيد الخلق الذي سيغير وجه الكون بأكمله من الظلمات إلى النور ، وجهه صفاءٌ ونقاءٌ ، باسم كإشراقة الصبح (من لهذا اليتيم ؟ ، أيّ حضنٍ ؟ ، أيُّ بيتٍ ؟) ، وبدأ المشهد التصويري ، فتسابقت النسوة على اختيار الأطفال من أبناء الأغنياء من سادة قريش ، ويبقى التساؤل قائماً ، من لهذا اليتيم الذي لم يقع الاختيار عليه ؟

ويتكرر الاستفهام من قبل الشاعر (أتراها ، أم تراها) ويرافق الاستفهام ألفاظ (الرخاء، والهناء ، والسعادة ، والخلود) وهذا ما تحقق لها بالفعل بفضل العناية الربانية .

---

[1] صحيح البخاري : ج 3 ، ص 1010 .

[2] هي : حليمة بنت أبي ذؤيب جابر السعدي البكري، من قبيلة بني سعد من هوازن وهي التي أرضعت رسول الله ﷺ حتى أكمل رضاعه ، ينظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج 2 ، ص 271 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 59 .

والشاعر إذ يرصد هذا الحدث ويصوِّرهُ في قالب شعري ، إنما يذكر الناشئة والكبار على حد سواء لأخذ العظات والعبر ، والحث على الصبر والدروس المستفادة من حياته ﷺ المليئة بالمتاعب والمشحونة بالأحزان من شدة أذية قومه له ، والدرس الآخر المستفاد من مرضعته (حليمة السّعدية) ، التي رضيت بما قسم الله لها فأغناها الله بفضله ، ومَنّ عليها وأكرمها برسول الله ﷺ فتغيرت من حال إلى حال .

ومن مواقف السيرة النبوية استعرض الشاعر في نص (الهجرة) قصة هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه الصديق رضي الله عنه ، ونوم ابن عمه كرّم الله وجهه في فراشه حتى وصل برعاية الله سبحانه فقال :

رحل الصدّيق عن الدار ** في صحبة خير الأبرار

اللّهُ تكفَّل يحميه ** وعليٌّ أصبح يفديه

وبِسِرِّ القومِ الأشرارِ ** بنتُ الصدّيقِ توافيه [1] .

يُذكّر الشاعر الناشئة والكبار على حد سواء بأثر هذه السيرة العطرة ، وما تعرّض إليه رسولنا ﷺ من الأذى وجفاء قومه له ، والتي نتعلم منها الصبر ومكابدة الأخطار ومجاهدة النفس ونستفيد من الدروس والعبر.

ومن نص (عتاب صديق وحوار) مع النفس يقول الشاعر :

يا لاقيَ الخيرِ لا تحقِدْ على أَحدٍ ** يراكَ خيطَ ضِياءٍ شُعَّ في الظُلَمِ[2].

ينتج الحقد من الضغينة والبغضاء ومن وسوسة الشيطان ، والشاعر خاطب في أسلوبه العموم لكل فاعل خير وهو يقصد الخاص ، والمعنى : إن الذي تحقد عليه لا يبادلك نفس الشعور ، وإنما يرى فيك شعاع أملٍ ونبراسٌ يضيئ عتمة الظلمة ، وينهى عن صفة الحقد الذميمة التي من شأنها أن تمزّق النسيج الاجتماعي للأمة ، والشاعر

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 390

[2] المصدر السابق : ص 184 .

استنبط ذلك من قول رسول الله ﷺ : " وذلك أن ينزوَ الشيطان بين الناس فتكون دماء في غير ضغينة ولا حمل سلاح " [1] .

[1] سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي ، ت 275 هـ ، . ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د ت ، ج 4 ، ص 190 .

المبحث الثالث

تـأثره بالشـــعراء :

اســتطاع الشــاعر مــن خــلال موروثــه الثقــافي والاجتمــاعي أن يتــأثر بأشــعار القـدامى والمحـدثين ، فأخـذ يضـمّن أشـعاره مـن ذلـك التـراث الخالـد ، وأفـاد مـن كـل معنـى يخـدم القصـيدة الشـعرية ، فتنوعـت موضـوعاته ، ولكـنّ الجانـب الـديني كـان السـمة الغالبـة علـى شـعره ، وقـد سـبق التنويـه فـي المبحـث السّـابق علـى أنـه خـاض تجربـة طريفـة ومثيـرة فـي وقـت واحـد ، فقـد عـارض سـبعاً مـن عيـون الشـعر العربـي فـي العصـر الجـاهلي ، ومـن نص (آمال وآلام) قوله :

من يـزرع الشوك لا يجنـي سـوى نـــدمٍ ** وهـل جنـــى زارع مـن " غرقــدٍ " عنبــا[1] .

وفيـه نصـح وإرشـاد بـأن يتجنـب الانسـان مـا يوقعـه فـي دائـرة النـدم ، وفـي مـالا يحمـد عقبـاه ، ومـن الأمثـال قـولهم : " إذا ظَلَمْـتَ فاحـذر الانتصـار وإذا أسـأتَ فثـقْ بسـوء الجزاء " [2] .

وفي نفس المعنى قال الحطيئة :

من يـزرع الخيـر يحصـد ما يُسَـرُّ بـه ** وزارع الشّـر منكـــوسٌ على الـــرأس[3].

وقـد أشـار إلـى المعنـي نفسـه الشـاعر(أبـو الفـتح علـي بـن محمـد البسـتي) [4] فـي قصيدته المطولة ، فقال :

من يـــزرع الشر يحصد في عواقبه ** نـــدامة ولحصـــد الزرع إبَّـــانُ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 351 .

[2] جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري ت 395 هـ ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت 1988 م ج 1 ، ص 105 .

[3] ديوان الحطيئة : اعتنى به حمدون طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 ، 1426هـ ، 2005 م ، ص 87 .

[4] أبو الفتح البستي من (بُسْت) بضم الباء وإسكان السين ، الشاعر والكاتب ، مشهور التطبيق والتجنيس كثير الاختراع للمعنى الغريب ، ينظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تح ، عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، د ت ، ج 28 ، ص 46 ، وينظر : الأعلام للزركلي ج 4 ، ص 326 ،.

من استنـــام إلى الأشـــرار نام وفـي ** قميصـــه منهـــم صـــلٌّ وثعبـــانُ [1] .

ويعـود الضـمير فـي البيـت الثـاني : علـى الـذي يلجـأ إلـى مخالطـة الأشـرار حيـث لا يمكنـه النوم بسبب حقد أولئك اللئام .

ومن نص (عتاب لصديق وحوارٌ مع النفس) قوله :

يا لاقـيَ الخيـر لا تحقـد على رجلٍ ** يـراك خيـط ضيـاءٍ شعَّ فـي الظُّلَـمِ

واسمـع نصيحتـه فـي غيـر منفعـةٍ ** أو غايـةٍ يبتغيهـا صـادق الكلـم

جمعـت حولـك أنماطـاً منوّعـةٍ ** من الجبـال وبعـض القـوم فـي بَكَـمِ

محّضتك النصح فاسلم غير ذي سقم ** وأصدق النصح ما قـد فـاض مـن ألـمِ

قصائـدي مـن نيـاط القلب أطلقهـا ** عبـر اللـسان فيحـدو للإبـاء فَـمِي [2].

يوجـه الشـاعر نصـحه مـن عمـق التجـارب الحزينـة التـي واجههـا فـي الحيـاة ، فبـدأ بأسـلوب النـداء ثـم النهـي المباشـر بالابتعـاد عـن صـفة الحقـد الذميمـة التـي تولـد الكراهيـة والحسـد ، ثـم عقّـب بأسـلوب الملاطفـة ، ورسـم صـورة التفـاؤل والأمـل مـن خـلال خـيط رفيـع لايـزال يـربط أواصـر العلاقـة والمحبـة ويحـافظ عليهـا ، فهـو يقـدّم نصـيحة صـادقة مـن صـميم القلـب لا يبتغـي مـن ورائهـا أيَّ منفعـةٍ مـع علمـه بـأن هنـاك مـن البشـر مـن لا يمتثـل للنّصـيحة، ويلاحـظ أنـه تـأثر بالشـاعر(البوصـيري) [3] المعـروف بشـعر النصـح ومدح النبي ﷺ ومن ذلك قوله :

محضتني النصـح لكن لست أسمعـه ** إن المحـب عـن العذّال في صممِ

---

[1] ديوان أبي الفتح البستي : تح ، دريَّة الخطيب ، ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1410 هـ ، 1989 م ، ص ، 188 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 184 .

[3] هو: محمد بن سعيد البوصيري ، وُلِد في سنة 608 هـ ، واشتهر بالبوصيري ، أخذ التصوف على الطريقة الشاذلية عن الشيخ أبي العباس المرسي ت 686 هـ ، قصيدته المشهورة هي البردة التي تعتبر أهم القصائد في المديح النبوي ، توفى سنة 697 هـ .. ينظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي : محمد أحمد درنيقة ، تقديم ، ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال ، ط 1 ، د ت ، ص 353 .

إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي ** والشَّيب أبعد في نصح عن التهمِ

وخالفِ النفس والشيطان واعصهما ** وإن هما محّضاك النصح فاتهمِ

أمّرْتُك الخيرَ لكنْ ما تَّمَرْتَ به ** وما استقمت فما قولي لك استقم[1].

وقد اشتملت القصيدة على عدد كثير من النصائح ومنها : الحذر من اتباع هوى النفس، والحث على الاستقامة ، من نفس النص (عتاب صديق وحوار مع النفس) قوله :

أزجي لك الشعر لا أبغي به ثمناً ** فلست أقتات من شعري ومن نغمي[2].

يوجه نصائحه دونما مقابل ، ويلاحظ أنه تأثر بالشاعر في قوله : [3]

يا طائرين على غضنٍ أنا لكما** من أنصح الناس لا أبغي به ثمناً

طيرا إذا طرتما زوجاً فكأنّما ** لا تعدمان إذا أفردتما حزنا [4] .

في نصيحة الشاعر دعوة للاتحاد وهي أيضا دونما مقابل من وراء ذلك ، فيطلب من الطائرين أن يكونا متحدين ؛ لأن في الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف ، وإلى جانب النصيحة ، فإنه رسم صورة من الطبيعة حتى يشد انتباه المتلقي ، فجمع بين أسلوب النداء والاستعارة وفعل الأمر والشرط غير الجازم والتشبيه .

ومن نص (وأحفظ عهد الصحب دوماً أصونه) قال الشاعر :

وأحفظ عهد الصحب دوماً أصونه ** وما شيمتي يوماً بأن أُفسِدَ العهْدا

ووعدي دقيقٌ لا أخالف موعدي ** وما شيمتي يوماً بأن أُخْلفَ الوعْدا

---

[1] ديوان البوصيري : نظم شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ، تح ، محمد سيد كيلاني ، ملزم الطبع والنشر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط 1 ، 1374هـ 1955م ، ص 190 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 184 .

[3] (لم أجد له ترجمة في مظانه)

[4] سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : أبو العباس أحمد التيفاشي ، ت 711 هـ ، تح إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1980 م ، ج 1 ، ص 93 .

وإن طلبـــوا منّـي ذراع معـونـــة ** مددت أخـي في الحادثـات لهـم زنـــدا[1].

يثنـي علـى نفسـه بصـفات حميـدة منهـا ، حفـظ العهـد والمحافظـة علـى المواعيـد ومـد يـد العـون إذا ألـمَّ خطـبٌ بأصـحابه ، وهـذا مـا يجـب أن يتميـز بـه الانسـان ، وإذ يؤكـد علـى هـذه الخصـال ، فإنـه يوجـه النصـح بطريقـة غيـر مباشـرة ؛ ليسـير المتلقـي علـى هـذا النهج ، وهذا المعنى يقترب من قول (ابن مُشرّف التميمي) [2] :

لا يبـــدو منـــك إلى صديـــقك زلّـة ** واجعـــل فـــؤادك أوثـــق الخـــلّانِ

لا تحقـرنَّ مـــن الذنـوب صغارهـا ** فالقطـــر منـــه تدفـــق الخلجـــانِ

وإذا نـــذرت فكـــن بنـــذرك موفيـــاً ** فالنـــذر مثـــل العهد مسؤولانِ

لا تشغلـــنَّ بعيـب غيـــرك غافـــلاً ** عـــن عيـــب نفســـك إنـــهُ عيبـــانِ[3] .

اشـتملت الأبيـات علـى نصـائح متعـددة تـدعو إلـى المحافظـة علـى توطيـد أواصـر الصداقة.

وفـي نـص (لـولا ثـلاث) دعـوة مـن الشـاعر يوسـف العظـم للصـفح والتسـامح عـن ذنـب الصديق حيث قال:

أَصُـــدُّ عن النّمّام سمعي تـرفعـــاً ** وأصفـــح عن ذنـــب الصديـــق ليهتـــدي

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 433 .

[2] هو : أحمد بن علي بن حسين بن مشرف التميمي ، ت 1285 هـ ، فقيه مالكي كثير النظم سلفي العقيدة ، من أهل الإحساء ، درس وتعلم في نجد وتوفى بها ، ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 1 ، ص 182 .

[3] ديوان ابن مشرف : أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي ، مؤسسة مكتبة الفلاح ، الإحساء ، المملكة العربية السعودية ، 2009 م ، ج 1 ، ص 284 .

وأُلْقي بـذور الفكر فـي كـلّ ربـوةٍ ** وكـلّ طموحـي أن يـــرى النّور في غَـــدي[1] .

وهذه المعاني قد سبق إليها (الامام الشافعي) [2] في قوله :

إذا اعتـــذر الصديـــق إليـــك يومـــاً ** من التقصيـــــر عـــذر أخٍ مُقِـــرِ

فَصَنْـهُ عـــن عتابـك واعـــفُ عنـــه ** فـإن الصفـــح شيمـــةُ كـل حـــرِ [3] .

ويبـدو أنـه قـد تـأثر أيضـاً بالشـاعر العباسـي (محمـود الـوراق) [4] ، الـذي تكلـم عـن ذات المعنى فقال :

سألـــزم نفسـي الصفـح عن كـــل مذنبٍ ** وإن كَثُـــرتْ منـه علـيَّ الجرائـم

ومـــا النـــاس إلا واحـــدٌ من ثلاثـــة ** شريـــفٌ ومشروفٌ ومثلـي مقـــاومُ

فأمـــا الـــذي فوقـــي فأعـــرف فضلـــه ** وأتبـع فيـــه الحـــق والحـــق قائـــمُ

وأمّـا الـذي دونـي فـإن قال صنـت عـن ** مقالتـــه نفســـي وإن لام لائـــــمُ

وأما الـــذي مثلـــي فـــإن زلَّ أو هفـــا ** تفضّلـت إن الفضـل للحـر حاكـــم[5]

لقـد ألـزم الشـاعر نفسـه بالصـفح والتسـامح عـن الـزّلات وإن كثـرت ، وهـذا دليـل علـى طيـب نفسـه وكـرم أصـله ، وبتصـنيفه لأنـواع النـاس دليـل آخـر علـى خبرتـه وتجربتـه العميقة في الحياة ، فهو يعرف كيفية التعامل مع كل شريحة من البشر .

وتـأثر الشـاعر بمـن سـبقوه فـي مواضـيع شـعره ، فميـدان الشـعر واسـع ومـن ذلـك فضـل العلم ، فقال يوسف العظم :

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 277 .

[2] هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ، ت 204 هـ ، حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، أحد الأئمة الأربعة ، وإليه نسبة الشافعية كافة ، قصد مصر سنة 199 هـ فتوفى بها ...ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 6 ، ص 26 .

[3] ديوان الإمام الشافعي : اعتنى به ، عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 3 ، 1426 هـ ، 2005 م ، ص 61 .

[4] هو : محمود بن حسن الوراق ، شاعر عباسي من بغداد لذلك لُقّبَ بالبغدادي ، أكثر شعره في المواعظ والحكم ، توفي في خلافة المعتصم سنه 230هـ ، واشتهر بلقبين (الوراق والنخاس) . ينظر : فوات الوفيات ، ج 4 ، ص 79 .

[5] ديوان : محمود الورَّاق ، شاعر الحكمة والموعظة ، تح ، وليد قصَّاب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1422هـ ، 2001 م ، ص 142 .

وإذا العلـــم لـــم يجمـــل بديـن ** أو يراعـــي في الله نهجـــا رشيـــداً

فهـــو في الحـــق ردّة وضـلال** يعبد الناس بعـــد صخـــرٍ حديـــــداً

إنّمـــا العلـم رحمـــة وســـلام ** يمنـــح العالميـــن عيشـــاً سعيـــداً [1] .

لا قيمـة للعلـم مـا لـم يتبـع الـنهج السـليم ، فـالعلم المتبـوع بـالحلم والأخـلاق ، ذلـك الـذي ينتفع به المسلم في حياته ، وفي ذلك توجيه من الشاعر لفضل العلم وقيمته .

علّلَ الإمام الشافعي سبب العزوف عن حفظ العلم فقال :

شكـوت إلى (وكيعٍ) [2] سوء حفظي** فأرشدَني إلى تـركِ المعاصـــي

وأخبرنـــي بـــأن العلـــم نـــــورٌ ** ونـــــور الله لا يهـدى لعاصـــي [3] .

وفـي هـذا توجيـه ونصـح بـأن قيمـة العلـم عظيمـة ، وطالـب العلـم مثـل قـبس مـن نـور الله كمـا يـرى الشـاعر لا يوهـب إلّا لمـن تـرك المعاصـي ، ونـص الشـافعي هـو الأصـل والعظم اقتفى الأثر .

إن الإيمـان بضـرورة تثقـف الشـاعر بـالاطلاع علـى آثـار السـلف ، والأدبـيّ منهـا بوجـهٍ خـاص ، كـان مـن الطبيعـي أن يجعـل هـذه المعـاني فـي ذاكـرة الشـاعر " فيرددهـا فـي شـعره عـن غيـر قصـد حينـاً أو يروقـه بعضـها ، فيصـوغه صـياغة جديـدة " [4] ، فمعايشة الشاعر للماضي أو محاكاته للحاضر لا يعني غير معايشة التاريخ برمته .

كانـت تلـك بعـض الشـواهد علـى تـأثر الشـاعر بمـن سـبقوه ، والأمثلـة علـى ذلـك كثيرة جداً في الشعر العربي ، ولكن للإيجاز تم الاقتصار على ما ذكر .

---

[1] الأعمال الكاملة : ص 309 .

[2] هو : وكيع بن الجرّاح بن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ المشهور ، كان أديباً ينظم الشعر وهو جد الشاعر المشهور ابن وكيع التنيسي ، صاحب كتاب المصنف في سرقات المتنبي ...ينظر : أخبار القضاة : أبوبكر محمد بن خلف الملقب بوكيع ، ت 306 هـ ، شرح وتعليق وتصحيح ، عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط 1 ، 1366 هـ ، 1947 م ، ج 3 ، ص 323 .

[3] ديوان الإمام الشافعي : ص 70 .

[4] أسس النقد الأدبي عند العرب : أحمد بدوي ، نهضة مصر ، ط 3 ، 1964م ،ص 375 .

المبحث الـــــرابع

تجربة الشاعر الذاتية :

تقديم :

لكل شاعر تجربته الذاتية التي بواسطتها يتم الكشف عن فنه الشعري وما تخلفه من أثر أدبي يتم الوصول إليه بواسطة الشكل الفني البلاغي ، فالشاعر يحقق لنفسه تفرداً أسلوبياً بطريقته الخاصة التي من خلالها يبرز التعبير الشعري عن تجربتيه[1] الفنية الخاصة به بعيداً عن الالتزام برؤية الآخرين .

التجربة في العلم : " اختبار منظم لظاهرة أو ظواهر يراد ملاحظتها ملاحظة دقيقة ومنهجية للكشف عن نتيجة ما أو تحقيق غرض معين " [2] ، والتجارب جمع تجربة وهي : " ما يحصل من المعرفة بالتكرر، وقيل : التجربة معالجة الشيء مرة بعد أخرى حتى يحصل ذلك العلم بنظائرها " [3] .

قال (معاوية بن أبي سفيان) [4] : " لا حكيم إلا ذو تجربة " [5] .

قال عنترة العبسي :

وأنا المـــجرّب في المواقـــف كلّها ** مـن آل عبسٍ منصبـــي وفعالـــي[6].

وتنتج التجربة من كثرة اكتساب المعرفة ، أو المهارة التي يستخلصها الإنسان من خلال الأحداث التي يمرّ بها في حياته ، وما يتعرض له من معاناة نتيجة احتكاكه

---

[1] ينظر : مقومات عمود الشعر الأسلوبية والنظرية والتطبيق ، رحمان غاركان ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 م ، ص 335 .

[2] جمهرة اللغة : ابن دريد الأزدي ، ت 321هـ ، تح ، رمزي بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1987 م ، ج 1 ، ص 267 .

[3] التوقيف على مهمات التعاريف : زين الدين محمد الحدادي المناوي القاهري ، ت 1031هـ ، عبد الخالق ثروت ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1410هـ ، 1990 م ، ج 1 ، ص 91 .

[4] هو : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، ولد بمكة وأسلم يوم الفتح سنة 8 هـ ، وهو أحد دهاة العرب المتميّزين ، ...ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، ت 852 هـ ، تح ، عادل عبد الموجود ، وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1415 هـ ج 6 ، ص 120 .

[5] صحيح البخاري : (باب لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين) ج 8 ، ص 31 .

[6] شرح ديوان عنترة بن شداد : د. محمد علي سلامة ، دار الصحوة القاهرة ، ط 1 ، 2010 م ، ص 154.

اللصيق بطبقات مجتمعه ، وكلما كانت التجربة عميقة في النفس ، ازداد أثرها لكثرة ملاحظته لها ملاحظة مباشرة ، وبالنسبة للأديب تزداد عنده بكثرة مطالعة الكتب القديمة والاستفادة من تجارب أصحابها [1] .

الـذاتية :

هي " طريقة خاصة بالكتابة وهي الإفصاح عن ذوق صاحبها والاهتمام بمشاعره وبتجاربه الشخصية " [2] .

والشعر الـذاتي : يعبر عمّا بداخل الشاعر من وجدان وأحاسيس وآلام ، أمّا الوجداني فيعني كل ما كتب عن حالات نفسية وإنسانية مختلفة ، فكانت انطلاقة الشعر الوجداني من العاطفة التي تتمحور حول الحب والعطف والحزن ، فصارت سمات الشعر الوجداني تتضمن كل ما هو واقع ضمن دائرة الشعور والعاطفة ، فأصبح الشعراء يتغنون بالوجدان ضمن أبيات وقوافٍ محددة [3] .

من نص (جريح في ليلة القدر) مرَّ الشاعر بتجربة أعقبت جرحاً عميقاً في نفسة ، وقد شاء الله أن تجرى له عملية جراحية في شهر رمضان الكريم ،الأمر الذي حال بينه وبين إحياء ليلة القدر والتماس فضلها ، وقد اعتاد أن يحييها مع إخوانه في المسجد الأقصى قبل ضياع الأقصى فيقول :

في ساحة المسجد الأقصى عشقناها ** وكم سعينا لها نحظى بلقياها

ليست مع الغيد تزهو في محاسنها ** بل ليلة قول رب العرش زكّاها

خير من الأشهر الألف التي ذكرت ** في سورة القدر نتلوها ونهواها

ملائك الله قد حلّت بساحتها ** والروح فيها ورب العرش يرعاها[1] .

---

[1] ينظر : المعجم المفصل في الأدب ، محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1419 هـ ، 1999 م ، ج 1 ، ص 25 .

[2] المصدر السابق: ص 460 .

[3] ينظر : المعجم الوسيط : ص 1013 .

[1] [2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 162 .

فـي البيـت الثالـث دعـوة وتـذكير لكـل مسـلم بضـرورة إحيـاء هـذه الليلـة ، وهـذا مـن بـاب النصــح والإرشــاد ، والأبيــات تحمــل فــي طياتهــا الأســى والحــزن ؛ بســبب ضــياع تلــك الفرصــة التــي ينتظرهــا ليحييهــا فــي مكــان هــو أُولــى القبلتــين ، وقــد اســتوحى معــاني ســورة القـدر كاملـة ، ثـم ينتقـل لتقـديم النصـح والارشـاد ؛ لشـحذ الهمـم والنهـوض لإحيائهـا تعظيمـاً لشأنها وفضلها فقال :

يا أمـــة الفتـح والأنفـــال والهفي ** قومـــي لتحيـــي مع الأيـــــام ذكراهـا

واستنهضي في حماها كل مكرمـــة ** زانـــت جباه الأولـــى في الأرض مسراها

يا أمتي بـــادري للخيـــر وانتفضـــي** في ليلـــة القـــدر كيف اليـــوم ننساهـــا

وجدّدي العهـــد للرحمن وانطلقـــي ** واستلهمـــي في رحـــاب المصطفى جاهـــا .

يخاطـب الأمـة الإسـلامية ، وفـي قولـه (والهفـي) الضـمير يعـود علـى الشـاعر وهـو يتعجـب ويسـتنهض الهمـم ؛ لإحيـاء الماضـي المجيـد ، ويحيـل ذهـن المتلقـي بـالربط بـين الماضـي وواقـع الأمـة فـي حاضـرها ، ثـم يعيـد الأمـر بالانتفاضـة ، ويجعـل مـن ليلـة القـدر فرصـة عظيمـة ، فالـدعاء والرجـاء يتّسـمان بالإجابـة فيهـا دون غيرهـا مـن الأوقـات ، وذلـك مـن أجـل تعظيمهـا وفضـل التمـاس أجرهـا ، فقـد كـان السـلف الصـالح يسـتعدون لهـا لإحيائهـا علـى أكمـل وجـه ، ففيهـا كـل الخيـر بطـيٍّ صـفحة الـذنوب ، وتجديـد العهـد مـع الله واتباع سنة نبيه ﷺ ، وذلك هو سبيل النصر .

وفي نص (ضراعة مؤمل وحسرات محزون) ثلاثة مواقف ، في الموقف الأول :

يصـف حالتـه داخـل المستشـفى لإجـراء جراحـة لإحـدى كليتيـه ، موقـف تنبعـث منـه تجربـة شـعورية ، فهـو بـين الحيـاة والمـوت ، وقـد يفقـد حياتـه فـي أي لحظـة ، ومـع كـل ذلـك يملأه إيمانه الراسخ بأن أمره بين يدي الله في حياته وبعد مماته ، فقال :

فأدركـــت أن الله لبَّى ضـــــراعتي ** لعلّـــي من بحـــــر العنايـــــات أغـــرف

أيا مبضع الجراح رفقـــاً بمهجتي ** ففـــي كل نبض من فؤادي موقـــف [1] .

توسـلٌ ورجـاء وتضـرع لله جـلّ وعـلا ، ثـم يسـتنطق بالنـداء والاسـتعارة مبضـع الجـرّاح ، فيطلـب الرفـق والمحافظـة علـى كـل نـبض ، وفـي لفـظ (موقـف) صـورة تـدعو للتأمـل ، فـالمواقف عنـده متعـددة منهـا : مـا يتعلـق بموقفـه مـن الأعـداء الغاصـبين للأقصـى وهـذا الغالـب عليـه بألفـاظ صـريحة ظـاهرة مـن خـلال قصـائده ، ومنهـا مـا هـو مخفـيّ فـي صـورة الرمـز الـذي كثيـراً مـا اسـتخدمه قناعـاً ضـد الظلـم والاسـتبداد وهـذا كثيـر أيضـاً فـي شـعره ، وهـذا الموقـف يدفعـه لنصـح الآخـرين فـي مثـل هـذه الحالـة ، كـالتحلي بالصـبر وتسليم الأمر للخالق المعبود .

والموقـف الثـاني : هـو فـي صـورة عتـاب أو نصـحٌ وإرشـاد موجـه لأصـدقائه أو أقاربـه أو للأجيـال اللاحقـة ، ويسـتمر الـنص فيتـذكر إخوتـه المـؤمنين فيرشـدهم إلـى الموقـف الصحيح فقال :

إذا نطقوا فالصـــدق والبـــرّ والتقـــى ** وإن وعـــدوا كانـــوا طليعـــة من وفّـــوا

مشاعل تطوي بالهـــدى عتمة الدّجـــى ** ودومـــاً بوجـه الظلـــم والزور تقـــذف

دروع تصـدُّ الشّر عـن خير أمـــة ** رمـــاح بكـف الـمجد والحق ثقّفوا [2] .

يـأتي الحـث علـى الجهـاد ضـد أعـداء الأمـة مـن خـلال وصـفهم بالـدروع والرمـاح التـي تسـتعمل مـن أجـل القضـية ، وهـذه الأسـلحة التـي ذكرهـا لا تكـون إلا بأيـدي مـن يملكـون النخـوة والغيـرة الشـديدة علـى أمـتهم التـي وصـفها القـرآن بأنهـا خيـر أمـة أخرجـت للناس .

والموقـف الثالـث : فـي خاتمـة الـنص يتوجـه بالخطـاب للجيـل القـادم ، خطـابٌ فيـه رجـاء لعلّ من يخاطبهم يقتفوا أثر السلف الصالح ، ثم يتوجّه إلى أسرته ناصحاً فيقول :

مـــددت يدي للجيـــل جيـــل محمـــد ** لعـلّ يـدي من روضـة البـر تقطـفُ

فإن عشـــت بعـــد اليـــوم فالله منقـــذي ** ورائـــد دربـــي في المسيـــرة مصحـــفُ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 160 .

[2] المصدر السابق : ص 161 .

وإن مـتُّ فالغفـران بعـض مؤمّلـي ** فلا تبذلوا الدمـع السّخيـن وتذرفـوا

لأنـي ضيفُ اللّـه فـي ظـلِ رحمـةٍ ** ومن بـات للرحمـن ضيفاً سينصف [1] .

فـي البيتـين : الأول والثـاني حـدَّدَ صـفة الجيـل ، فهـو جيـل محمـد ﷺ الـذي يتأمَّـلُ فيـه خيـراً وقـد مـدّ يـده لإسـداء النصـائح لعلّـه يلقـى ربّـه بعـد ذلـك ، فـإن أطـال الله فـي عمـره ، فهـو علـى الـنهج السـليم وسـلاحه القـرآن وأملـه فـي خالقـه كبيـر ليغفـر ذنوبـه ، ثـم ينتقـل بالخطـاب بصـيغة النهـي ناصـحاً وموجهـاً أسـرته بقولـه: (لا تـذرفوا الـدمع) وهـذا يدل على قوة إيمانه ؛ لأنه موقن أنه إلى جوار ربه ضيفاً منعّماً .

وفي نص (لله تذرف العينان) قال :

وأذرف دمـع العيـن لله خشيـة ** وليـس لغيـر الله عينـاي تدمـع

بذلـت حياتـي للمـروءات والحجـا ** وكنـت لنور الحـق أمضـي وأسرع

ويممـتُ صـوبَ المجـد أبغـي رحابـه ** وكفّـي لصـرح البـر والخيـر ترفـع

طويـت الليالـي فـي حياتـي ترفعـاً ** ومـا كـان لـي في حـق غيـري مطمع[2] .

يلاحـظ علـى الأبيـات أن لهـا علاقـة بتجربـة الشـاعر ، حيـث يعتـرف أنـه بـذل جهـده فـي البـر والإحسـان وإصـلاح ذات البـين ، ويـرى فـي نفسـه أنـه يتمتـع بخبـرة فـي الحيـاة ، وصـاحب فضـلٍ علـى غيـره دونمـا طمـع ، وفـي ذلـك توجيـه غيـر مباشـر بالنصـح والإرشاد ، فبذكره للصفات الحسنة يتمنى من غيره أن يحذوا حذوه .

ثم يتابع النص فيقول :

ولـي إخـوة فـي الله رقّـت قلوبهـم ** تبـاروا لـدى المحـراب لله ركّـع

ولكنهـم عنـد اللقـاء شوامـخ ** إذا ضمّهـم يـوم الكريهـة مجمـع

يصونـون عهـد البـر والـود خالصـاً ** وغيرهـم للـود والعهـد ضيّعـوا [1].

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 161 .

[2] المصدر السابق : ص 338 .

في هذه الأبيات يركّز حديثه على إخوة في الله عاش حياته معهم ، وقد أشاد بصفاتهم مما يجعلها تقع في دائرة النصح غير المباشر، فيتمنى أن يرى هذه الصفات عند أصدقائه وخاصته ، وقد أجاد انتقاء الألفاظ ، وفي قوله :

وما كلُّ قلب في الضلوع مُتيَّمُ ** وليس نضاراً كلُّ ما كان يلمع [2].

يقدم هذا الرأي بأسلوب التقرير ، وهذا يدل على تجربة صادقة جعلته يدعو إلى التمهل والانتباه عند اختيار الصديق أو الرفيق ، ولعلّه أراد ألا ينبهر أو ينخدع بالجيل الجديد المتأثر بالحضارة الغربية الزائفة في عاداتها وتقاليدها.

قال بعض البلغاء : " ليس تكمل محاسن الصفح إلّا بالإضراب عن مذلة التوبيخ ، فإن التأنيب أوجع وقعاً في وجه الكريم من وقع الضرب في بدن اللئيم " [3] .

ومن نص (عتاب) يلاحظ من خلال الأبيات أن تجربة الشاعر كانت في معرض قطيعة من أحد رفاقه ، فأوقع أثراً موجعاً في نفسه ، فقد بقي بين ذهول وتساؤل ، فأبدع في النص الذي بدأه بالعتاب ثم انتقل لغرض النصح والإرشاد فقال :

ما ضرّ قلبك لو عاتبت يا قاسي ** وقد أصبت بسهم الظلم إحساسي

قل لي بربك ما سر الجفاء وما ** سرُّ التنكر للجرّاح والآسي

كم ضمّد الكفُّ آلاماً مبرّحة ** وسلّ رفقي أسقاماً من الرأس

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 338 .

[2] المصدر السابق ، ص 338 .

[3] الصداقة والصديق : أبو حيَّان التوحيدي ، ت 400 هـ ، تح، إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط 1 ، 1419 هـ ، 1998 م ، ج 1 ، ص 146 .

صوّبت سهمك ترمي صدر صحبتنا ** وكنت زينة إخواني وحرّاسي [1].

عتاب ذكر فيه مآثر صديقه بأسلوب الرفق واللين ، علَّه يكون سبباً في إصلاح ذات البين ، والمعنى إذا كنت متحلّياً بهذه الصفات ، فهي خير حافظ لك ولدوام صداقتنا، وهذا المعنى يحمل مضامين النصح بطريقة غير مباشرة ، واستمراره في سرد النصائح حتى آخر النص ، فإن لذلك خصوصية ظاهرة تدل على حسن الاهتمام .

ومن نص (فرية مأفون) يقول :

كفَّ الملامة والعتابْ ** يا من تَعيبُ ولا تُعابْ

وَهمَاً بأنّك كاملٌ ** ونسيت أنّك من ترابْ

تغتاب إخوان الحمى ** وتُضيعُ عمرك في اغتيابْ [2].

يُفهَمُ من العنوان أن النص سجل تجربة وقع أثرها بالحزن والألم في نفس الشاعر ، فكانت الأبيات رداً على إهانة حاول أحد المفسدين إلحاقها به ، وبعد أن أنّبَهُ على فعله بنشر الفتنة والغيبة والنميمة بين الأخلاء ، أشار إلى أن أصول البشر من تراب ، مذكِّراً إيَّاه بأنه ضعيف أمام قدرة الخالق فبدأ بفعل الأمر ، وفي ذلك توجيه وإرشاد وتذكير بخطر الغيبة والنميمة التي حذَّر منها الخالق عز وجل في غير آية من التنزيل العظيم كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [3] .

ثم يتوجه بالدعاء لله تعالى فيقول :

ربَّاه جُدْ لي بالرضى ** واجعل دعائي مستجابْ

إن زلّ يوماً لي لسان ** جئت أرجوك المتابْ

حتى أُمَتَّعَ بالجنان ** وأتَّقي سوء العذابْ [4] .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 87 .

[2] المصدر السابق : ص 360 .

[3] سورة القلم : الآية 11 -12 .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 361 .

يُفْهم من ذلك رغبته في المحافظة على التمسك بآداب الحديث بالانتباه لعثرات اللسان وما ينتج عنها ، وهذا له علاقة بالعنوان الذي يُنَفِّرُ من صفة الكذب .

إن ما يلاحظ على الشاعر يوسف العظم كثرة سفره وترحاله فهذا من جانب ، أنه شيء محمود ففي السفر تجديد ذهني وعقلي ، وبالمقابل قد يكون هروباً من الواقع الأليم والحالة النفسية التي يشعر بها ، وقد نُصَنِّفُه من ضمن شعراء الغربة النفسية التي تكون عزلتهم في الابتعاد والهروب من واقع لا يستطيعون التكيف معه ، فيلجؤون إلي الماضي والذكريات والوقوف على الأطلال والحديث عن الأشواق والحنين ، وقد يسترعي انتباهه توصيف مشهد من الطبيعة أو طائر أو جبل أو بحر، فيصفه وصفاً نفسياً يجسد من خلاله تجربته الذاتية ، وفي نص (واعجبي) وأثناء جلوسه في مقعد الطائرة جادت قريحته بقصيدة وصف من خلالها الطائرة والسفن في البحر فقال :

بحر من النور أم بحر من الذهب ؟** تموج فيه الجواري دون مضطرب

أبصرتُ نفط دياري في تحركها ** فقلت في حرقة المحزون واعجبي

وإذ بنا بعد لحظٍ نمتطي سحباً ** تموج حول جناح الطير في سحب

طيرٌ من الصلب ما زالت جوانحه ** تنساب موثوقة الجنبين بالذنب[1].

يتحسر الشاعر ويعتصر قلبه حزناً وألماً وهو يشاهد خيرات بلاده يستفيد منها الأجنبي ويشعر أنه غريب في وطنه ، ويتعجّب من التقدم المذهل الذي وصل إليه غير العرب ، ومن ذلك الطائرة التي يستقلها مع غيره من عرب ومن عجم ، ولسان حاله يقول : كيف أقنع هؤلاء أننا أمة لنا فضل السبق في العلوم المختلفة ؟ وفي نهاية النص يدرك الأسباب التي أسهمت في تخلف الأمة ، فيقول :

بأننا قد تركنا الحق عن سفهٍ ** وكان رائدنا للخير خير نبي

وأننا أمةٌ تاهَ الزمان بها ** فخراً فصارت م الأيام دون أبِ

كانت خديجة أمَّاً في مسيرتنا ** واليوم أم الحمى حمَّالة الحطبِ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 187 .

وكـان حمـــزة يـــرعى ركـــب دعوتنـا ** واليـــوم عـــاد ليرعانـــا أبـــو لهبِ

أذلَّنـــا قـــادة فـــي كـــل معتـركٍ ** وجرَّعونـــا كـــؤوس الـــذل والهـرب[1].

فـي الأبيـات صـورتان متقابلتـان تصـور المشـهد بـين الماضـي والحاضـر، وهـذه المأسـاة كـان لهـا بـالغ الأثـر الحـزين فـي نفـس الشـاعر مـع بُعْـدِه عـن قومـه لفتـرة مـا فـي أرض الغربـة ، وإذ يصـوّر هـذه المتقـابلات ، فـإن فـي مضـمونها دعـوة توجيـه ونصـح وإرشـاد لأبنـاء الأمـة ، وهـذه الحالـة الموسـومة (بحرقـة المحـزون) كمـا شـبهها الشـاعر تلتقـي أو تقتـرب مـع حالـة (عبـد الـرحمن الـداخل) [2] فـي الحـديث عـن نخلـةٍ رآهـا فعقد بينه وبينها مشاركة من حيث الاغتراب والحالة النفسية لكليهما فقال :

تبدّت لنا وسـط (الرصافة) [3] نخلـة ** تنـاءت بـأرض الغـرب عـن وطـن النخـل

فقلـت شبيهـي في التغـرب والنـــوى ** وطـول التَّنـائي عـن بنـي وعـن أهلـي

نشـأت بأرضٍ أنـت فيهـا غريبـــــة ** فمثلـك فـي الإقصـاء والمنتـأى مثلـي[4] .

وظَّـف الشـاعر الحـوار مـع النخلـة فـي وصـف تجربتـه مـن خـلال البعـد عـن أهلـه وموطنه الأصلي والذي ينتج عنه الحنين إلى العودة .

وخلاصـة القـول : إن مـرور التجربـة الاجتماعيـة والتاريخيـة للأمـة عبـر التجربـة الذاتيـة ، هـو مـا تقـوم بـه الفنـون وحـدها ، لـذلك بقـدر مـا هـي لا تسـتهدف المسـتوى الخـارجي لتجربـة الاجتمـاع والتـاريخ ، فإنهـا تعبـر أعمـق تعبيـر وبأسـلوبٍ مـؤثِّرٍ لـه مغـزاه ، والتجربـة الذاتيـة المـؤثرة تقـدم العبـر والـدلالات فـي مسـيرة حيـاة الانسـان بحيـث تظهـر مكـامن الإبـداع فـي النشـاط الإنسـاني ، وهـي فـي ذات الوقـت تمثـل لوحـة لكـل البشـر الـذين يكابـدون الشّـقاء بـين تطلـع الحلـم ووطـأة الواقـع وهـذا مـا يمكـن ملاحظتـه عنـد الشـاعر يوسف العظمة .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 187 .

[2] هو : عبد الرحمن الداخل بن معاوية الملقب بصقر قريش ، لقِبَ بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين ، يعتبر أحد المشاهير في العالم ، ت 172 هـ .. ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي : ج 3 ، ص 338 .

[3] (قصر الرصافة بقرطبة أنشأه قسطنطين بن هيلانة ، وجدد الرصافة وسكنها هشام بن عبد الملك) ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت ، ج 3 ، ص 48 .

[4] الحلة السيراء : محمد عبد الله القضاعي ، تح ، حسني مؤنس ، دار المعارف القاهرة ، 1985م ، ج 1 ، ص 37 .

الفصل الثاني :

اتجاهات النصح عند الشاعر .

المبحث الأول : الترغيب والبشارة

المبحث الثاني : الترهيب

المبحث الثالث : العتـــاب

المبحث الأول

الترغيب والبشارة :

الترغيب لغة : " رغب يرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه ، والرغبة : السؤال والطلب ، وأرغبه في الشيء غيره ، ورغّبَهُ ترغيباً : أعطاه ما رغب " [1] ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ** ﴾ [2] .

والترغيب : " تحبيب النفوس في فعل الأعمال الصالحة ودفعها إلى ذلك ، وذلك بذكر النصوص المبينة لثواب تلك الأعمال والفضل المرجو من فعلها " [3] .

وعند أهل التفسير هو: " أمر عام بالعبادة الجامعة ، بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وتصديق خبره " [4].

وفي الاصطلاح الصوفي : الرغبة : " نزوع تلقائي واعٍ نحو غايةٍ معيّنة ، وردت في القرآن الكريم ثمانِ مرّات على اختلاف مشتقّاتها ، والرغبة أيضاً : مفتاح التعب ومطية النصب وهي انبساط الأمل في الطلب " [5] .

وأسلوب الترغيب ورد كثيراً في القرآن الكريم ؛ بغرض الترغيب في دين الله سبحانه وتعالى ، من أجل تطبيق تعاليمه وحصول الثواب والأجر العظيم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ [6] ، وذلك ترغيبُ في فعل الخيرات ؛ لأن أجرها مضاعفٌ عند الله تعالى .

---

[1] تاج العروس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ، ت 1205 هـ ، تح ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ج 1 ، ص 529 (رغب) . .

[2] سورة التوبة . الآية 59 .

[3] معجم لسان المحدثين : محمد خلف سلامة ، الموصل ، 14/ 2 / 2007 م ج 2 ، ص 285 .

[4] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن السعدي ، تح ، عبدالرحمن اللّويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1420 هـ ، ج1 ، ص 44 .

[5] موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان : إعداد محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزاني الحسيني ، مكتبة دار الحكمة ، دمشق ، سورية ، 1426 هـ 2005 م ، ج 9 ، ص 112 (رغب) .

[6] سورة الأنعام : الآية 160 .

ومن الترغيب في قبول النصح قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ** ﴾ [1] ، وقد كرّر (يا قوم) ؛ لتعطيف قلوبهم ، وبما أن الشعر " كلام موزون مقفّى قصداً ، فإنّه في (اصطلاح المنطقيين) : قولٌ مؤلفٌ من أمور تخييليه يُقصدُ به الترغيب أو التنفير " [2] .

في ضوء ما سبق يتضح أن الترغيب هو : حث النفس الإنسانية وتحبيبها وتشويقها على القيام بعمل معين ، أو الاعتقاد به في مقابل الحصول على جزاء محبب إما عاجلا أو آجلا أو كلاهما معا .

لقد جادت قريحة كثيرٍ من الشعراء بأسلوب الترغيب في شعرهم من أجل التأثير في نفس المتلقي ، ومن ذلك الترغيب في الصبر ، كما في قول (الإمام الشافعي) :

ولربّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ** ذرعاً وعند اللهِ منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ** فُرِجتْ وكنت أظنّها لا تُفرَجُ [3] .

والترغيب من المعاني التي تستعمل للدلالة عليها صيغة الأمر ، فلمَّا يستعمل الاستفهام في الأمر يمكن أن يستعمل في الترغيب كما في التنزيل قوله جلَّ وعلا : ﴿ **يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ** ﴾ [4] ، أي ارغبوا في هذه التجارة مع الله تعالى ، فهي مضمونة الربح بوصفها منجية من العذاب وتختلف عن تجارة الدنيا الزائلة ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ﴾ [5] ، أي ارغبوا في الثواب العظيم فأقرضوا الله قرضاً حسناً بالإخلاص في العبادة ؛ ليكون الجزاء مضاعفاً.

---

[1] سورة غافر : الآية 38 ـ 39 .

[2] المعجم الوسيط : ج 1 ، ص 484 .

[3] ديوان : الإمام الشافعي ، ص 39 .

[4] سورة الصف : الآية 10 .

[5] سورة البقرة : الآية 245 .

وفي كل ذلك نصح وإرشاد وترغيبٌ في فعل الخيرات ، ومن نص (اللعوب الفارس) يقول يوسف العظم :

نحن كنَّا وسوف نصبح يوماً ** قبس الكون قادة للأنام

بالحضارات والمكارم سدنا ** لا بتنميق خطبة وكلام

أمتي أمة الكرامة والمجد ** إن عدت للهدى لن تضامي [1].

يربط الشاعر بين الماضي التليد والمستقبل المنتظر ، دون الإشارة للحاضر الذي آل إليه حال الأمة ، وقد اشترط تجاوز الحاضر بالعودة للهدى من خلال مخاطبته الأُمّة ، أملاً وترغيباً في تجديد ماضي العرب الزاخر بالعلوم المختلفة والأمجاد العريقة ، ويتم ذلك بالأفعال لا بالأقوال .

ومن نص (سيوف الإيمان) يقول يوسف العظم :

فالنصر يسعى لمن يسعى لساحته ** ومن يعاف العلى أولى به الحفر

من بايعوا الله فالفردوس موئلهم ** ومن تنادوا لغير الله قد خسروا [2] .

أشار الشاعر إلى أنه لا يتحقق النصر ويؤتي ثماره ، إلا لمن عقد العزم على تحقيقه بالترغيب والأخذ بالأسباب المؤدية للوصول إلى المبتغى ، وبالاستعارة جعل النصر في صورة الإنسان الذي يملك أسباب النصر ، ثم يؤكد على ذلك باستعمال أسلوب الشرط وبتكراره في البيت الثاني ، وفي هذا ترغيبٌ في إحياء الطموح الإنساني نحو مواصلة الجد والاجتهاد لتحقيق غاياتٍ نبيلة .

وفي البيت الثاني من نص العظم يتكرر الترغيب نحو تقوى الله سبحانه وتعالى ، فإخلاص النية والعبادة بالمبايعة والعهد يقابله الجزاء الأوفى ، وهو المقام في الفردوس الأعلى من الجنة ، وبالمقابل صورة أخرى عكسية في شطر البيت الثاني لمن ابتعدوا عن جادة الطريق فخسروا أنفسهم وأهليهم .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 74 .

[2] المصدر السابق : ص 418 .

ومن نص(رجعة يا رب) يقول يوسف العظم :

يا رب في جـــوف الليـــالي ** كم ندمـــــت وكـــم بكيت

ولكـــم رجـوتك خـــــاشعاً ** وإلى رحـــــابك قـــد سعيت

قـــد كنت يومـــاً تائهـــاً ** واليـــــــوم يـــا رب وعيت

يا رب من لي غيـــر نـورك ** إن ظللـــت وإن غويـــت [1] .

يستلهم الشاعر هذا المعنى ، وهو كثير جدًا في النصوص القرآنية ، وذلك ناشئ عن تشرب القرآن الكريم ، ألفاظهِ ومعانيهِ ، فوظّفَ هذه المعاني بما فيها من قوة إيحاء ودقة تصوير وعمق دلالة ؛ ليخلعها على نصّه فتصبح جزءاً من نسيجه ، والشاعر إذ ينتقي الألفاظ (جوف الليل ، الندم ، البكاء ، الرجاء ، الخشوع ، التائه ، الوعي) ، فإنه يستمدها من آياتٍ كثيرةٍ في كتاب الله العزيز ، وهو بذلك يدعو غيره بالترغيب المستمر في الإنابة والأوبة إلى الله تعالى بتوبةٍ خالصة ونصوحة وذلك ما سيتبين من خلال تكملة الأبيات فيقول :

فـــــإذا نويت البر يـــا الله ** فـــــاقبل مـــــا نويت

أنـــا إن رميـــت ضـــــلالتي** فبسهم ربي قـــــــد رميت

أو كنت تدعـــــوني إلهـــــي ** للرجـــوع فقـــــد اهتديت [2].

المعاني في عمومها معانٍ مستوحاة كما سبق الذكر من آيات الكتاب لا يصعب ردّها إلى أصولها وقد استثمرها الشاعر في نصّه ، وإن هذا التكثيف في المعاني المستوحاة من كتاب الله وما يتبعها من مغزى إيماني وتأثير على النفس المؤمنة ، إذا ما سمعت مثل هذه الأبيات بما تحمله من دلالات الترغيب ومن إيحاءات وتصوير، فإن هذه اللهجة تتصاعد ؛ لتصل ذروة التأثير في نفس المتلقي فيشعر بالطمأنينة تغمر قلبه .

---

(1) (2) الأعمال الشعرية الكاملة : ص 65 .

ومن نص (الفتية الأبابيل) يقول العظم :

حجـــــارة القدس نيران وسجيـــل ** وفتيـــــــة القدس أطيـــــار أبابيلُ

وســـاحة المسجد الأقصى تموج بهم ** ومنطق القـــــدس آيـــــات وتنزيلُ

والشعب يزحف إيمـــــاناً وتضحيـةً ** مـــا عـــاد يوقف زحف الشعب تنكيلُ [1].

يصـــور الشـــاعر مـــن خـــلال الـــنص بطولـــة أطفـــال الحجـــارة الـــذين لا يهـــابون المـــوت ، فهـــم كطيـــور الأبابيـــل التـــي قصـــفت العـــدو بالحجـــارة . أولئـــك الأطفـــال الـــذين امتشـــقوا الحجـــارة وجعلـــوا منهـــا ســـلاحاً فـــاعلاً فـــي مواجهـــة العـــدو ، فأصـــبح لهـــم مـــن الشـــأن مـــا كـــان لتلـــك الطيـــور التـــي قضـــت بالحجـــارة علـــى جـــيش الفيلـــة ، وهكـــذا بـــدأت القصـــيدة غنية بالمعاني وغزيرة بالرموز المعبرة ، ثم يواصل النص فيقول :

وصيحة الشعب حـــــراً في تدفقـــه ** من المســـــاجد تكبيرٌ وتهليلُ

حيُّوا الجموع التي هبّت لنجدتـــــــه ** يقود ركب الهدى للنصر جبريلُ

تعـــاهد القدس في صدقٍ بـأن لها ** عهداً مع الله مـــا للعهد تبديلُ [2].

يتـــراءى مـــن خـــلال قـــراءة الـــنص وكـــأن الشـــاعر يرمـــي مـــن وراء ذلـــك إلـــى أن يصـــدح بصـــوته للشـــعب الفلســـطيني خاصـــة وللامـــة الاســـلامية عامـــة ، فـــي صـــورة الترغيـــب والحـــث علـــى الجهـــاد بالالتحـــاق بجمـــوع الانتفاضـــة ، وهـــو يرســـم فـــي مخيلـــة المتلقـــي صـــورة الجمـــوع الزاحفـــة ويجعلـــه أشـــد انتباهـــاً ، معلنـــاً أن يـــا شـــعب عليـــك ألا تشـــعر بالرعـــب أمـــام هـــذا العـــدو، وإن كـــان ذا قـــوة عاتيـــة ، فوجـــود الإرادة والإصـــرار وقـــوة العزيمـــة ، كـــل ذلـــك كفيـــلٌ بخلـــق الظـــروف القـــادرة علـــى صـــنع المعجـــزات ، ولـــيس هنـــاك مـــن شـــاهد أدلَّ لـــذلك ممـــا يفعلـــه هـــذا الســـلاح المســـمى بالحجـــارة فـــي بـــث الرعـــب فـــي نفـــوس العـــدو الـــذي وصـــفوه بأنـــه الجـــيش الـــذي لا يقهـــر ، وفـــي تحيـــة الشـــاعر للجمـــوع تأكيـــد بـــأن دعوتـــه لاقـــت قبـــولاً مـــن أجـــل الأقصـــى ، وفـــي ذكـــره لشخصـــية (الملـــك جبريـــل) دلالـــة واضـــحة وجـــود المـــدد الإلهـــي بالملائكة ، ثم يواصل فيقول :

---

(1) (2) الأعمال الشعرية الكاملة : ص 205 .

تكلّم الحجر القدسي فانتفضت ** سواعــدُ الصِّيـدِ واندكَّت أباطيلُ

أَنَّى توجه جيش البغي في صَلفٍ ** في كل ناحيةٍ يلقاه (عزريلُ) [1] [2].

الحجــر القدســي هــو رمــز انتفاضــة القــدس ، بســواعد الأبطــال التــي شــبّهها بالصِّيد كنايـة عـن السـواعد الفتيـة الشـجاعة ، والشـاعر يلـتمس الصـور والـدلالات الرمزيـة فـي محاولـة لإحالـة القـارئ نحـو صـوب يـدرك مـن خلالـه الرمـوز التـي أسـس فكـرة قصـيدته عليها ، ثم يواصل النص فيقول :

الطفــل والشيخ والأم التي خرجــت ** في كفِّها الموت للطغيان محمولُ

والقدس أرض العلى والمجد مذ عُرِفَت ** يبــارك الله قــــرآنٌ وإنجيـلُ [3] .

الشـاعر لـم يسـتثن أحـداً مـن العائلـة ، فـالجميع يحمـل فـي كفيـه الحجـر القاتـل الموجـه صـوب العـدو الظـالم وهـذا دليـل علـى الترغيـب فـي وحـدة الصـف وعلـى التكـاثف والتـآزر بيـنهم ، فالهـدف الـذي يجمعهـم واحـد وكـذلك المصـير، ولـولاهم لمـا أدى الحجـر مهمته ، فهم أداة الرمي .

وفـي البيـت الثـاني يشـيد بمكانـة القـدس قـديماً وحـديثاً وإلـى تـآلف وتعـدد الـديانات فيهـا وهـذه دعـوة إلـى تقبُّـل الآخـر، وبـالعودة إلـى عنـوان الـنص يلاحـظ أنـه عمـل علـى إيجـاز هـذه الواقعـة التاريخيـة وتكثيفهـا ؛ ليصـوِّر فـي سـياق هـذا الإطـار الحجـر علـى بسـاطته يمكـن أن يكـون أداةً حربيـة وفعَّالـة لا تُـقْهر ، إذا مـا رافقـه عـزم صـارم وإرادة قويـة وحاسمة ، وذلك من جانب أن هذا الشعب في وضع يدافع فيه عن حقوقه المنهوبة .

ومن نص (ضلالٌ ... وخبالٌ) يقول العظم :

كسرنــا قوس حمزة عن جهــالة ** وحطمنا بــــلا وعي نباله

فمزقنــا العــدوَّ ولا جهــــاد ** وشردنا الطغــــاةَ ولا عدالة

وباتت أمــــة الإســـلام حيرى ** وبات رعاتهـــا في شر حالة

---

[1] عزريل هو :اسم ملك الموت ومعناه عبد الله .ينظر : تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، تح ، صدقي محمد جميل دار الفكر ، بيروت ، 1420هـ ، ج 8 ، ص 434 .

[2] [3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 205 .

فــلا الصديق يرعـــــــاها بحزم ** ولا الفـــــــاروق يورثها فعالة [1].

لــم يقتصــر الشــاعر علــى القــرآن والحــديث فــي المحاكــاة والاســتفادة والتوضــيح ، وإنمــا أدخــل التــاريخ الإســلامي ومــا يتصــل بــه مــن شخصــيات فــي شــعره ، محاولــة منــه لإعـادة قـراءة التـاريخ ، ومـن ثـم توظيفـه بصـورة انتقائيـة هادفـة غالبـاً مـا يـرى فيهـا تجسـيداً لمواقـف بطوليـة هـذا مـن جانـب ، ومـن جانـب أخـر يرسـم صـورة لقـوى الشـر المتجـددة فـي غيـر زمـان ومكـان مـن هـذا العـالم الإسـلامي ، فـإن " الأحـداث التاريخيـة والشخصـيات التاريخيــة ليســت مجــرد ظــواهر كونيــة عــابرة تنتهــي بانتهــاء وجودهــا الــواقعي ، وإنمــا لهــا إلى جانب ذلك دلالاتها الشمولية الباقية " [2] .

وَلِلَّقَبِ هنـا دلالـة يعجـز الاسـم المباشـر عـن الوفـاء بهـا ؛ لأن اللقـب يحمـل إشـارة مزدوجـة (توظيف + تعيين) [3] .

إن هــذه الشخصــيات جزئيــة مــن الــنص ، لكنهــا لا تســتطيع فــي الوقــت الحاضــر أن تلبــي رغبــات المســتغيثين للنصــرة ، وتوظيفهــا مــن قبــل الشــاعر ، إنمــا هــو ترغيــب وتحفيــز لاقتفاء أثارهم .

ومـن الملاحـظ أن مـا يجمـع بـين هـذه الشخصـيات هـو الشـجاعة والقـوة الإيمانيـة ، فشخصــية حمــزة بــن عبــد المطلــب [4] تســتدعي بطولتــه فــي غــزوة بــدر الكبــرى ، واستشـهاده فـي غـزوة أُحَـد وأبـو بكـر الصـديق يلفـت انتبـاه المتلقـي إلـى صـحبة رسـول اللهﷺ فـي الهجـرة ، وإلـى الخلافـة وحـروب الـردة ، وعمـر الفـاروق يتّسـمُ بصـفة الشـجاعة والعدل ، ثم يواصل الشاعر استدعاء الشخصيات البارزة فيقول :

ولا حطينَ يصنعها صـــــلاحٌ ** طوى الجبنـــــاءَ في خور هلِاله

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 77 .

[2] استدعاء الشخصيات التراثية : زايد علي عشري ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، القاهرة 1997 م ، ص 120 .

[3] أشكال التناص : أحمد مجاهد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1998 م ، ص 28 .

[4] هو : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة ، قتل يوم السبت في النصف من شوال سنة 3 هـ ....ينظر معرفة الصحابة : أبو نعيم الأصبهاني ، ت 430 هـ ، تح ، عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط 1 ، 1419 هـ ، 1998 م ، ج 2 ، ص 672 .

سرى صوتُ المؤذنُ في حِمَـانا ** وقد فقدت مـــآذننا بِلاَلَـــــــــه [1] .

(وصـــلاح الـــدين الأيـــوبي) ارتـــبط اســـمه بحطـــين ، و(بـــلال بـــن ربـــاح) ارتـــبط اســـمه بـــالآذان ، والملاحـــظ فـــي الـــنص كثيـــرٌ مـــن الأســـماء البـــارزة فـــي التـــاريخ الإســـلامي البطولي.

إن الكثافـــة التكراريـــة فـــي اســـتدعاء الشخصـــيات لهـــا أثرهـــا فـــي نفـــس المتلقـــي ، والتكـــرار هنـــا تكـــرار معنـــى ولـــيس تكـــرار لفـــظ ، ذلـــك أن الشخصـــيات المـــذكورة فـــي الـــنص إنمـــا اكتســـبت مواقعهـــا عنـــد النـــاس علـــى مـــرّ التـــاريخ مـــن خـــلال بطـــولاتهم ، ومـــا قـــاموا بـــه مـــن معجزات كان لها بالغ الأثر في النفوس ، ثم يواصل فيقول :

وأقصـــــانا يدنسهُ يهـــــودُ ** ويعبث في مرابعِـــــــهِ حثالـــــة

نشدُّ رحـــــالنَا شرقاً وغرباً ** وأولى أنْ نشُـــــــدّ لـــــــه رحاله

وحادي الركب بومٌ أو غرابٌ ** وقد قـــاد الجموعَ (أبو رِغـــــــاله)[2].

فيرتع في مرابعنـــــا دخيل ** يطارد في حضـــــــارتنا الأصـــــالة [3].

يتحسّـر الشـاعر ويعتصـر ألمـاً وهـو يـرى بـأم عينيـه مـا يحـدث للأقصـى ، والأمـة فـي سـباتٍ عميـق يعبـث الطغـاة بمقدسـاتها وينـادي ولا مـن مجيـب ، ويـرى مـن الأولويـة بمكـان أن تشـد الرحـال إليـه ، ومـا آل إليـه حـال المسـلمين إنمـا هـو نتيجـة الخيانـة ، وقـد أكـد ذلـك مـن خـلال استحضـار شخصـية (أبـو رِغـال) الـذي اشـتهر بقصـته المشـهورة

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 77 .

[2] هو :قسي بن منبه بن اليبيت بن يقدم أبو رغال بكسر الراء ، ت 50 ق هـ ، وقبره معروف ولم يمض نصف قرن فمرّ النبي ﷺ فعلم بصنيعه فأمر برجمه ...ينظر : السيرة النبوية : ابن هشام ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مج ، 1-2 ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008 م ، ص 32 ، وينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي : ج 5 ، ص 198 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 78 .

كـدليل (لأبرهـة الحبشـي) [1] عنـدما أراد هـدم الكعبـة الشـريفة ، فصـار كـل مـن يـؤدي الـدور الخيـاني جـديراً بـأن يسـمى بـذلك ، فهـذه الشخصـية لهـا عمـق سـلبي وسـوداوي لـدى القـارئ أو المتلقـي ، وقـد اختـار الشـاعر الكنيـة لشـهرتها ، وإن زيـادة فـي المبنـى تـؤدي إلـى زيادة في المعنى .

اسـتطاع الشـاعر أن يوظـف هـذا التكـرار للشخصـيات خدمـة لنصّـه بمـا ينسـجم مـع تطلعـات القـارئ أو المتلقـي ، إلا أن هـذا التوظيـف كـان عكسـياً ؛ لأنـه اسـتدعى هـذه الشخصـيات مـن جـانبين (الترغيـب والـتهكم) ، أمـا الترغيـب فإنـه يحـرض ويحـث علـى الجهـاد مـن أجـل المقدسـات التـي دنّسـت ، ويـذكر الناشـئة بضـرورة قـراءة التـاريخ جيـداً للاطـلاع علـى ماضـي الأمـة المجيد ، وأمـا مـن جانـب الـتهكم ، فالمقصـود بـه ساسـة الأمـة وعلاقاتهم بشعوبهم ، وهذا الإسقاط على المراد كثيرٌ ما يلجأ إليه الشعراء .

مـن هنـا كانـت الفكـرة الرئيسـة لهـذا الاسـتدعاء تقـوم علـى قلـب وتحويـل الشـجاعة إلـى غايـة فـي التخـاذل والسـقوط ، فالعلاقـة بـين هـذه الشخصـيات وبـين الواقـع المعـيش علاقـة تضـاد وتخـالف ، ويـرى الباحـث مـن خـلال حشـد هـذه الجمـوع مـن الشخصـيات بمـا فيهـا مـن ألفـاظ ذات دلالـة تُحـدِثُ عنـد الشـاعر مفارقـة دلاليـة واضـحة تتمثـل فـي اخـتلاف المواقف بين الشخصيات قديماً وشخصيات الحاضر .

إن الشـاعر مـن خـلال ذلـك يوجـه رسـائل ضـمنية للمخلصـين مـن أبنـاء أمتـه مـن خـلال الترغيـب فـي قـراءة التـاريخ الإسـلامي وفهمـه ونقلـه للأجيـال كمـا هـو؛ ليسـتنهض الهمـم أملاً في إحياء أمةٍ من سباتها وقد ضحكت من جهلها الأمم .

البشارة :

مـن " بشَّـر يبشّـرُ بشَـارةً ، بشُـرَ بِشَـارة: حَسُـنَ وجَمُـلَ فهـو بشِـير والجمـع : بُشَـراء وبشـائر، والرجـلُ فَـرِحَ وَسُـرَّ وأبشـرت الأرض : أخرجـت أول نبتهـا ، وبشّـرت الناقـة أو النخلـة : بـدأ أول نتاجهـا " [2] ، وهـي " كـل خبـر صـدق تتغيـر بـه بشـرة الوجـه

---

[1] هو : أبرهة الحبشي الأشرم ، رئيس المجموعة التي جاءت من اليمن لتخريب الكعبة بواسطة الفيل ، فكان السبب الذي من أجله حلت عقوبة الله تعالى بهم ... ينظر : جامع البيان في تاويل القرآن : ابن جرير الطبري ن ت 310هـ ، تح ، أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 1420 هـ ، 2000م ، ج 4 ، ص 608 .

[2] المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، دار القاهرة للنشر ، مصر ، 1985 ، ج 1 ، ص 2740 . (بشر) .

ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب " [1] ، والبشارة " اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقاً سارّاً كان أم محزناً إلا أنه غلب استعماله في الأول ، وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره واعتبر فيه الصدق على ما نص عليه في الكتب الفقهية " [2] ، فالمعنى العرفي للبشارة هو : " الخبر الصدق السّار عند المخبر به علمه ووجود المبشر به وقت البشارة ليس بلازم ، والبشارة بالفتح : الجمال ، والبشر بالكسر : الطلاقة ، والبشير : المبشر ، وأبشر : فرح ، ومنه أبشر بخير " [3] ، وفي محكم التنزيل ورد لفظ البشارة في كثير من الآيات ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ** ﴾ [4] ، فكانت البشارة الصادقة من الله عز وجل بعد يأسٍ وقنوط ، وجاء صدق البشارة أيضاً في قوله تعالى : ﴿ **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾ [5] وإلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي اشتملت على لفظ البشرى الصادقة سواء كانت في جانب النعيم المقيم أو العذاب الأليم .

قال الشاعر (أحمد محرم) [6] :

وليتك تزجي كلَّ يومٍ بشـــارةً ** فقد طـــال ما بيني وبين البشائرِ [7] .

الشاعر يوسف العظم كان له نصيب في شعره المتعلق بالنصح والإرشاد والمشتمل على الترغيب في اتباع نهج الله المستقيم والبشارة بالجزاء الذي أعده الله تعالى لعباده المتقين ، ومن نص (إن كان في العمر بقية) يقول :

---

[1] التعريفات : الشريف الجرجاني ، ت 816 هـ ، تح ، جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1403هـ ، 1983 م ، ج 1 ، ص 45 .

[2] الكليات : (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، ت 1094هـ ، تح ، عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419 هـ ، 1998 م ، ص 239 .

[3] لسان العرب : ابن منظور ، ج 1 ، ص 296 ، مادة (بشر) .

[4] سورة آل عمران : الآية 45 .

[5] سورة الصافات : الآية 101 .

[6] هو : أحمد بن حسن بن عبد الله ، من أشهر شعراء مصر ولِد في شهر محرّم سنة 1294 هـ ، كان شاعراً حسن الوصف من أعلام المدرسة الكلاسيكية ، من مؤلفاته : ديوان أحمد محرم الأول 1908 م ، والثاني 1920 م ، وديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية ، والأقصى الحزين وغير ذلك وتوفى في سنة 1364 هـ ..ينظر : معجم شعراء منذ عصر النهضة : إيميل بديع يعقوب : ج 1 ، ص 120 .

[7] ديوان أحمد محرم : ترجمة وتحقيق ، سمير بسيوني ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، ط1 ، 2010 ج 1 ، ص 688 .

أيهـــا الغـــافل المضيِّعُ عمـراً ** تبتغي العيش في ديـــــار الخرابِ

إنما العمر ومضة وخيـــــــالٌ ** كل مـــا في الحيـــاة لمـع سرابِ

قد جُبِلنا من حفنـــةِ من تراب ** وخُلقنـــا من نطفـــــة الأصـــلابِ [1].

بـدأ الشـاعر خطابـه بالتنبيـه ثـم التخصـيص ؛ لأن الغافـل إنمـا تسـتهويه الـدنيا بملـذاتها الزائلـة ، وقـد أجـاد التشـبيه بـأن عمـر الإنسـان قصـير كالومضـة أو الخيـال ، لـذا نبّـه عـن صـفة الـدنيا ووصـفها بـدار الخـراب وهـي كـذلك ، فهـي دار مفـر وليسـت دار مقـر ، ثـم عـرّج علـى خلـق الإنسـان المخلـوق مـن نطفـة مهينـة ، وصـدق الله إذ يقـول : ﴿ **أَلَـمْ نَخْلُقْكُـمْ مِـنْ مَـاءٍ مَهِـينٍ** ﴾ [2] ، وإذ يؤكـد الشـاعر علـى هـذه المعـاني ، فـإن فـي ذلـك ترغيباً في الفوز بالثواب العظيم نظير عدم الحرص والتشبُّث بالدنيا الفانية .

وقـد سـبق إلـى هـذا المعنـى فـي التحـذير والاحتـراس مـن الـدنيا علـي بـن أبـي طالـب (كـرّم الله وجهه) بقوله :

تحرّز من الدنيـــا فإن فِنَـــاءَهَا ** محلٌ فَنـــــاءٍ لا محلٌ بقاء

فصفوتُهـــا ممزوجـــة بكـــدارةٍ ** وراحتهـــا مقرونة بعناء [3] .

ثـمّ يواصـل الشـاعر العظـم التـدرج فـي نصـائحه ؛ ليعـرض فـي آخـر الأبيـات مـا كـان يرمي إليه من البداية وهو البشارة بالجنة ونعيمها فقال :

فلِم الـــذل عند عبدٍ ذليـــلٍ ** رُدَّ يومِ اللقـــا على الأعقاب ؟

إنّمـــا المرء صفحـــة من كتاب ** وغـــداً يلتقي بذاك الكتـــــاب

فـــإذا زفَّ للنعيم هنيئـــــاً ** ومريئـــــاً يروي بشهدٍ مـــذاب

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 292 .

[2] سورة المرسلات الآية 24 .

[3] ديوان علي بن أبي طالب : ص 17 .

والرحيق المختوم يشرب منـــــه ** صُبَّ في طـــاهرٍ من الأكواب [1] .

يتجـه الشـاعر بالنصـح حـول مسـألة حفـظ مـاء الوجـه والبعـد عـن ذل السـؤال ، فالاعتمـاد علـى الله والتوكـل عليـه والاسـتعانة بـه أولـى مـن الاعتمـاد علـى البشـر المخلوق .

وقـال بعـض الحكمـاء : " مـن لـم يستوحـش مـن ذل السـؤال لـم يـأنف مـن لـوم الـرد " [2] . هـذا يلتقـي مـع نفـس المعـاني التـي أشـار إليهـا الشـاعر العظـم ومنهـا الترغيـب فـي التحلـي بصـفة الكفـاف والعفـاف ثـم شـبّه الإنسـان كصـفحة مـن كتـاب ترغيبـاً لـه فـي أن تكـون هـذه الصـفحة ناصـعة البيـاض، وهـذه بشـارة تقـوده إلـى النعـيم المقـيم ، ومـن ثـم تكـون البشـارة الأخـرى بمـا ذكـره مـن الشـهد المـذاب والرحيـق المختـوم فـي الأكـواب الطـاهرة وذلـك مـا وعـد الله عبـاده المتقـين فـي قولـه جـل وعـلا : ﴿ **يُسْـقَوْنَ مِـنْ رَحِيـقٍ مَخْتُـومٍ خِتَامُـهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [3] وفي ذلك ترغيبٌ وبشارة.

ومن نص (العيد) يقول الشاعر :

يا فلسطين استعـــــــدّي ** واخلعي ثوب الحـــــــداد

كلّما الأقصى دعـــــــانا ** كلّمـــــــا نادى المنـــادي [4] .

ارتـبط العيـد بـركنين عظيمـين (الصـوم والحـج) ، والعيـد تعبيـر عـن السـعادة التـي تغمـر الصـائمين أو الحجـاج بنعمـة الله التـي أنعمهـا علـى عبـاده ، ولكـن أي معنـى للعيـد فـي نفـس الشـاعر والمقدسـات قـد دُنَّسـت والحرمـات قـد انتهكـت ؟ وقـد تكـررت هـذه الحالـة الشـعورية عنـد كثيـرٍ مـن الشـعراء ومـنهم (المتنبـي) ، وهـو يرسـم علـى ثغـره الابتسـامة الحزينة المرّة ويسأل في صوت ساخرٍ حزين فيقول :

عيد بـأية حالٍ عدت يا عيدُ ** بما مضى أم لأمرٍ فيـــــه تجديدُ [1].

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 292 .

[2] الكشكول : محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الهمذاني ، ت 1031 هـ ، تح ، محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ ، 1998 م ، ج 2 ، ص 242 .

[3] سورة المطففين : الآية 28 .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 387 .

والمعنى : هل تجدد الحال بمجيئك ؟ أو عدت والحال على ما كنت عليه ؟ وإن لم يكن الواقع آنذاك بنفس الصورة تماماً ، لكن الحالة الشعورية حزينة لكليهما .

فالشاعر اليوم ينتابه الإحباط عند ملامسة الواقع المعيش لحال الأمة الإسلامية ، وكلما عاد العيد يتذكر الشاعر الآلام والأحزان بالرغم من أن العيد للبهجة والمسرات ، وكلما وصف الشعراء مآسي الأمة وأحزانها كلما ازداد الجرح اتساعاً لا سيما الجرح الذي لم يندمل بعد وهو جرح الأقصى الشريف ، من هنا يلاحظ ارتباط العنوان بالنص في حمل دلالة واضحة على ما يعانيه شعب مشرد من دياره وأرضه ، اتخذ من ثوب الحداد زيًّاً رسميًّاً ، ومع كل ذلك يوجه الشاعر خطابه ويحذوه الأمل والبشارة بالنصر في قوله : (يا فلسطين استعدّي) ، وهو في الواقع يوجه خطابه للشعب الفلسطيني بالترغيب والتحفيز على الانطلاق نحو الجهاد المقدس ؛ لأن الظلم بلغ مداه واستفحل ، وثوب الحداد رمزية راسخة في أذهان كثيرٍ من الشعراء ، فهذا الشاعر (أحمد مطر) ، ينظم قصيدته (العشاء الأخير) فيقول :

فوَعَدَت علينا العاديات فليلُنا ** ثوبُ الحدادِ وصبحنا الأكفانُ

وهواؤنا آهاتنا وترابنا ** دمع دم وسماؤنا أجفانُ

صُحنا فلم يشفق علينا عقربٌ ** نُحنَا ولم يرفقْ بنا ثعبانُ [2] .

رسم الشاعر بكل مصداقية عن مشهد الواقع كما هو في مقابلة بين ثوب الحداد رمزية الحزن ، وبين الأكفان رمزية الميت ، فهم يزفّون الشهداء في كل صباح يصاحب ذلك كثرة الآهات والوجع مع غزارة الدمع المشبه بالدم ، وكثرة الدم كناية عن كثرة الشهداء ، وفي البيت الثالث يلجأ إلى المعادل الموضوعي فيُسقِطُ المعنى على سلطة الحكم المستبدة بتشبيهها بالعقرب والثعبان اللَّذَينِ لا ينتجان إلا السُّم القاتل .

---

[1] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي بشرح العكبري ، يوسف البديعي الدمشقي ، ت 1073 هـ ، المطبعة العامرة الشرقية ، ط 1 ، 1308 هـ ، ج 1 ، ص 137 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة (أحمد مطر) ، لندن ، ط 2 ، 2001 م ، ص 505 .

والشاعر العظم يُحبّذُ أن يكون عيده في ساحات الوغى ، فهو مستبشر بالنصر المبين، فبدأ بأفعلِ التفضيل وقال :

أحســـــن الأعيـــاد عيـــدٌ ** فـــي ميادينـــن الجهـــاد

عندمـــا نظفـــر بالنصـــر ** علـــى كـــلِّ الأعـــادي

خيـــرُ أعيـــادُ بـــلادي ** أن أرى عـــزَّ بـــلادي [1] .

يستبشر الشاعر ويغمره حبه للوطن ، الحب الذي جعله يفضل قضاء العيد في ساحات الجهاد ؛ لأنه شديد التأثر بحال الوطن الجريح ، ويحذوه أمل كبير بأن النصر مضمون المنال وإن طال الوقت ، ما توفرت العزيمة على تحقيقه ، عندها يتحقق حلم الشاعر في أن يرى وطنه حراً أبيّاً .

وفي معارضته القصيدة الأندلسية المعروفة (جادك الغيث) يقول :

جـــادت السحـــب بغيثٍ قـــد همى ** فشربنـــا وارتوينـــا مـــن ظمـــأ

وسعـــدنـــا إذ علمنـــا إننـــا ** ننشـــد الحـق ونرقـى سلّمـا [2] .

الغيث نعمة من الله تعالى وفي نزوله نعمة وبشارة وابتعادٌ عن القنوط واليأس ، والشاعر يضع المتلقي أمام معنيين : الأول قريب ظاهر ، وهو نعمة الغيث الذي يروي من الظمأ وينشر الخير في البلاد والرحمة بين العباد ، والثاني معنى بعيد ، وهو القدس ، وفيه من البشارة التي تنتهي إلى السعادة ، ففي قوله : جادت السحب أي جاء المدد الإلهي المؤدّي إلى النصر المؤزر ، فالألفاظ المتكونة من أفعال وأسماء مثل : (جادت ، السحب ، الغيث ، سعدنا ، شربنا ، ارتوينا ، سعدنا ، الحق) كلها ألفاظ تدل على البشارة والسرور وتبعث في النفس المحبة والتفاؤل .

ثم يواصل فيقول :

يا بـــلاداً تربـها مـن عنبـرٍ ** وبها المـــاء صفا من كوثر

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 387 .

[2] المصدر السابق : ص 428 .

كيف نسلوهـــا وننسى أننـا ** نفتـــديها دائمـــاً بالأنفـــسِ [1] .

بـدأ الشـاعر بالأسـلوب الإنشـائي ، وبالاسـتعارة يخاطـب غيـر العاقـل ، وفـي ذلـك توجيـه ضـمني لأبنـاء وطنـه ، وهـذا النـداء يـدل علـى شـدة ارتبـاط الشـاعر بوطنـه وقـوة إيمانـه بالقضـية التـي يـدافع مـن أجلهـا ، ومـن المحـال فـي نظـره التفـريط فـي أرض تربتهـا مـن العنبـر ، وماؤهـا كـوثر ، وفـي اختيـاره هـذا الوصـف دلالـة أخـرى قويـة مـن خـلال التسـاؤل الـذي وجهـه بصـيغة الجمـع وهنـا يقصـد أبنـاء وطنـه ، ولسـان حالـه يقـول : كيـف نتـرك أرضـاً هـذه صـفاتها ؟ سـنقدم مـن أجلهـا الغـالي والنفـيس علـى الـدوام ، وقـد اختـار الشـاعر ألفـاظ (العنبـر رمـز للرائحـة الطيبـة ، صـفاء المـاء رمـز للجمـال ، الكـوثر الـذي يرمز للجنة) فهي ألفاظٌ دالة على البشارة وتبعث على البهجة والسرور والتفاؤل .

ومن نص (حي ليلى في كل مطلع شمس) يقول العظم :

حيّ ليلى في كل مطلع شمس ** أفتديهـــا يا من تلوم بنفسي

تعذلوني أنّي أحب خطـــاها ** وأحب الحديث منهـــا بهمسِ

وأردُّ العدوَّ عنـــا وأحمـي ** جسداً طـــاهراً بسيفي وترسي [2] .

اقتفـى الشـاعر أثـر الأقـدمين فـي بنـاء قصـيدته ، واتخـذ مـن اسـم (ليلـى) رمـزاً ومفتاحـاً للولـوج إلـى المضـمون وبـدأها بالتحيـة قبـل أن يكشـف عـن حبـه الصـريح لهـا ، وهـذا الحـب يعبـر مـن خلالـه عـن لـواعج حقيقيـة كامنـة فـي قلبـه ، وقـد أكَّـد عنـوان الـنص على دلالة هذا الحب واستمراريته .

إن هـذه البدايـة للـنص هـي نـوع مـن الوقـوف علـى الأطـلال وهـو رمـز قـديم ، وفـي الحاضـر يشـار إليـه بالمكـان والـوطن ، وفيـه دليـل علـى تعلّـق العربـي بآثـار مـن يحـب أو بآثـار الأقـدمين ، والسـؤال الـذي يطـرح نفسـه : هـل نجـح الشـاعر فـي اختيـار الاسـم ؟ ولمـاذا اختـار هـذا الاسـم دون غيـره مـن الأسـماء ؟ والإجابـة مـن وجهـة نظـر الباحـث (نعـم) ، فهـذا الاسـم الـذي اختـاره اشـتهر كثيـراً فـي الشـعر العربـي بغـرض الارتبـاط

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة: ص 428 .

[2] المصدر السابق : ص 432 .

والمحبة (الغزل) وشاع بين دفات الدواوين الشعرية على مرّ العصور ومن ذلك القصة الشهيرة (ليلى والمجنون) ، فالشاعر تعلق حبه بالقدس كما تعلق المجنون بليلى وأكثر من ذلك بكثير.

وفي البيت الثاني يتطرق إلى غرض آخر وهو (العتاب) ويردّ باللوم على من يعاتبه في حبها ، وفي قوله (أحب الحديث منها بهمس) دلالة على القرب ، وقد تلتقي هذه الحالة الشعورية مع الشاعر (ابن سهل الأندلسي) [1] في قوله :

ومن العجائب أن تعجّب عاذلي ** من أن يطول تشوّقي وحنيني

يا عاذلي ذرني وقلبي والهوى ** أأعرتني قلباً لحمل شجوني [2] .

ومن شدة تعلقه بالقدس بيّن لمن عاتبه أنه متمسك بها ، فهي تمثل كل شيء بالنسبة له وسيفتديها بكل ما يملك ، والمعنى أنه ماضٍ في سبيل ذلك إلى أن يصل جوهر النص ، وهو البشارة بالنصر فيقول :

سيزول العدوُّ إن شاء ربي ** ويزول الأسى ويذهب بؤسي

واليهود الأوغاد يمضون حتى ** يرجعوا عن ديارنا وتشرق شمسي [3] .

في البيت الأول بشارة واضحة دل عليها الفعل المضارع مع (س) الاستقبال ثم تكرر الفعل ؛ ليفيد التأكيد على زوال المستعمر؛ ليزول معه كل الأسى والبؤس ، وهذه بشرى وتفاؤل بالمستقبل الذي يأمله الشاعر في ذهاب من وصفهم في البيت الثاني بالأوغاد ذهاباً لا رجعة فيه ، عندها تشرق الشمس من جديد وهو تعبير مجازي دلالة على البشارة التي ينعم بتحقيقها للانتقال من حال إلى أحسن حال .

---

[1] هو : إبراهيم بن سهل الإشبيلي : نشأ في إشبيلية الأندلسية في عهد دولة الموحدين ثم هجرها ، امتاز شعره بالعاطفة والرقة وغلبة عليه سمة العشق ومع ذلك نظم في المدح والهجاء ، ...ينظر : مقدمة ديوانه في الهامش الذي يليه : ص 6

[2] ديوان ابن سهل الأندلسي : تح ، يسرى عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3 ، 1424 هـ ، 2003 م ، ص 79 .

[3] [2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 432 .

إن ما يلاحظ على شعر الشاعر أنه يجمع بين الترغيب والبشارة في نص واحد وهذا كثير في نصوصه ، ومن نص (ودِّعوني) يقول :

ودِّعـــــوني بربكم ودِّعـــــوني ** بلَّلَ الدمع في الليـــــالي جفوني

سامحوني إن كنت أخطأت يوماً ** وارفعوا اللوم هدّني ســــــــامحوني

يا قلوبـــــاً مليئة بحنـــــــــانٍ ** ووفـــــاءٍ والكلُّ يرعى شـــــــؤوني

هذه همســـــة المحبُّ لعـــلّ الله ** يرعـــــــى حديقتي وغصـــــــوني[2] .

يُفهمُ من النص أن الشاعر استشعر قرب أجله ، فوجّه دعوة صريحة إلى أهله للتسامح ورفع اللوم وطلب العفو عما بدر منه ، وأكد على ذلك بتكرار كلمتي : الوداع والتسامح ، وفي هذا نصح وإرشاد وترغيب على هذا الفعل في مثل هذه المواقف ، وقد يتحقق له ما أراد ؛ لأنه يخاطب قلوباً مليئة بالحنان دان لها بالوفاء وبادلته الشعور تستشعر معنى الوداع والتسامح ، ثم ينتقل إلى غرض الرجاء في قوله : (لعلَّ الله) أملاً في غفران ذنوبه ، ولكنه عدل عن البوح صراحة واستخدم الحديقة والغصون ؛ ليحيل ذهن المتلقي إلى محاولة فهم معنى يرمي إليه الشاعر من خلال استدعائه لتلك الألفاظ ، وهذا الأسلوب مسبوق إليه عند غيره من الشعراء ، ثم يواصل لينتقل إلى الوصف فيقول :

وورودي الحمـــراء تزهو وتبدو ** أفقاً بـــــان رائـــــع التلويـن

هذه سنّة الحيـــاة والكون دوّت ** قهقهـــات تنداح مثل الأنين [1] .

وصف الشاعر لون الورود وأكد على أنها رائعة التلوين ، وفي الواقع هو يصف حاله مع خالقه وهو مستبشر ؛ لأنه يؤمن بأن الموت حق وهو سنّة الله في خلقه والبقاء لله وحده ، مع ما يرافق سكرات الموت من أنين ، فالملاحظ عليه أنه لم

---

(1) (2) الأعمال الشعرية الكاملة : ص 434 .

يكترث بالحالة التي يمرُّ بها ، لكنه متفائل ومستبشر بلقاء ربه في أحسن حال ، وفي تلك اللحظات الحرجة لم ينس ذكر الله والتضرع إليه فيقول :

رب إني أرجوك لطفـــــاً وعفـــواً ** ثبّت الله يا رحيـــــم يقيني

هيئ الله لي فـــــؤاداً رحيمـــــاً ** دائمَ الود صـــــادقاً كلَّ حينِ

واجعل العيش يا إلهي رضيَّـــاً ** تتولّى أسبـــــابه بالليـــــــنِ

واربط اللهم عيشي بربـــــــــاطٍ ** وبحبـــــلٍ موفّقٍ ومتيـــــــنِ [2] .

يلاحظ على الأبيات أنها تندرج تحت النصح والإرشاد والترغيب والبشارة ، ترغيبٌ في الأوبة إلى الله تعالى ، وبشارة بعفوه وغفرانه ، كما يلاحظ أن الشاعر انتقل بخيال المتلقي من غرض لآخر ، وربط بين الأغراض المختلفة خدمة للنص في توصيل رسالة جمع فيها الحث على الجهاد والتعلق بالقدس ، مع الترغيب في ذكر هادم اللّذات والتوبة والتضرع إلى الله بالدعاء الخالص لتحقيق النصر .

ومن نص (مع العيد) يقول :

فاصبر لحكم إلـــهٍ ليس يظلمنـــا ** في ســـــاحة أعطيـــات الجود والكرمِ

غداً زحوف الهدى تمضي بلا وجلٍ ** تجتـــــاح خصمـــــــك بالنيران والحممِ

تُطَهَّرُ الأرضَ من أعـــداءِ أمَّتنـــا ** وتزرع الأمن في (يافا وفي العجمي)[1].

بدأ النص بفعل الأمر في أسلوب إنشائي يحثُّ من خلاله على التحلّي بصفة الصبر ، وفي ذلك دعوة إلى الرضا بقضاء الله وقدره والإذعان لحكمة ، وجزاء الصابرين على المصيبة الجنة ، وكثير هي الآيات الواردة في محكم التنزيل الدّالة على هذه الصفة الحميدة ، والخالق سبحانه أمر بذلك قوله : ﴿ **فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا** ﴾ [2] يحث أبناء الأمة على الاستعانة بالصبر والقضاء والقدر .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 37 .

[2] سورة المعارج : الآية 5 .

وفـي البيـت الثـاني يرسـم صـورتين متقـابلتين وهـو يخاطـب صـديقه المسـجون ، صـورة اتبـاع الهـدى والقـرآن وتقابلهـا صـورة المغـرور بالـدنيا الـذي اعتـز بغيـر الله فـلا شـك أنـه هالـك ، ثـم ينتقـل إلـى البشـارة التـي ينتظرهـا فـي قولـه : (غـداً) متـأملاً خيـراً فـي الزحـوف التـي تجتـاح الظـالمين بـلا هـوادة وتمضـي ؛ لاسـترداد الأقصـى الشـريف وتـزرع الأمـل فـي المنـاطق التـي أشـار إليهـا مثـل : العجمـي وهـو حـي مـن أحيـاء يافـا القريبـة مـن القدس وهذا الحي أشار إليه الشاعر في هامش ص 37 من أعماله الشعرية .

المبحـــــث الثـــاني

الترهيـــــب :

الترهيـب لغـة : " مـن رهـب رهبـاً ورهبـة ـ أي خـاف ، ويقـال : رهـب فـلانُ فلانـاً : أي خوّفـه وفزعـه " . [1] وعنـد ابـن منظـور : " الترهيـب مـن رهـب الشـيء رهبـاً ورهبـة أي أخافـه ، قـال تعـالى : ﴿ **لَأَنْـتُم أَشـد رهبـة فِـي صُـدُورهمْ مـن الله** ﴾ [2] ، واللفـظ نفسـه يتكـرر بصـيغة الأمـر فـي قولـه تعـالى : ﴿ **واضمُـمْ إليْـكَ جناحَـكَ مِـنَ الرّهـْبِ**﴾[3] .

الترهيـب : نقـيض الترغيـب وهـو : " التحـذير والتخويـف مـن تـرك مـا أمـر بـه الشـرع بفعلـه أو فعـل مـا نهـى عنـه ، أو تهديـد مـن الله يقصـد بـه تخويـف عبـاده وإظهـار صـفة مـن صـفات الجبـروت والعظمـة الإلهيـة ؛ ليكونـوا دائمـاً علـى حـذرٍ مـن ارتكـاب المعاصي " [4] .

وإعـداد الـنفس والمشـاعر للرهبـة مـن الله حتـى تمـلأ هـذه الرهبـة مشـاعر الإنسـان ، فـلا يبقـى فيهـا مجـالٌ للخـوف ممـا سـواه حـين يصـبح الإنسـان فـي موقـفٍ لابـدَّ مـن الخـوف ، إمـا مـن الله أو مـن أعدائـه ، فيختـار المـؤمن المـوت فـي سـبيل الله ؛ لأنـه ينقلـه إلـى النعـيم الأبـدي ويخلّصـه مـن الغـرور بهـذه الـدنيا الفانيـة والحيـاة المؤقّتـة التـي جعلـه فيها ؛ ليبتليه في صبره ، وإيمانه ، وميله إلى الله ، أو إلى سواه [5] .

---

[1] المعجم الوسيط : ج 1 ، ص 390 . (رهب)

[2] سورة الحشر الآية 13 .

[3] سورة القصص : الآية 32 .

[4] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والأسرة والمجتمع : عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر بيروت ، لبنان ، 1979 م ،ص 257 . .

[5] ينظر : التربية بالترغيب والترهيب ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، دمشق ، 2006 م ، ص 21 .

وعند أهل التفسير : " مقام الترهيب هو العقوبات المترتبة على ما يرهب منه ليكون عوناً على الكف عمّا حرّم الله " [1] .

وفي الاصطلاح الصوفي : الرهبة هي : " موضوع نور النفس من بصر القلب ، والمعرفة من كلّية القلب ، فعلى قدر قوته من البصر بالله ، يدرك التقوى لله والرهبة إياه، وقال الشيخ (ابن عربي) [2]: رهبة الظاهر لتحَقُّق الوعيد ورهبة الباطن لتقلب العلم ، ورهبة السّر ، لتحقيق علم السّبق " [3] .

وأسلوب الترهيب له مراتب وصور كأسلوب الترغيب ، يلائم في الغالب معظم النفوس الإنسانية لما أودع الله فيها من حذرٍ وخوف ، " وقد يجعله الملوك وسيلةً للسيطرة على السّوقة الذين أحسُّوا بالظلم والاضطهاد " ، وفي ذلك قال (عامر بن الطفيل) [4] :

أنحى علينا بأظفارٍ فطوّقنا ** طوق الحمام بإتعاسٍ وإرغام[5].

وقد ورد لفظ (الترهيب والرهبة) في آياتٍ كثيرة من القرآن الكريم ؛ ليجتهد العابدون في أداء فرائضهم ، والترغيب لئلّا يقنط المذنبون من رحمته ، ويكثر في الشعر ورود لفظتي (الرغبة والرهبة) ومشتقاتهما من (راغبٍ وراهبٍ ومرتقبٍ ومرتهبٍ) على الرغم من ورودهما في القرآن مقترنين مرة واحدة في قوله تعالى ثناءً

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن السعدي ، ج 1 ، ص 667 .

[2] هو: محمد بن علي بن عبدالله الشيخ محي الدين الطائي الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي ، وُلِد في سنة 560 هـ ، بمرسية وسمع من ابن بشكوال ، تاج الرسائل ومنهاج الوسائل ، الفتوحات المكية في عشرين مجلّداً ، وغير ذلك كثير ...ينظر : فوات الوفيات : هارون بن شاكر ، ج 3 ، ص 435 .

[3] موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، ج 9 ، ص 182 (رهب) .

[4] هو : عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري الجعفري : ت 11 هـ ، سيد بني عامر في الجاهلية ،، أراد الغدر برسول الله ﷺ فلم يجرؤ عليه .، له ديوان شعر ....ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 3 ، ص 252 .

[5] ديوان عامر بن الطفيل : رواية أبي بكر الأنباري ، دار صادر ، بيروت ، 1963 ، ص 133 .

على نبيّه زكريا ويحي عليهما السلام:﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** ﴾[1] .

كما ورد الترهيب بالمعنى في قوله الله تعالى : ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾ [2] ، أي يجُرُّ إلى النار بنواصيهم وأرجلهم ، وذلك أشدُّ ما يكون من الإذلال والتقريع والترهيب ، من أجل ذلك اجتمع النهيُ والأمر في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [3] ، والرهب خوفٌ وحزنٌ واضطراب ، وجاء الأسلوب على لسان يوسف عليه السلام في معرض حواره مع إخوته علّهم يقرّون بفعلتهم ويرحمون أباهم بقول الحقيقة ، قال تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ** ﴾ [4] ، وقد يجمع الله بين شتيتين بعد ما يظنّان أنّهما لا يلتقيان أبدا ، ولكن العناية الربانية حاضرة في موعدها ، قال جل وعلا : ﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ** ﴾ [5] ، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي حملت هذا المعنى .

والشاعر موضوع الدراسة صاغ هذه المعاني في شعره في صورة تنبيه وتحذير لقومه، وفي الوقت ذاته هو ترهيب وتخويف مما سيحدث ، فقال في نص (لو تداعى قومي لساح جهاد) :

ضاع قومي في الحادثات وذلّوا ** وتمادوا في خسّةٍ وصّغارِ

بين ذلٍ يُمليهِ سوطُ يمينٍ ** وهَوانٍ يُمليهِ سوطُ اليسارِ[6].

يتحسّرُ الشاعر من حالةٍ أليمة ووضعٍ مُشِين آل إليه حال الأمة الإسلامية ، فقومه بين ضياعٍ وذل ، وما أعمق هذين اللفظين من حيث وقعهما الأليم في نفس

---

[1] سورة الأنبياء : الآية 90 .

[2] سورة الرحمن : الآية 41 .

[3] سورة النحل : الآية 51 .

[4] سورة يوسف : الآية 60 .

[5] سورة يوسف : الآية 58 .

[6] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 63 .

الشاعر ، وليس الحال هكذا فحسب ، بل إن قومه تمادوا في خضوعهم وخنوعهم وبقوا على تلك الحالة التي وصفها بالخسّة والصّغار، وقد أجاد الوصف فهو يناسب مرتبة الضياع والذل التي أشار إليها في مطلع البيت ، فكان التناسب والتوافق بين الألفاظ ومدلولاتها يؤدي إلى نتيجةٍ واحدة يرفضها الشاعر ويرتهب من عواقبها الوخيمة .

وفي البيت الثاني يُكملُ الصورة ذاتها بتكرار لفظ الذّل المؤدي إلى الهوان والضعف ، وفي البيت إشارة إلى حال الأمة المنقسمة بين معسكرين شرقيٌّ وغربيٌّ ، دلَّ على ذلك لفظا (يمين ، يسار) وفي هذا ابتعادٌ عن منهج الله الذي يدعوا إلى وحدة الصف والاعتصام به دون غيره ، كما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة ، فإن مثل هذه الحالة تنذر بالخطر الذي ينبه ويحذر منه الشاعر ومن عواقبه ، ثم يواصل فيقول :

أسكرتهم خمرُ الضلالِ فباتوا ** في " ضياعٍ " بصحبة الخمّارِ

وَطَووا رايةَ الجهادِ سكارى ** وتلهّوا بالطبلِ والمزمارِ

يرقبون القدسَ الشريفَ حزيناً ** راعفَ الجُرح في قيودِ الأسار[1] .

يقف الشاعر على الأسباب الرئيسة والمباشرة التي أدت إلى هذه الحالة بقوله : (أسكرتهم خمر الظلال) ، وهي استعارة يكنّي من خلالها إلى الابتعاد عن منهج الدين ، وكانت نتيجة ذلك الضياع في صحبة (الخمّار) ، وهنا معادل موضوعي في جعل هذا اللفظ متّكأً أراد عن طريقه أن يبوح بما يختلج في صدره ويوصل الفكرة وينَبِّهُ من حالة الغفلة ، ويحذر من عواقب الارتماء في أحضان العدو المستعمر الذي أذلَّ قومه ، ولم يقف الحال عند هذا الحد، بل إنّهم طووا راية الجهاد ولم يعد في أذهانهم إلا إرضاء المحتل خوفاً من أن يفتك بهم ، فقد أسكرهم حتى الثمالة وأشغلهم بأنفسهم وأمدّهم بغزوٍ ثقافي وفكرٍ هدّام ، فلم يعودوا يفكروا مجرد التفكير في تحرير مقدساتهم، بالرغم من أنهم على مرآى ومسمع مما يعانيه إخوتهم القابعون بالقيود بين القضبان

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 98 ـ 99 .

بأعـدادٍ رهيبـة تنـذر بـالخطر الـداهم علـى الأمـة ، ثـم ينتقـل بالخطـاب إلـى صـورة أخـرى فيقول :

لا تلمني إن مسَّ عقلي ذهـــــولٌ ** أو تداعـــى تحمّلي واصطبـــــاري

فدموع الأيتـــــام عبر الحنـــايا ** سلبت في الخطوبِ كلَّ وقـــــــاري

وجراح الأقصى تمزِّقُ صـــــدري ** وعدوُّ الإســـــلام يحتـــــلُّ داري[1] .

بـدأ بأسـلوب النهـي (لا تلمنـي) ، وهـذا يبـيّن الحالـة الشـعورية والنفسـية لـدى الشـاعر، إذ كيف يرفض العتاب الذي يخفف وطأة الحقد ؟.

وفـي العتـاب قـالوا: " لا يكـون العتـاب إلا علـى زلّـةٍ ، وهـو حـدائق المتحـابين وثمـار الأوِدَّاء ودليـلٌ علـى الظّـنِّ بـالمودة "[2] ، ويـرى الباحـث أنـه مُحِـقٌ فـي ذلـك ، فقـد بلـغ بـه الحـال مبلغـاً جعلـه لـم يَعُـد يحتمـل مـا أصـاب عقلـه مـن ذهـول ، وهنـا يفسـر عـدم قبولـه اللـوم فـي أسـلوب شـرط ، تلـك هـي صـورة دمـوع الحـزن المنسـكبة علـى خـدود الأيتـام الـذين فقـدوا عـائليهم نتيجـة المواجهـة المسـتمرة مـع جنـود الاحـتلال ، إنهـا صـورة مخيفـة وحزينـة تـؤثر فـي نفسـه وتخلّـف فيـه جرحـاً عميقـاً غـائراً لا ينـدمل ، والشـاعر يقـف مندهشـاً أمـام هـذا المشـهد الرهيـب ، وقـد اسـتعار لفـظ (التمزيـق) الأقـوى والأبلـغ فـي الدلالـة ويناسـب الموقـف ، وألّـف بينـه وبـين الجـراح ، فـالجراح غـائرة مـن أثـر التمزيـق ، وكأنـه يتسـاءل إلـى متـى سيسـتمر هـذا الوضـع ؟ وأيُّ معنـى للحيـاة والعـدو يسـتبيح الأرض وينتهـك الأعـراض ؟ إنـه موقـفٌ رهيـب يحـسُّ بـه كُـلُّ شـريفٍ غيـورٍ علـى المقدسـات ، ثـمّ ينتقل لتوضيح سبل الحل للخروج من هذه المحن المتتالية فيقول :

لو تداعـى قومـــي لسـاح جهـاد ** مثلمـا أقبلوا لرمـــي الجمـــارِ

لهـزمنا العـدوَّ في كُـــــلِّ أرضٍ ** ودحـــرنـا جحافـل الكفـــارِ

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة : ص 63 .

(2) التذكرة الحمدونية : محمد بن الحسن بن حمدون البغدادي ، ت 562 هـ ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1417 هـ ، ج 5 ، ص 31 .

ولبـــــاتَ الأقصى عزيزاً يباهـــي ** هامـةَ النجـمِ أو عروسَ النهار [1] .

لقـد عـرض الفكـرة والحـل فـي آنٍ واحـد بأسـلوب الشـرط ؛ ليكـون الجـواب فـي البيتـين الثـاني والثالـث ، ولا سـبيل لـذلك إلا بـالعودة إلـى مـا أمـر الله بـه فـي شـرعه ، وهـو الجهـاد فـي سـبيله ، وفـي قولـه (الجِمَـار) استحضـار لمشـهد الحـج ودلالـة علـى الكثـرة التـي ترهـب العـدو ، ففـي رأيـه إذا تحققـت هـذه الصـورة التـي رسـمها ، عندئـذٍ يُهْـزَمُ العـدو شـر هزيمـةٍ ، وجـاء حـرف (الـلام) فـي الأفعـال (هزمنـا ـ دحرنـا ـ بـات) للتأكيـد علـى النصـر الـذي يجعـل الأقصـى عزيـزاً مهابـا، ويضـفي علـى ذلـك النصـر رسـم صـورة مضـيئة تأتي بالبشارة بعد الرهبة والخوف ، فجمع بين النجم والشمس في العلوِّ والإضاءة .

يتضـح ممـا سـبق أن الشـاعر حـذَّر ونبّـه لأمـرٍ خطيـر ربمـا لا يقصـدُ مـن ورائـه الترهيـب والتخويـف بقـدر مـا يحـاول أن يرفـع الهمـم ، ويـذكّر العقـول الغافلـة لمـا يجـري مـن أحداث ، الهدف منها النيل من الدين والمقدسات الإسلامية .

ومن نص (أمس واليوم) يقول الشاعر :

وإذا اللحـن صيحـة مـن رفيـــع ** وإذا الـتّرس فـي المعامـع " عـــودُ "

فغـــدت أمّتـي مـع اللحن سكـرى ** يرسـل اللحـن فاجِـــرٌ عربيـــــدُ

كان أمس الأبـاة مَشـــرِقَ مجـــدٍ ** وإذا اليـوم فـي حمانـا اليهـــود [2] .

اعتمـد علـى المقارنـة ، وركّـز علـى وصـف حالـة الأمـة ماضـيها وحاضـرها ، وتظهـر مـن خلالـه حالتـه النفسـية والشـعورية بمظهـر المتشـائم ، فقـارن فـي وقـتٍ واحـدٍ بـين سـماع المـؤذن ، وبـين أغنيـة تلـت الآذان مباشـرة فـي المـذياع يرددهـا (مـاجن مـن الغـاوين) بحسـب وصـف الشـاعر فـي تمهيـده للـنص ، عنوانهـا (أو كنـت لـي ذنبـاً سـألت ألَّا يغفره) فجادت قريحته بالنص الذي اختار له عنوان (أمس واليوم)

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 63 .

[2] المصدر السابق : ص 72 .

إذ في اتباع اللحن وترك الصلاة هو ما أدّى بالأمة إلى هذه الحالة من الذل والهوان ، كيف لا والترس الذي يذود عن الحمى صار عوداً وما دور العود في المعامع ؟ والأمة أسكرها اللحن ، وقد أحسن اختيار لفظ (سكرى) كناية عن الابتعاد عن الدين ، فالسُّكرُ يذهب بالعقل ، ثم يقارن بين ماضٍ مجيد مشرق ، وبين حاضر يدنّسه اليهود ، ثم يتابع فيقول :

هجروا المصحف الطّهور وحاروا ** وابن دايان قاده " التلمودُ "

فأذلَّ العدوَّ مِنّا جباهاً ** وتلاشى من راحتينا الحديدُ

واستُبيحتْ ديارنا لعدوٍّ ** وسلاح الحكّام فينا وعودُ[1] .

الهجر : ترك الشيء والإعراض عنه ، قال تعالى : ﴿ **فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ** ﴾[2] ، والمصحف كلام الله المنزه عن النقص ، وفي هجرانه نذير ووعيد ونتائج وخيمة ، لذا لم يرض لأبناء أمته ذلك الأمر الذي أدى إلى إذلال الجباه ، وهذا يعني الانصياع التام للعدو ، ثم أشار إلى (الحديد) وهو الترس الذي ذكره في بداية النص ، وبذلك يعني غياب القوة التي تصد المستعمر ، ثم يأتي بإسقاط معادل موضوعي على الواقع ، فلا سيفٌ ولا سلاح كل ذلك تلاشى بسبب هجران كتاب الله وتعاليمه ، وهذا الواقع ينذر بحالة ترهيب من واقع أليم يزيد من تشظّي الأمة وضياعها ، فهو لا يريد من أبناء أمته هجر القرآن ، ثم يواصل النص فيقول :

مسخوا الحقّ والحقيقة لمّا ** صار صوت الإعلام فيهم " سعيدُ "

يزرع البحر والهوى وعوداً ** لا يبالي أن يكون حصيدُ

شرعه الزور والضلال " مذيعاً " ** أنّ يوم الهوان والذل عيدٌ[3] .

يواصل شرح الأسباب المؤدية للهزيمة ، وهنا إشارة إلى الإعلام الهدّام الذي يزوّر الحقائق وينشر الفتن ، وبالحرب النفسية يخدم مصالح العدو ، ومن

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 72 .

[2] سورة النساء : الآية 34 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 72 .

بـاب الـتهكم اسـتعار لفظـي (البحـر والهـواء) كنايـة علـى الكثـرة والاتسـاع فـي زرع الوعـود الكاذبـة والفـتن لا غيـر ، وهـذا الاسـم الـذي وظّفـه فـي الـنص يـرى بحسـب وجهـة نظـره ، أنـه هـو ومـن علـى شـاكلته هـم مـنْ مسـخوا الحقيقـة بـالزور والبهتـان ، إذ جعلـوا مـن يـوم النكسـة عيـداً يزهـو بـه العـدو ، وهـذا الأمـر متنـاقضٌ تمامـاً ولـيس بـالهيّن ، فهـو طمـس لتـاريخ أمـة كانـت لهـا السـيادة والريـادة علـى الأمـم ، ثـم يواصل فيقول :

ووجـــوه الطغـــاة بالشـــرِّ بيـــــضٌ ** ووجـــوه الهداة بالحـــقِّ ســـودٌ

ذلَّ مـــن يزعـــــم الهزيمـــة نصـــراً ** تتهـــاوى مـن راحتيـه البنـودُ [1] .

يـأتي الشـاعر بوصـف بـين لفظـي (بـيضٌ وسـود) ، ففـي ظـل هـذا التخـاذل أمـام العـدو وصـف وجـوه الأعـداء بظلمهـم بيضـاء ، أمـا أصـحاب الحـق وجـوههم يغشـاها السـواد نتيجـة الظلـم الـذي بلـغ مـداه ، والحقيقـة واضـحة وجـزاء كـل فريـق مبـيّنٌ فـي قولـه تعـالى : ﴿ **يَـوْمَ تَبْـيَضُّ وُجُـوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجُـوهٌ** ﴾ [2] ، ولكنـه يسـتدرك بإشـارة للمـذيع وبتوجيـه غيـر مباشر ، أنه سائر في طريق الضلال بزعمه أن الهزيمة نصر ، خدمة لعدوه .

ومن نص (الشقيقة المسلمة) لمعلقة لبيد يقول الشاعر :

مالـــي أرى أمـم الضّـلال تطاولـت ** واشتـــطَّ فـــي أرض الهـدى إجرامها

يا أمّـةً رضيـت بكـــل مهانـــــةٍ ** قـد طـال فـــي كهـف الزمـان منامـها

خوضـي غمـار المـوت واقتحمي الرّدى ** فالمـوت في طلـب الحياة قوامهـا [3] .

نظـر الشـاعر بحسـرة وحرقـة إلـى حـال الأمـة التـي تحولـت مـن الريـادة والسـيادة إلـى حالـة مـن التشـظي والانقسـام وهـو يـرى تفشّـي الضـلال واشـتطاط الإجـرام فـي أرضـها ، وفـي قولـه (اشـتط) كنايـة علـى كثـرة التطـاول وإهانـة الأمـة التـي للأسـف

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 72 .

[2] سورة آل عمران : الآية 106 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 248 .

رضيت بالذل والمهانة ، وهو يتعجب من ذلك ، وقد استدعى صورة أصحاب الكهف في القرآن الكريم في صورة تقارب مع حال الأمة في طول منامها ، وبالرغم من كل ذلك فإنه لم يفقد الأمل ومازال ينادي ويرغّب في الجهاد في سبيل الله فهو أفضل القربات وأعظم الطاعات ، يعوّدُ على الصبر ويغرس في صاحبه حب ملاقاة ربه ، وبه يُرفَعُ الظلم وتعلو راية الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [1] ، والشاعر في خطابه لأمته استعمل فعل الأمر (خوضي) علّه يحرك الضمير ، ويشحذ الهمم وفي مخيلته قبس في آخر النفق قد يغيّر صورة رهيبة جاثمة على صدر الأمة .

ومن نص (كيف نحيا يا قوم من غير قدس ؟) يقول :

أنت يا قدسُ في غدي بعض ذاتي ** وحياتي وأنت يومي وأمسي

كيف أنسلُّ من إهابي ونفسي؟ ** كيف تهفو للعيش من غير قدسي ؟

وألاقي الدخيل دون سلاحٍ ** بعد أن حطّم المراوغ قوسي

ورماني بمكره ودهاني ** واستباح الحمى وحطّم ترسي [2] .

الاستفهام في العنوان يدل على شدة تعلق الشاعر بوطنه القدس وهو يمثل كل شيء فيه ، ويظهر ذلك بجلاءٍ ووضوح في البيت الأول بالتكرار والمقابلة والجناس ، وتكرار الاستفهام في البيت الثاني أكثر دلالة على ارتباط الشاعر الوثيق بوطنه ، فحب الوطن من الإيمان ويمثل هوية الانسان ، ويتكرر الاستفهام مع التعجب إذ كيف يلتقي أعزل من السلاح مع من يمتلك القوة الجبارة ؟ وقد أجاد وصف المستعمر بالدخيل

---

[1] سورة النساء : الآية 95 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 300 .

والمـراوغ وهـذه الصـفات تناسـب اليهـود ، كمـا يلاحـظ سـيطرة الحـزن علـى الشـاعر وهـو طـابع غلـب علـى شـعره ، فمـا الـذي يـدفع إلـى الالتحـام مـع الحـزن وصـيرورته كتـوأم روح لا ينفصـل عنـه ولا ينفـك إلا فـي حـالاتٍ نـادرة ؟ والجـواب : إن الحـزن قـد تولّـد عنـد الشـاعر مـن ظرفـه الـذي يعـيش فيـه ، ومـن الأرض الملغمـة بالصـدمات والانكسـارات والهـزّات المتمثلـة فـي القتـل اليـومي والتشـريد مـن قبـل جنـود الاحـتلال ، وذلـك بـدوره يـنعكس سـلباً علـى حياتـه اليوميـة وعلـى مواقفـه ووجهـات نظـره للحيـاة ، وبالتـالي يـنعكس علـى شـعره فتسبغ عليه الصبغة الحزينة ، ثم يتوجه بحديثٍ يختص بقومه فيتساءل ويقول :

لهـف نفسي مالي أرى بعـض قومـي ** لـزمـوا الصمـت واستحالـوا لخـرسِ ؟

والصـواريـخ نكّسـت جاثمـات ** كيـف أرجـو حرّيّتـي مـن نكـسِ ؟

نبّئـونـي بربكـم نبّئونـي** كيف تحلو الحيـاة مـن غيـر قـدسِ ؟ [1] .

يعتصـر الحـزن والألـم قلـب الشـاعر مـن سـلوك قومـه الـذين التزمـوا الصـمت إزاء مـا يحـدث فـي الـوطن حتـى وصـفهم بـأنهم خُرَسَـاءُ ، فكيـف يرجـو الحريـة والحـال هكـذا ؟ وطـنٌ محتـل وشـعبٌ مشـرّد ، إنـه الترهيـب الـذي يشـير إليـه الشـاعر فـي كثيـرٍ مـن نصوصـه، ومـن أجـل ذلـك فهـو يحـذر وينبـه إلـى مـا سـتؤول إليـه الأحـداث ، لا سـيما إذا استمر أبناء الأمة في سباتهم ينعمون .

ومن نص (نسمات من أفياء الأقصى) يقول الشاعر :

ومـع الليـل والظـلام تـراءت ** مـن بعيـدٍ فيالـقُ العـدوانِ

تحمل الموتَ والدّمـارَ وترسـي ** فـي بـلادي قواعـدُ الطغيـانِ

ولغـت في الدم الزكـي لطفـلٍ ** ولشيـخٍ محـدودب الظهـر فـانِ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 300 . .

وأبـــادت مـن الصغـــار جموعـــاً ** روَّعـــت بعـد هـدأةٍ وأمـــانِ [1] .

رسـم الشـاعر صـورة رهيبـة بلـون الليـل والظـلام ، فالليـل عنـده رمـزٌ للظلـم والحـزن وقتـل الأحـلام والغربـة والرهبـة والخـوف والقسـوة وحُـقَّ لـه ذلـك ، فوطنـه محتـل ، وأهلـه مشـردون ، وارتسـمت فـي مخيلتـه كثـرة جنـود العـدو المتمثلـة فـي الفيـالق المدججـة بالسـلاح التـي تحمـل المـوت والـدمار ، ومـا عسـاه أن يفعـل ؟ وقـد أرسـت هـذه الفيـالق فـي بـــلاده ظلمـــاً وطغيانـــاً ، والطغيـــان مـــن المبالغـــة فـــي الظلـــم ، قـــال تعـــالى : ﴿ **اذْهَـبْ إِلَـى فِرْعَـوْنَ إِنَّـهُ طَغَـى** ﴾ [2] ، وتـــزداد الصـــورة رهبـــة وقتامـــة فـــي قولـــــه (ولغـت) ، وهـو كنايـة عـن كثـرة الـدم المسـفوك مـن الأطفـال والشـيوخ ، وقـد أجـاد التشـبيه فـي وصـف الفيـالق بـالكلاب لأنهـا ؛ تـرتبط بلفـظ الولـوغ ونتيجـة هـذا العـدوان، إبـادة جماعيـة اجتمـع فيهـا القتـل والترويـع والتشـريد فهـي صـورة مروّعـة ، والشـاعر إذ يرسـم تلـك المشـاهد بتفاصـيلها ، فإنـه يحـذر مـن هـذا العـدو الـذي لا يفـرّقُ بـين أبنـاء الـوطن كبيرهم وصغيرهم .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 47 .

[2] سورة طه : الآية 24 .

المبحـــــث الثالـــــث

العتـــــــــــــــاب :

للعتـاب قيمـة فنّيـةٌ كبيـرة ؛ لأنـه قـد يكـون حـواراً مـع الـنفس أو مـع الآخـرين ، وهـو بهـذا يخلـق ثنائيـة وحركـة واضـحة فـي العمـل الأدبـي تقرّبـه مـن التعبيـر الـدرامي الـذي هـو أعلـى صـورة مـن التعبيـر الأدبـي ، والشـاعر مـن خـلال العتـاب يقـدّمُ تجربـة شـاملة وعميقـة توصـله إلـى مـا يريـد قولـه وتبلّغـه أهدافـه ؛ لأن هـذا الغـرض إمكانـات عاليـة يمكـن توظيفهـا توظيفـاً فنّيـاً فـي السّـياق ، ولكـن الملاحـظ علـى الشـاعر موضـوع الدراسـة أنـه قـدّم كثيـراً مـن شـعره فـي صـورة عتـاب يتركّـزُ علـى موضـوع وطنـي بحـث ، إذ لـم يكـن لـه أغـراض كثيـرة يقدّم فيها عتابه .

وهـو فـي الشـعر مـن الفنـون الوجدانيـة الخالصـة يلجـأ الشـاعر إليهـا حينمـا يكـون لديـه إحسـاس بـالتحول نحـو المـراد مـن المُعَاتَـب ، فتدفعـه بواعـث متباينـة إلـى فـنٍ يتوسـط فيـه بـين أن يلـوم المُعاتَـب مـن دون أن يوجعـه ، فينقلـب العتـاب إلـى هجـاء ، وبـين أن يطلب الإبقاء على الود دون أن يضع الشاعر نفسه موضع المتوسل المستعطف .

إذن هـو غـرضٌ شـعري يضـع الشـاعر فـي موقـف حـرج يحتـاج إلـى براعـةٍ وجـــدارة وحيطـــة ؛ لكـــي يجعـــل عتابـــه متوازنـــاً مـــع عواطـــف المعاتـــب ، ولـذلك كانـت طـرق العتـاب كثيـرة تختلـف بـاختلاف أسـاليب الشـعراء فـي بـراعتهم وموضوعاتهم [1] .

والشـاعر يوسـف العظـم كغيـره مـن الشـعراء نَظَـمَ الشـعر فـي هـذا الغـرض ، ولكنـه يختلـف عـنهم كثيـراً، فقـد لجـأ إلـى العتـاب أحيانـاً؛ لبيـان حالـة معينـة ، أو لكشـف معنـى أراد بيانـه وجعلـه كمتـنفس يتوصـل مـن خلالـه إلـى فكـرة مفادهـا ، توظيـف العتـاب فـي غـرض رئـيس ، وجانـب مهـم فـي حياتـه وهـو موضـوع القـدس الـذي شـمل الحيّـز الأكبـر مـن أعمالـه الشـعرية ، ومـن نـص (عتـاب) يوجـه خطابـه إلـى مـن تركـه فـي ذهـول وتسـاؤل لا ينقطع فقال :

---

[1] ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني ، تح ، وترجمة ، شاكر هادي شاكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط 1 ، 1388 هـ ، 1968 م ، ج 3 ، ص 7 .

ما ضـرَّ قلبـك لـو عاتبـت يا قاسـي ** وقـــد أصبـت بسهـم الظلـم احساسـي

قـد كنـت في حضـن آمالـي أهـدهـده ** فبـــات قلبـــك مملـــوءً بوسواســـي

إن كـان إبلـيس أمْلَـى يـوم فرقتنـا ** مـن غيـر ذنـبٍ فبئـس المارق العاصي[1].

تشـد الإنسـان إلـى أخيـه الإنسـان عـرى الصـداقة ، وهـي عـرى تبـدو مـن خـلال الشـعر متينـة غالبـاً ؛ وفـي تتبـع تصـوير الشـعراء للصـداقة الحـق تتـراءى للمستقصـي علاقـة الصـداقة فـي نسـيج لا يقـلُّ متانـة مـن علاقـة النسـب ، فالصـديق لا يهجـو صـديقه ، بـل يحـافظ علـى عهـده فـي حضـوره وغيابـه ويحوطـه بالرأفـة والعنايـة ، والشـاعر إذ يعاتـب صـديقه بأسـلوب الاسـتفهام ، فإنـه يصـفه ــ فـي ذات الوقـت ــ بالقاسـي ، ونتيجـة القسـوة الجفـاء ولشـدة الموقـف فقـد اسـتعار لفـظ السـهم للظلـم وأكـد علـى قـوة الوقـع بلفـظ الإصـابة ، ومـن خطـاب الحاضـر ينتقـل إلـى الماضـي ويعـدّد مـآثره ، وقـد جمـع بـين ترغيـب ونصـح وإرشـاد ، وترهيـب مـن الوسـواس المـرتبط بالشـيطان المطـرود مـن رحمـة الله فـي قولـه جـلّ وعـلا : ﴿ **قَـالَ فَـاخْرُجْ مِنْهَـا فَإِنَّـكَ رَجِـيمٌ وَإِنَّ عَلَيْـكَ اللَّعْنَـةَ إِلَـى يَـوْمِ الـدِّينِ** ﴾ [2] ، وينبّـه إلـى أن وسـاوس الشـيطان هـي مـا أدت إلـى القطيعـة ، وأكـد علـى بشـاعة الجُـرم مـن خـلال الفعـل (بـئس) والوصـف فـي لفظـي (المـارق العاصـي) اللـذان ينطبقان تماماً على الموصوف ، ثم يتابع فيقول :

أيـن الوفـاء وأيـن الـدين يجمعنـا ؟ ** وأيـن ودِّي وتحنـانـي وإخلاصـي ؟

قـل لـي بربك مـا سرُّ الجفاءِ ؟ وما ** سـرُّ التنكـــرُّ للجـــرّاح والآسـي ؟

كـم ضمّـــد الكـــفُّ آلامـاً مبرّحـة ** وسـلّ رفقـي أسقامـاً من الـرأسِ ؟

حتى استويت على الأفنان تطربنـا ** وصـرت أقرب خلانـي وجلاسـي [3] .

قـرّر الإسـلام مبـدأ الوفـاء بالعهـد وجعلـه مـن معـالم الـدين ومكـارم الأخـلاق ؛ لمـا لـه مـن أهميـة بالغـة ، فنقْضـهُ يـؤدي إلـى الزلـل ومـع الزلـل يكـون الضـياع ، والوفـاء فـي

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 87 .

[2] سورة الحجر : الآية 33 ـ 34 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 87 .

الفعل كالصدق في القول ، وآيات القرآن تدل على وجوب الوفاء بالعهد وتؤكّد على حرمة الغدر والخيانة ، قال تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** ﴾ [1] . والشاعر يدرك تلك المعاني فيتساءل عن (الوفاء والدين) لأنهما مرتبطان بأوثق العلائق ؛ ولأهمية الموضوع وشدة وقعه في نفس الشاعر، فإن الاستفهام بالأداة (أين) تكرر ثلاث مرات في بيتٍ واحد ، وفي ذلك إحالة ذهن المتلقي للانتباه ، ثم أردف بذكر الود والحنان والإخلاص ، فهي شيم مستخلصة من الدين ينسبها لنفسه ، ثمَّ يعيد الاستفهام للبحث عن الأسباب المباشرة التي أدت إلى حالة الجفاء ، وكما فُهِمَ من النص بأن العلاقة حميمة منذ الصغر، والشاعر صاحب أفضالٍ كثيرة على المُعاتَب منذ نعومة أظفاره ، وقد أكد على ذلك في الأبيات الثاني والثالث والرابع ، وفي قوله : (خلاني ــ وجلّاسي إخواني ــ وحرّاسي) تأكيدٌ على العلاقة التي كانت تجمع بينهما ، وبالرغم من كلِّ ذلك ، فإنه قُوبِلَ بعكس ما كان يتأمّله منه ويرجوه ، ولكن سعة صدره وصبره ونظرته البعيدة تُملي عليه أن يقابله بالإحسان واللين ، ثم يتابع يوسف العظم عتابه بالاستفهام في صورة المتحسر والمتألم ، فيقول :

صوّبتَ سهمك ترمي صدر صحبتنا ** وكنت زينة إخواني وحرّاسي

أتطفئ النور في قلبي وتخذلني ** والدرب دربي والنبراس نبراسي ؟

لَكَمْ حزِنتُ على عهدٍ تمزّقه ** وكم أسفتُ على لوحي وقرطاسِ [2] .

أضفى الشاعر لصفة العتاب الموجه إلى صديقه ، حالة توحي بعمق الشعور المتأثر بشدة القطيعة مع شدة التأسف لما حدث ، وكأنه لم يخطر بباله يوماً أن يؤول الحال إلى ما آل إليه ، فهذا التكرار في التساؤل والتعجب معاً كانت له دلالته الأسلوبية ، ورسم صورة أكثر إيقاعاً وولّد تناسباً صوتياً أسهم في الكشف عن مضمون خلجات الشاعر المتأثرة بالحالة المرافقة له ، واستعماله لهذه الظاهرة ميّزت المعجم الشعري لدى المُعَاتِب ، وفيما يختص بالنص أظهرت التوتر العاطفي لديه ، فقد جمع الشاعر ألفاظاً تبعث الطمأنينة في النفس ، مرادفة للمصباح أو السراج تمثلت في (

---

[1] سورة الإسراء : الآية 34 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 87 .

النور ــ الإضاءة ــ النبراس ــ الدرب) قابلها بألفاظٍ أخرى تسهم في حالة من الإحباط والشعور بخيبة الأمل كألفاظ (صوّبت سهمك ــ تطفئ النور ــ تخذلني ــ حَزِنتُ ــ تمزّقُه ــ أَسَفتُ) ، وهذا يمثل استعماله لأسلوب الترغيب والترهيب من خلال توجيه عتابه الممزوج بالنصح والإرشاد ، من أجل محاولته إصلاح ذات البين وتهيئة الظروف المناسبة لذلك ، ثم يتابع النص فيقول :

سطّرت فيه إخاءً صادقاً عبقاً ** وقد سكبت على القرطاسِ أنفاسي

ما ضرّني يا صديقي أن تخاصمني ** وتسكب المُرَّ والآلامَ في كأسي

إن كنت تحفظُ إيماناً ومكرُمةً ** وتتّقي فتنة الشّيطانِ والنّاس ؟ [1] .

يرصد الشاعر مرحلة عمرية مع صديقه كانت مرتبطة بعرى الصداقة المبنية بالإخاء والمودة الصادقة ، حتى وصف ما بينهما من أخوّةٍ بأنها (عبقة) وفي ذلك دلالة بعمق الروابط التي جمعتهما ، ولكنه في ذات الوقت اشتدّ حزنه على ذلك العهد المعبر عنه بلفظ (التمزيق) ، وهو أقوى في الفعل وأبلغ في العبارة ، ومن الملاحظ أنه عبّر عن آلامه وأخرجها على صورة الواقع ، من خلال الكتابة على القرطاس التي وجد فيها المتنفس الوحيد ، وبأسلوب استفهامٍ وملاطفة يعبّر عن عتابه في قوله : (ما ضرّني) ، ولسان حاله يقول : أيُّ ذنبٍ تخاصمني من أجله ؟ وقد أجاد في الربط بين المرارة والآلام فهما يناسبان الموقف من خلال اجتماعهما في كأسٍ واحد كما عبّر الشاعر .

إنها تجربة مليئة بالأحزان سيطرت على تفكيره وشرّدت ذهنه ، وما زاد من تأثيرها عليه ، أن القطيعة جاءت من صديقٍ يمثل كل شيء بالنسبة إليه ، ولكنّها الفتنة الناتجة من وسوسة الشيطان ، والتي من نتائجها الإثم والضلال والفساد واضطراب الأمور، وقد جاء التحذير منها في آياتٍ عديدة في محكم التنزيل ، منها قوله تعالى : ﴿ **لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ**

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 87 .

قُلُوبُهُمْ ﴾ [1] ، والرسول الكريم ﷺ عندما سُئلَ عنها قال : " كن كابني آدم " [2] ، وتلا قوله تعالى: **﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾**[3].

ومن نص (حقائق وأوهام) يقول يوسف العظم :

أترضى مكان الود أن يزرع الحقد ؟ ** وتحظى بغير الغيث أن يقصف الرعد ؟

وتعشق غمد السيف أن ضاع نصله ؟ ** وتهوى عرينا لا تزينه الأسد ؟

ويرويك في الصحراء لمع سرابها؟** ويشفيك نحْلٌ في الخلايا ولا شهد ؟

وتقنع في الدنيا بوعد مماطل ؟ ** ألا خاب وعد الخل إن أخلف الوعد؟[4].

اعتمد النص على المقابلات بين السلب والإيجاب بدأت من العنوان ، وفيها يوجه الشاعر عتابه في صورة أساليب استفهامية متكررة تحمل المعنيين القريب الظاهر والبعيد المتخفي في دلالة على تمكنه من الحقل اللغوي وتشبّعه به ، فأكثر من التّضاد الذي تناسَبَ مع مضمون النص ، وهو التفريق بين الحقائق والأوهام والوقوف على نقاط السلب في المنهج الخاطئ الذي سلكه صديقه ، فبدأ بالمقارنة بين المودة والحقد ، وفي عتابه نصحٌ وإرشاد وتذكير باتباع سبيل الود المؤدّي إلى توطيد أواصر المحبة بين الأصدقاء وشتّان بين المعنيين ، فما قيمة الصداقة إذا لم تُبنَ على المودة والصفاء ؟

وعندما يذكر(الحقد) فإنه يدرك خطورة هذه الصفة التي من شأنها أن تُشتّتَ الشمل وتزرع الفرقة بين الأحبّة ، وتولّدُ الكراهية والبغض ، فيذكّره بالابتعاد عن مسارها .

وفي عجز البيت قابل نزول الغيث بقصف الرعد ، وهذا أمرٌ مُسَلَّمٌ به ، لكنه لا يعني المعنى القريب الظاهر ، وإنّما يعني مرافقة أصحاب السوء الذين لا ترجى منهم فائدة ، فكانت معانيه تدور في هذا المعنى.

---

[1] سورة الحج : الآية 53 .

[2] سنن أبي داود : سج 4 ، ص 99 .

[3] سورة المائدة : الآية 28

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 364 .

وفي البيت الثاني إسقاطٌ على النهج الذي يسير فيه صاحبه ومرافقته لمن ليس في المستوى اللائق ، فاختار اللفظين (غمد السيف ونصله) ؛ لبيان القيمة الحقيقية لنصل السيف .

فلا قيمة للغمد دون النصل ، وما قيمة العرين في غياب الأسد الجسور ؟ وبين الفعلين (تعشق وتهوى) مراعاة النظير وربطٌ بين مصراعي البيت تتمثّل في شجاعة حامل السيف والأسد ، وفي غياب الاثنين لا معنى للغمد والعرين .

ثمّ ينتقلُ إلى الطبيعة ويرسم صورة من الصحراء (السراب) الذي لا يروي من الظمأ ، وقد شبّه الله تعالى به أعمال الكافرين فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوآ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء** ﴾ [1] .

ويكمل الصورة بذكر (النحل وشهده وخلاياه) المرتبط بالشفاء ، قال تعالى : ﴿ **يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ** ﴾ [2] ، وقد ربط الشاعر بين معنيين (يرويك لمع سراب ، ويشفيك ولا شهد) وفي ذلك كناية عن تخلي صديقه عنه واتباع من شبّههم بالسراب الخادع وبالنحل الذي لا ينتج عسلاً ، ومن كانت هذه صفاته لا يرتجي منه صدق الوعد فهو مماطل ، ولا يجب أن يتّخذه صديقاً أو خلّاً ويلاحظ على حالة الشاعر أنّها تلتقي مع الإمام الشافعي في قوله :

لا خير في خلٍ يخون خليله ** ويلقاه من بعد المودّةِ بالجفا

وينكر عيشاً قد تقادم عهده ** ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ** صديقٌ صدوقٌ صادق الوعد منصفا [3] .

ثم يتابع يوسف العظم عتابه في النص على نفس النسق فيقول :

وتقطف شوك الورد من غير عطره ! ** وترضى من العود الدُّخان ولا ندُ !

---

[1] سورة النور : الآية 39 .

[2] سورة النحل : الآية 69 .

[3] ديوان الإمام الشافعي : ص 81 .

تعيش مع الأوهـــــام غيـر مؤمـــل ** وتحيـــا بلا سعـد وقد فاتـك السعـــدُ

وتصبـح محـــروما وغيـــرك قـاطـف ** ثمـار العلى والمجد إن أقبل المجـــد [1] .

يسـتمر الشـاعر فـي إسـداء النصـيحة والإرشـاد لصـديقه مـن بـاب العتـاب بمعـانٍ وألفـاظ فيهـا الكثيـر مـن الإيهـام والتشـبيهات بصـورٍ مختلفـة ومتعـدّدة ، وهنـا يجعلـه فـي التخلّـي عنـه كمـن يقطـفُ شـوك الـورد فيؤذيـه ، أو فـي صـورة مـن يشـتمُّ دخـان العـود دون رائحةٍ طيّبة ، كما تخيّله أنه منخدعٌ بأوهامٍ زائفة تنغّص عليه صفو حياته .

وأكّـد علـى ذلـك فـي انتقائـه الألفـاظ المتضـادة (الأوهـام ـ الأمـل ، السـعد ـ بـلا سـعد) وينبّهـه إذا مـا اسـتمر علـى هـذه الحـال ، فـإن الحرمـان حليفُـهُ ، ولا سـبيل لـه فـي سـلّم المجد ولا لمثله .

والشـــاعر العظـــم إذ يضـــع أمـــام صـــديقه هـــذه المعـــاني ، فإنّـــه يتأمّـــلُ فيـــه خيـــراً بالعدول عن النهج الخاطئ الذي يسير فيه ، ثمّ يتابع النص فيقول :

جـوادك يـا هـــذا مطيـة واهـــــمٍ ** ضعيـف وفـــى سـاح المكـــارم لا يعـــدوا

وجـــودك يـا هـذا مـن الشّحّ نابـع ** ورفـــدك مقطـــوع هزيـــل ولا رفـــــد [2] .

لـم يفضّـل ذكـر صـديقَ صـديقهِ صـراحةً ، وإنّمـا اسـتمر بـالمعنى البعيـد ؛ ليحيـل ذهـن المتلقـي إلـى مـا هـو أبعـد ويجعلـه أكثـر تفكيـراً ، فجعلـه فـي صـورة جـواد هزيـل لا يقـوى علـى فعـل شـيء ، لا سـيّما فـي الشـدائد والمحـن التـي تُبـرزُ معـادن الرجـال ، وهـذا الجـواد مطيـةٌ لصـديقه الـواهم فـي نظـره ، وفـي خطابـه تظهـر نبـرة الشِّـدة المصـاحبة للعتـاب لصـديقه ، ولـم يصـرح بـه فقـال : (يـا هـذا) وفـي قولـه : (جـودك) إسـقاط علـى المعنـيِّ بـالقول والموصـوف بـالجواد ، فهـو متّصـفٌ بالشّـحّ والبخـلِ المنهـيِّ عنهمـا في القرآن الكريم ، قال تعالى :

---

[1] [3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 364 .

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [1]، فمن باب النصيحة لا تعوّل على إنسانٍ تلك هي صفاته ، ثم ينتقل من نبرة العتاب بالمعنى البعيد والمقابلات إلى النصح والإرشاد والترغيب فيقول :

فعش مَعْ كرام الناس حراً تجدهُمُ ** إذا عُدَّ خيرُ الصحبِ في المنتدى عُدُّوا

وأقبِلْ على نبعٍ طهورٍ شرابُهُ ** ولا ترضَ بالضحضاحِ[2] إن عَذُبَ الوِردُ

وسرْ في طريقِ الحقَّ غيرَ مُضَيعٍ ** فخيرُ دروبِ المرءِ ما زانه الرُّشدُ [3] .

وظّف الامرَ والنهيَ في إسداء نصائح متوالية ، وهذا يدل بوضوح على عدم تفريطه في علاقة حميمة وثّقت عرى الصداقة من جانبه ، بالرغم من حالة الجفاء والقسوة التي قُوبل بها ، فاختار له أن يَعدلَ عن رأيهِ ويقبلَ على حياةٍ أفضل مع كرام الناس في دعوة صريحة للصفح والتسامح وطي صفحة الماضي ، ومن هنا بدأ يثني على نفسه بوصفه (نبع طهورٌ شرابه) ، وبالمقابل نهاه عن مرافقة عمّن وصفهُ (بالضحضاح) الذي لا يروي من ظمأٍ ، ثم أمرهُ بالسير في طريق الحقِّ الموصلِ إلى بَرّ النجاة ، ويواصل إسداء النصيحة فيقول :

ولا تتخذْ صَحباً من الناس هَمُّهُم ** إذا شيَّد الباني صروحَ العلى هدُّوا

وكُنْ مِثلَ حدِّ السَّيفِ في كفِّ فَارسٍ** شديدٍ على الأعداءِ يومَ الوغى شَدُّوا

ولا تَركَبَنْ فلكاً تَهاوى شراعُهُ ** ولا تركنَنْ للقومِ عن دِينهم صَدُّوا [4] .

يلاحظ في نهاية النص أن النصيحة بأداة النهي وفعل الأمر ، تركّزت حول مجانبة رفاق السوء الذين اتخذهم أخلاء من دونه ، وقد صرّح باللفظ صراحة وهم في نظره معاولُ هدمٍ ، واختار لصديقه من التشبيه أن يكون مثل حد السيف شديد الوقع في العدو ، ثم ينتقل إلى معنىً بعيد فيذكر (الفلك والشراع) وفي ذلك كناية يوجه من خلالها صديقه إلى عدم الاجترار مرة أخرى وراء من وصفهم بالسراب والأوهام .

---

[1] سورة الحشر : الآية 9 .

[2] الضحضاح : الماء الرقيق على وجه الأرض ، لا عمق له ، تاج العروس ، مادة (ض ح ل) ، ج29 ، ص 341 .

[3] [4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 364

ومـا يسـتخلص مـن الـنص أن وشـائج العلاقـة التـي جمعـت بـين صـديقين كـادت أن تنفصـل عراهـا لـولا العتـاب الـذي رافقـه نصـح وإرشـاد وترغيـب ، فـالنص اعتمـد فيـه الشـاعر ذكـر المقـابلات بـين السـلب والإيجـاب مـع كثـرة الاسـتفهام والتعجـب وأفعـال الأمـر وأدوات النهـي ، وهـذا يسـهم فـي إثـارة ذهـن المتلقـي ويجعلـه أكثـر انتباهـاً وحرصـاً بمعرفـة النتـائج ، أضـف إلـى ذلـك انتقـال الشـاعر بـين غرضـي العتـاب والنصـح والإرشـاد أملاً منه في استعطاف الصديق ؛ ليردّه إلى جادة الطريق .

ومن نص (فرية مأفون) يقول الشاعر :

كــفَّ الملامــةَ والعتــابْ ** يــا من تَعيـبُ ولا تُعَــابْ

وهمــاً بأنّــك كامِــلٌ ** ونسيـت أنّــك مــن تــرابْ

تغتــاب إخــوان الحمــى ** وتُضيعُ عمــرَكَ في اغتيــاب

وتهــدُّ صـرح إخائنــا ** وتدُكُّــه بيــد الخــرابْ [1] .

يـأمر صـديقه بـالكف عـن الإسـاءة ويـذكّره بـأمر هـام ، فـإن كـان يتـوهّم أنـه منـزه عـن الزلـل فهـو واهـم ؛ لأنـه بشـر مخلـوق مـن تـراب، والله تعـالى يقـول : ﴿ **مِنْهَـا خَلَقْنَـاكُمْ وَفِيهَـا نُعِيـدُكُمْ وَمِنْهَـا نُخْـرِجُكُمْ تَـارَةً أُخْـرَى** ﴾ [2] ، وقـال ﷺ : " أذهـب الله عـنكم عُبِّيَّـةَ الجاهليـة وفخرهـا بالآبـاء ، والنـاس بنـو آدم وآدم مـن تـراب " [3] ، وفـي تعجـبٍ أشـار إلـى أمـرٍ خطيـر وهـو (الغيبـة) ، وقـد نهـى الله تعـالى عـن ذلـك بشـدة فقـال : ﴿ **وَلَا يَغْتَـبْ بَعْضُـكُمْ بَعْضًـا أَيُحِـبُّ أَحَـدُكُمْ أَنْ يَأْكُـلَ لَحْـمَ أَخِيـهِ مَيْتًـا فَكَرِهْتُمُـوهُ** ﴾ [4] ، ونتيجـة هـذا الفعـل فـإن صـرح الإخـاء قـد انهـدَّ ، واسـتعماله الفعلـين (تهـدُّ ــ تـدُكُّ) دلالـة علـى شـدة الموقـف ، ومـع كـلّ مـا بـدر مـن صـديقه فإنـه لا يـزال يسـتدرجه بالأسـلوب اللّـيّن محاولـة منه في طي صفحة الماضي فيقول :

آليــتُ أن أرقــى علــى ** لغـو الأحبّــة والصّحــابْ

مـن قـد حملـتُ لواءَهُــم ** ورفعتــه فــوق السّــحــابْ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 360 .

[2] سورة طه : الآية 55 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ، ص 735 .

[4] سورة الحجرات : الآية 12 .

حتــى إذا جنــح الهــوى ** والــرأيُ عنــد البعض خابْ

سدّدت بالـرأي السّديــد ** وسـرت فـي درب الصّـوابْ [1] .

ينتقـل إلــى الثنــاء والمــآثر ويصـوّر نفســه أنــه أهـلٌ لـذلك ، فبحسـب وصـفه أنــه صـاحب فضـلٍ علـى أحبّتـه ، ويختـتم نصّـه بمـا هـو إيجـابي وهـو صـورة التسـامح والصـفح مــع أصــدقائه وأحبّتــه ، وإن أخطــأ بعضــهم فقـد تجــاوز عــنهم بإبــداء الــرأي الســديد الــذي يـدفع بـالجميع إلــى جـادة الصّـواب ، ومـا يلاحـظ عتـاب الشـاعر أنــه نـابعٌ مـن مشـاعر وأحاسـيس صــادقة تهـدف إلــى رأب الصــدع بأسـلوب الملاطفــة واللــين حتــى يـؤتي العتــاب ثماره المرجوّة .

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 360 .

الفصل الثالث :

النصح وأليّات التلقي (مراعاة أحوال المتلقي) .

المبحث الأول : الخطاب الموجّه للرجال

المبحث الثاني : الخطاب الموجّه للمرأة

المبحث الثالث : الخطاب الموجّه للأطفال

المبحث الرابع : الخطاب الموجّه للخارجين عن العرف الاجتماعي (السفهاء)

المبحـــــث الأول

الخطاب الموجّه للرجـــــال :

تقديـــــم :

موضـوع الأدب عامـة والشـعر خاصـة هـو الإنسـان ، والإنسـان بطبيعتـه كـائن اجتمـاعي لا يسـتطيع الانعـزال عمـا حولـه مـن كائنـات حيّـة وجامـدة ، ولا بـد أن يتفاعـل معهـا باسـتمرار ممـا يخلـق لديـه جملـة مـن العلاقـات المتنوعـة ، التـي يحاول التنسيق فيما بينها ؛ لِيُؤمّنَ لنفسه نوعاً من التلاؤم والاستقرار .

و يـرى الباحـث : أن الشـاعر بمـا أوتـي مـن رهافـة فـي الحـس ، فهـو يشـعر أنـه أكثـر النـاس تفـاعلاً مـع مجتمعـه ، ومهمـا حـاول الابتعـاد عنـه أو شـعر بالغربـة تجاهـه "، فإنـه لا يسـتطيع أن يبعـده عـن فكـره ووجدانـه ، وخيالـه وأحاسيسـه المتوقـدة ، ومـن هنـا كانـت عمليـة الـتلاؤم والانسـجام معـه أكثـر تعقيـداً وغنىً .

إن العلاقـات الاجتماعيـة أسـاس مـن أسـس الإبـداع الفنـي عمومـاً ، وخصوصـية العلاقـة بـين الأدب والمجتمـع أكثـر غنـىً مـن الفنـون الأخـرى ، فالشـاعر ـ علـى أقل تقدير ـ إنمـا يقـوم فنّـه علـى أسـاس اللغـة التـي هـي مـن أبـرز الظـواهر الاجتماعيـة [1] ، فهـو بالتـالي أسـير الظـواهر الاجتماعيـة وواقـع تحـت تأثيرها لا محالة .

ودراسـة أي نـص يـرتبط بالأسـاس بمـدى تجـاوب الجمهـور معـه ، ذلـك أن الـنص لا يقـدم فـي الحقيقـة سـوى بعـض الإشـارات والإيمـاءات ، وعلـى الـدارس أن يوظفهـا لخدمـة قراءاتـه ، ويـرى (فلغـانغ أيـرز) أن العمـل الأدبـي ينقسـم إلـى قطبـين : " القطـب الفنـي والقطـب الجمـالي ، الأول هـو نـص المؤلـف والثـاني هـو التحقـق الـذي ينجـزه القـارئ ، وفـي ضـوء هـذا التقاطـب يتضـح أن العمـل ذاتـه لا

---

[1] ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي : عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط 1 ، 1955 م ، ص 304 .

يكـون مطابقـاً للـنص ولا لتحققـه ، بـل لابـد أن يكـون واقعـاً فـي مكـانٍ مـا بينهما " [1].

إن الشـاعر يمضـي إلـى أعمـاق الـنفس عـن طريـق اسـتغلال طاقاتـه المعرفيـة المرتبطـة أساسـاً بوجدانـه الخـاص ، وإن التفاعـل بـين الشـاعر والمتلقـي ينعكس فـي العمـل الفنـي ، فالمبـدع يقـوم بعمليـة اختيـار العناصـر وإعـادة تركيبهـا علـى نحـو يصـل إلـى التكامـل فـي كثيـر مـن الأحيـان بينـه وبـين المتلقـي ، وهـذا الـتلاؤم لا يـتم إلا تحـت تـأثير التجربـة الشـعبية التـي يجـب أن تكـون " مـن الشـدة بحيـث تبعـث فـي المؤلـف القـوة والنظـام اللازمـين لمجهـود أدبـي يسـتطيع أن يخرج ــ بواسطة الألفاظ ــ رمزاً عن تجربة " [2] .

والشـاعر موضـوع الدراسـة يوجـه خطابـه لفئـات المجتمـع المختلفـة فـي صـورة نصـح مباشـر وغيـر مباشـر علّـه مـن خـلال ذلـك ، يكـون قـد أدّى مـا عليـه مـن واجـب يمليـه عليـه ضـميره اتجـاه وطنـه وأمتـه ، وفـي هـذا المبحـث الأول يخصصه الباحث للخطاب الشعري الموجه للرجال والشباب .

ومن نص (في ذكرى الشهيد) يقول الشاعر :

يـا رجـال الجيـش الأبـاة سـلام ** مـن فـؤاد يهفـو لكـم وتحيّـة

قـد حميتـم مـن العريـن جناحـاً ** وقريبـاً تحـررون البقيـة [3] .

فـي خطابـه الموجـه ينـادي يوسـف العظـم الرجـال المحـاربين المجاهـدين لإعـلاء كلمـة الحـق والمـدافعين عـن الأرض والعـرض ، وبـدأ بالنـداء ؛ لأنـه مـن الأسـاليب المهمـة التـي يسـتعملها الشـاعر مـن أجـل إيصـال أفكـاره مباشـرة إلـى المتلقـي ، كمـا أن أسـلوب النـداء وسـيلة مـن وسـائل الخطـاب البـارزة التـي يلجـأ إليهـا الشـاعر ؛ لعطـف المخاطـب إليـه

---

[1] فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب : فلغانغ أيزر ، ترجمة ، عبد الحميد الحمداوي ، وجلال الكدية ، مكتبة المناهل ، فاس ، المغرب ، د ط ، د ت ، ص 12 .

[2] قواعد النقد الأدبي : لآسل أبر كرمبي ، ترجمة : محمد عوض محمد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ بغداد ، 1944 م ، ص 48 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 21 .

فهو " مركب لفظي يُسْتَعملُ لإبلاغ المنادى حاجة أو لدعوته إلى إغاثة أو نصرة " [1] ، ووصفهم بالشجاعة في لحظة إفشاء السلام عليهم المقترن بالتحية ، عرفاناً منه بما قدّموا من تضحيةٍ وفداء ، وبما حملوه على عواتقهم اتجاه الوطن، ولكن المهمة لم تكْتملْ بعد ، فبقية أجنحة الوطن ما تزال تحت وطأة المستعمر ، فقد جعل الوطن العربي الكبير هو العرين واستعار له جناحاً وهو الجزء من الكل ، ويحذوه الأمل بتحرير بقية الأجزاء من الوطن ، ثم يواصل النص فيقول :

وفؤاد الأقصى الجريح ينادي ** أين عهد اليرموك والقادسية ؟

أين راياتُ خالد وصلاح ؟** وزحوف لطارق وأميّة ؟

وعلٌّي يزجي الصفوف ويعلي** في ذرى المجد راية هاشمية ؟

أين عهد الفاروق غير ذليل** عفَّ قولاً وطاب فعلاً ونيّة ؟

وجيوشٌ قد أشرعتها سيوفاً ** وقلوبٌ نظيفة وتقية ؟ [2] .

يتحسّر الشاعر من حالة القدس الذي وصفه بالجريح ، وهو على هذه الحال منذ عشرات السنين ، وبالاستعارة جعل الأقصى في صورة إنسان بجوارحه يستنجد من هول ما ألمَّ به ، ثمّ استخدم أداة الاستفهام ، وأدوات الاستفهام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحالة الشاعر النفسية ، وما هي إلا تعبير عفوي خالص ، فجميع أدوات الاستفهام تتمتع بقيم أسلوبية تأثيرية ، فالإحساس بعدم التجديد والقلق وتأثير البيئة وغيرها تعدُّ جميعها قيماً أسلوبية مؤثّرة [3] ، وتتخذ صيغ التساؤلات المتكررة في هذا النص وغيره من نصوص الشاعر أسلوباً مميّزاً ، فهي نماذج متعددة تعبر عن عمق الترابط بين الشاعر والواقع ، وقد تكرّرت هذه الأداة (أين) في سياق النص الدالة على المكان، وكلّما جاءت مكررة ، فإن هناك جواباً يبحث عنه الشاعر ، وهذا ما يجعل المتلقي يترقب وينتبه لما سيحدث بعد كل تساؤل ، وقد جاءت الأسئلة متتابعة ضمن السّياق

---

[1] في النحو العربي نقد وتوجيه : مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 336 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 22 .

[3] ينظر : اللغة والإبداع الأدبي : محمد العبد ، دار الفكر والدراسات ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ص 69 .

عـن شخصـيات خلّـدها التـاريخ فـي صـفحاته الناصـعة يبحـث لهـا الشـاعر عـن أجوبـة سـريعة ، ولعلّـه مـن خـلال هـذا التكـرار شـدّ انتبـاه المتلقـي أكثـر وحملـه علـى التفكير معه .

تشـكّل الشخصـيّات التراثيـة بانتماءاتهـا المختلفـة البطوليـة ، والدينيـة ، والتاريخيـة ، والأدبيـة مصـدراً ثريّـاً ، اسـتمد منـه الشـعراء مـادة لغويـة غنيـة بكثيـرٍ مـن الطاقـات الإيحائيـة الزاخـرة بالعطـاء النفسـي الوجـداني ، الـذي يلخـص تجـارب الرمـوز أو الشخصـيات بأبعادهـا التـي حـدّدها لهـا واقعهـا التـاريخي فـي عصـرها ، أو بملامحهـا الأسـطورية التـي عُرِفَـتْ بهـا ، وتناقلتهـا ذاكـرة الأجيـال ، واختزنهـا الوجـدان العـام ، وهـذه الشخصـيات المـذكورة إنمـا وُصِـفَتْ بالبطولـة والإقـدام ، فـربط الشـاعر بينهـا وبـين أمـاكن هـي مـن الأهميـة بمكـان بحيـث لا تقـل شـهرتها وأهميتهـا عـن الأبطـال المـرتبطين بتلـك الأمـاكن التـي شـكّلت منعطفـاً مهمـاً فـي تـاريخ العـرب والمسـلمين ومـا يـزال مـاثلاً فـي كونـه صـورة حيّـة فـي وجـدان الشـاعر ومخيّلتـه كلّمـا انعطـف بخيالـه إلـى الماضـي ، فالبعـد الزمـاني والمكـاني عـن تلـك المواقـع ، إنّمـا هـو بعـدٌ مكـاني ولـيس بـالحس والجسـد ، فهـي أمـاكن قريبـة مـن الشـاعر ، وكـل موقـعٍ منهـا يشـكّل عنـده محطـة مـن محطـات التـذكّر ، فيأخـذه الشـوق والتمنـي فـي اسـتعادة تلـك الأمجـاد والبطـولات ، " فالمكانيـة فـي الأدب هي الصورة الفنيّة التي تذكّرنا بذكريات ماضية " [1] .

وخلاصـة ذلـك : أن فـي قلـب الشـاعر لواعجـاً وحنينـاً إلـى أن تعـاد تلـك البطـولات ، وفـي تلـك الأمـاكن بشخصـيات فـي مقـام أولئـك الأبطـال ، فغالبـاً مـا يفـيض خيـال الشـاعر فيصـور الـذكريات المليئـة بالأسـماء والحـوادث ، ولا يـأتي المكـان المـرتبط بالـذاكرة إلـى خيـال الشـاعر مـن دون مـؤثر يدفعـه إلـى نظـم أشـعاره مـن عناصـر الواقـع أو بـدافع مـن أعماقـه ، والشـاعر مـن خـلال سـرد تلـك الأحـداث والأسـماء والمواقـع الضّـاربة فـي عمـق التـاريخ العربـي والإسـلامي ، فإنمـا ينصـح ويرشـد ويشـحذ الهمـم ويـذكر بالماضـي التليـد لأمـة كانـت تسـود العـالم فصـارت فـي الحضيض .

---

[1] جماليات المكان : غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط 2 ، 1984 م ص 6 .

ومن نص (ذكريات المجد والعار ... في أرض الأبرار) يقول الشاعر :

يا أيها الجند في خط الرّدى ثبتوا ** لا تتركوا طغمة العدوان تخزينا

لا تيأسوا بل أعيدوا يوم وقفتكم ** يوم الكرامة قد ذلّت أعادينا[1] .

يوجه الشاعر خطابه للجند وينبّههم إلى الخطر المحدق ، بتنبيه يتبعه تخصيص ولكن أي جند ؟ إنهم الذين ثبتوا في المواجهة مع العدو بصدورٍ عارية ورفضوا كل أشكال الخنوع أو المهادنة مع عدوّهم الموصوف بطغمة الطغيان ، وقد جمع بين أسلوبي النهي والأمر (لا تتركوا ــ لا تيأسوا) وهذا النهي المجازي هو : " طلب الكف عن شيء لا على سبيل الاستعلاء بل على سبيل المجاز ممن هو أعلى مكانة من المتكلم أو ممن هو أقل شأناً منه لأمر بلاغي " [2] مع النهي والأمر (لا تيأسوا ــ أعيدوا) ، تأكيدٌ على خطورة الموقف ، وتذكيرٌ بأمجادٍ ماضية ، ومن باب النصح والإرشاد لاستنهاض الهمة والحث على الجهاد والذود عن الحرمات ؛ لتجنب اليأس والقنوط ، فقد يصل الأمر ببعض المقاومين في بعض الأحيان إلى مرحلة التردد ثم اليأس مما يكون له أثر سلبي على عملية المقاومة .

وكذلك أسلوب الأمر الذي لجأ إليه الشاعر ، هو أمر مجازي لا إلزام فيه ، إنما هو من باب والنصح والإرشاد والتحسّر على الواقع ، وقد ارتسمت صورة الرفض في أسلوبه ، وهذا من سمات الخطاب الشعري الحي ، وقضيته من القضايا التي تحكم عملية انتاج الدلالة النصية ، فهو العلاقة التي يتبادلها الشعراء ممن يملكون القدرة على رؤية فاحصة واعية بواقعها لأنه " يعبر عن ظواهر المواجهة المتحدّية المتطلّعة إلى استيعاب قضايا المجتمع عامة في نطاق شخصية معينة " [3] ، وموقف الرفض هذا يندرج تحت رفضه الاحتلال الظالم واضطهاد أهله والخيانة والنفاق والتنازل ، فقد اعتمد يوسف العظم على خطاب مباشر بالتنبيه والتخصيص في أول الأبيات لفئة حددها بالصفة ، ولسان حاله يقول ناصحاً ومرشداً : إن المعركة لا تُحْسَم

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 33 .

[2] جمالية الخبر والإنشاء : (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، د حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2005 م ، ج 1 ، ص 107 .

[3] الرفض ومعانيه في شعر المتنبي : يوسف الحداشي ، الدار العربية للكتاب تونس ، د ط ، 1984 م ، ص 5 .

لصالحنا إلا بالثبات على الحق وقوة الإيمان ، وهو يتأمل ويستبشر خيراً في مدد الله وقدرته ، ويستحضر قول الله جلّ وعلا : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾** [1].

ومن نص (رجاء .. فدائي) يقول الشاعر :

يا جموعاً زحفت عبر الخيام ** وشموعاً في دياجير الظلام

إن في كفّي (رشّاشاً) غدا ** صدِئَاً يزري بتنميق الكلام

أنا ليثٌ في عريني رابض ** هدّني قيدي وأضناني لجامي

فاجمعوا صفّكم في وحدةٍ ** واذكروا النكبة في ضلّ الخصام[2].

عندما يخاطب الشاعر الرجال ، فإنه يستخدم الخطاب على شكلين ، إمّا بتوجيه مباشر بالأسماء أو الصفات ، أو أن يكون معهم وجزءٌ من ذات القضية كما في هذا النص ، فقد وجّه نداءه للجموع الزاحفة عبر مخيمات اللاجئين المنتشرة بين أقطار المعمورة ، وكان الخطاب بالتعميم وبصيغة الجمع لا بالتخصيص ، وفي هذا الوصف كناية عن الكثرة ، فقد جعلهم شموعاً مضيئة في عتمة الليل الحالك ، وفي ذلك إشارة إلى الوضع المريب الذي يعاني منه شعب سلاحه الإيمان بالله ثم الحجارة ، وهي دعوة لتحفيز الهمم وحشد كل القوى المادية والمعنوية في مواجهة عدوٍّ غاشم ، وينضوي تحت هذا النداء إشارة إلى أمر في نفس الشاعر صرّح به في البيت الثاني :

إن سلاحه قد نفذ إليه الصدأ من عدم الاستعمال فلم يعُد ذا جودة ، وصارت الردود على العدو في صورة خطابات منمّقة مسجوعة جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع ، مضمونها التنديد والشجب والاستنكار لجرائم العدو اليومية ، التي كرهها الشاعر شكلاً ومضموناً .

وفي البيت الثالث جمع بين صورتي الأسد الرابض في عرينه ، والجواد الذي يلوك لجامه في مكانه حتى أضناه اللجام ، فالعرين للأسد واللجام للفرس ، وما يغني

---

[1] سورة محمد : الآية 7 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 96 .

هــذا أو ذاك إذا كــان مقيّــداً فــي مكانــه ؟ حيــث لا يصــيد فريســة الأول ولا حــرب يخـوض غمارهـا الثـاني ، وتشـتعل فـي نفـس الشـاعر ثـورة غضـب وحسـرة وألـم ممـا يـرى ويسـمع ، وهـذا مـا دعـاه لأن يعيـد التوجيـه والنصـح والإرشـاد مـن خـلال خطابـه بصـيغة الجمـع مـع فعـل الأمـر أنِ (اجمعـوا) صـفّكم واتحـدوا مستشـعراً بـذلك قولـه تعـالى : **﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّـهِ وَعَـدُوَّكُمْ ﴾** [1] ويسـتمر النصـح والإرشـاد بالـدعوة إلـى وضـع الهـدف المنشـود (تحريـر القـدس) نصـب أعينـهم والابتعـاد عـن الخصـام وأسـبابه والـتخلص ممـا حـاق بهـم مـن الضـعف والتخلـف ونبـذ الفرقـة ، حاثـاً إيّـاهم علـى استشـراف المسـتقبل والتأهـب لـه بوحدة الصف واستذكار النكبات المتتالية من سنة 1948 م ، وحتى الوقت الحاضر .

ومن نص (الله أكبر) يقول الشاعر :

ردّدوهـا بلسمـاً يشفـي الصـدورا ** وابعثوهـا فـي الدُّنـا نـاراً ونـوراً

أيّها الجنـــدي يا من ضيّعــوا ** جهـــدك الخير بهتانـــاً وزوراً

إن صنعت النصر أو ذقت الـــرّد ** نلـت من ربـك جنـات وحـورا

خيـــر ما تجـــزى بـــه ... الله أكبـــــر [2].

الله أكبـر هـي دعـوة الحـق والنـداء المجلجـل والصـرخة المدويـة التـي يطلقهـا الشـاعر ، فـالله أكبـر مـن القـدرة علـى معرفتـه ، والله أكبـر مـن أن تنالـه أي معرفـة ، فهـو أكبـر مـن كـل شـيء ، وهـذا الـنص اعتمـد علـى أسـاليب النـداء والأمـر والتكـرار ، فالنـداء مـن أبـرز مظـاهر اللغـة الانفعاليـة نظـراً لمـا فـي أدواتـه مـن الصـيحات الناتجـة عـن الانفعـال الحـاد، وقـد ثبـت فـي اللغـة العربيـة " أن النـداء إذا سـبق طلبـاً كـان دالّاً علـى شـدّة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه من جهة وعلى أن الأمر مقصورٌ على

---

[1] سورة الأنفال : الآية 60 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 39 .

المنـادى مـن جهـة أخـرى " [1] ، وفـي هـذا الـنص الطويـل الـذي جـاوز الخمسـين بيتـاً كـان الخطـاب بصـيغة المفـرد والجمـع ، فمـن بـاب النصـح والإرشـاد يوجـه الشـاعر الجنـدي المقاتـل بـأن لا يلتفـت إلـى مـن كـانوا حجـر عثـرة فـي طريقـه وحـاولوا أن يثنـوه عـن مبتغـاه ، بـل أرشـده بأسـلوب الشـرط إلـى مـا يوصـله إلـى دار النعـيم فـي الآخـرة ، ثـم يواصل فيقول :

ردّدوها دعـوة الحـق الصـراح ** وابعثـوا أصـداءها كـلّ صبـاح

فهـي رمـزٌ لإبـاءٍ شامـخٍ ** وهـي عنـوان جهـادٍ وكفـاح

فـي حمـى بـدرٍ علـت راياتهـا ** وزهـت حطّيـن في ظـلٍّ صـلاح

عيـن جالـوت بهـا قـد رفعـت ** رايـة النصـر علـى حمـر الجـراح

وعلـى اليرمـوك منهـا فتيـةٌ ** عانقـوا المـوت وهامـوا بالرمـاح [2] .

هنـا يتغيـر الخطـاب مـن صـيغة المفـرد إلـى الجمـع بفعلـي الأمـر (رددوا ـ ابعثـوا) دعـوة الحـق (الله أكبـر) ، وهـذه الـدعوة بفعـل الأمـر (رددوا) تكـررت لأكثـر مـن عشـر مـرات فـي الـنص ، ودعـا الشـاعر أن تكـون هـذه الـدعوة متجـددة علـى مـرّ الأيـام ؛ لأهميـة هـذا النـداء وقـوة تـأثيره فـي حماسـة نفـوس المجاهـدين ، ولقـوة وقعـه فـي إرهـاب الأعـداء، فهي كما وصفها رمز الإباء وعنوان الشموخ .

ومـن بـاب التـذكير وشـحذ الهمـم يحيـل ذاكـرة المتلقـي بـالرجوع إلـى الماضـي ويُعَـرِّج علـى ذكـر الأمـاكن الخالـدة فـي التـاريخ مثـل : (بـدر ـ حطـين ـ عـين جـالوت ـ اليرمـوك) وذلـك نـابع مـن مرجعيتـه الدينيـة ، فالشـاعر وظّـف الأمـاكن متمنيـاً أن يحضـر فيهـا ، أو أن يحـدث فـي حضـرته مـا حـدث فـي أزمنـة خلـت ، لمـا لتلـك الأمكنـة مـن خصوصـية فـي نفس كـل مسـلم غيـور علـى دينـه ووطنـه ، وقـد ظهـر جليـاً وجـود إشـارات الانتصـار فـي كـل موقعة من خلال الافعال (علت ـ زهت ـ رفعت ـ عانقوا) .

---

[1] نداء المخاطبين في القرآن : أسراره وبلاغته ، علي عبد الواحد وافي ، مجلة اللغة العربية ، عدد 9 ، 1987 م ، ص 85 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 40 .

وبين (الجراح والرماح) ارتباط ، إذ ينتج الدم ولونه الأحمر من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة ، فهذا اللون كَثُرَ استعماله في مثل هذه المواقف ؛ لارتباطه بالدم مما جعله لوناً مقدّساً ومخيفاً في وقت واحد ، وفي دلالته منحى التحدي والثورة والصمود وغالباً ما يكون رمزاً للثورة والحصول على الحرية والوقوف في وجه الظلم [1] ، فيلاحظ أن في دعوته تحفيز ونصح وإرشاد وتوجيه على الأخذ بالأسباب من أجل الجهاد المقدس لتحرير ما احتله العدو، ويستمر في ذات النص ، فيقول :

رددوها دعوة غير مريبة ** في حمى الأقصى وفي يافا السليبة

واجعلوها غضباً تهفو له ** غزّة الحرّة والقدس الحبيبة

فابعثي يا أمتي أمجادنا ** وتحدّي الشمس فالشمس قريبة

إن جرت في دمّنا اللّهُ أكبر [2] .

في هذه الأبيات خطاب مباشر للأمة ، وما يزال الشاعر يُصِرُّ على ترديد دعوة الحق التي يرى أنها المفتاح الرئيس للنصر المؤزر ، وهي دعوة غير مريبة أي منزّهة عن كل نقصٍ وشك ، والأقصى أحوج ما يكون لهذه الدعوة التي منها ينتج الغضب المتزايد والحقد على المحتل جرّاء ما يقوم به من جرائم يومية ـ وكعادته في كثيرٍ من النصوص ـ ركّز على ذكر الأماكن التي يرتبط بها وتشدّه إليه أكثر ، وفي ذكره (حمى الأقصى ـ يافا ـ غزّة ـ القدس) ، فإن هذه الأماكن في فلسطين المحتلة لها براءتها وقدسيّتها ، بل وأهميتها الجغرافية وعراقتها المتجذرة في عمق التاريخ ، والشاعر من خلال هذه الدعوة المجلجلة ، فإنه يريد أن يتفجر الغضب في كل أرجاء الوطن المحتل من خلال اعتماده على النصح والارشاد والدعوة للانتفاضة الظاهرة في أفعال الأمر (اجعلوها غضباً ـ رددوها ـ فابعثي ـ تحدّي) ؛ ليبين أن الهدف يتحقق مع الصبر والعزيمة والإصرار فيصبح قريباً وسهل المنال .

---

[1] ينظر : اللغة واللون : عمر أحمد مختار ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 م ، ص 111 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 41 .

فـي مخـيم رابطـة الشـباب المسـلم علـى شـاطئ بحيـرة (نيـو أورليـانس) فـي أمريكـا كان للشاعر لقاء مع أولئك الشباب ، فجادت قريحته بقصيدة قال في آخرها :

إيـهٍ شبـاب العلـى يا ذخـرنا لغـدِ ** مـا لـي أرى الغـدَ فـي الأوطـانِ لم يَبَـنِ ؟

ألـــم يحـنْ أنْ نـرى نـوراً يوحّدُنـا ** أم أنَّ وحدتـنا فـي النـور لـم تَحِـنِ ؟

يا ربِّ إنّـــا نذرنـا أنفسـاً طَهـرَتْ ** لوحـدةٍ تجمـع الأوطـان فـي وطَـــــنِ

وترفــع الحـقَّ نـوراً نستضـيئُ بـه ** ويشــرقُ الكـونُ بالآيــاتِ والسّنــن [1] .

يوجـه الشـاعر خطابـه للشـباب بالأسـلوب المباشـر ويتأمّـل فـيهم خيـراً ،حيـث يؤكـد علـى دورهـم الفاعـل فـي مواجهـة الأزمـات ، وتجاوزهـا نحـو آفـاق وأحـلام ، وطموحـات مســتقبلية ترســم طريــق مســتقبلٍ مشــرق للــوطن الجــريح ، أكّــدَ علــى ذلــك فــي قوله : (يا ذخرنا لغدٍ)

ثـمّ يوجـه خطابـه فـي صـورة اسـتفهام تكـرر مـرتين متتـاليتين ، ووظّفـه ؛ ليسـألهم عـن موعـد النصـر ، ولسـان حالـه يقـول : كيـف يمكـن التغافـل عـن سـيول الـدماء التـي تتـزف والـدموع التـي تنهمـر ؟ ، وفـي البيـت الثالـث ينـاجي ربـه ويتضـرع إليـه بأسـلوب النـداء لكـل مـن وهـب نفسـه رخيصـة مـن أجـل وحـدة الـوطن وسـلامة أرضـه ، بـأن يَمُـنَّ الله بالنصـر المـؤزر علـى الظلـم والاضـطهاد ، ومـن ثـمّ يسـود العـدل بشـريعة الله سـبحانه وتعـالى ، وسـنّة نبيـه الكـريم ﷺ ، ويعـم الرخـاء والأمن والأمان ، وهذه غاية الشاعر ومبتغاه .

وخلاصــة القـول : يلاحـظ علـى أغلـب خطابـات الشـاعر الموجهـة لفئـة الرجـال والشـباب ، أنهـا كانـت حماسـية تحمـل فـي طيّاتهـا نصـحاً وإرشـاداً وتوجيهـاً وتـذكيراً ، ودعـواتٍ مسـتمرة ومُلِحّـة فـي كثيـرٍ مـن الأحيـان بـالنظرة الثاقبـة إلـى الماضـي البطـولي لأمـة الإسـلام ، وأخـذ العظـة والعبـرة والـدرس المسـتفاد ومقارنتـه بـالواقع المعـيش لحالـة الأمـة اليـوم ، وقـد تركـز خطابـه علـى ذكـر شخصـيات وأماكن لها أثرها في التاريخ .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 357 .

المبحـث الثانـي

الخطـــــاب الموجّه للمرأة :

تقديـــــم :

إن مظـاهر الجمـال فـي الكـون كثيـرة ومتنوعـة تسـتهوي الأديـب والشـاعر وغيرهمـا ، إلا أن التعبيـر عنهـا يبقـى فـي طريقـة الكتابـة بـين النثـر والشـعر ، والشـعراء تكمـن فـي داخلهـم تلـك القـدرة علـى الشـعور بالجمـال أكثـر مـن غيـرهم ، ، فكانـت ولا تـزال اللغـز الجميـل الـذي هـام بـه وبسـحره الكثيـرون ، وافتـتن بجمالـه الأدبـاء والشـعراء قـديماً وحـديثاً ينسـجونها لحنـاً فـي أشـعارهم ويرسـمون ملامحهـا بالخطـاب المباشـر ، أو عـن طريق الرمز .

وقـد بـدأ واضـحاً أن هـذا الـتعطش للجمـال والحنـين الـدائم يترجمـه مـن الناحيـة الجماليـة غـرض الغـزل ، حيـث أنـه يمثـل الصـورة المعبـرة عـن إحسـاس العربـي بالجمـال وتفوقـه فـي تحديـد ملامحـه ، وهـذا الجمـال البشـري أفـرد لـه الشـعراء القـدامى حيّـزاً بـارزاً فـي أشـعارهم وأدركـوا بحسّـهِمْ مكانـة المـرأة ودورهـا وعـدّوها عـاملاً رئيسـاً لجلـب انتبـاه المتلقـي . فتواجـدت صـورة المـرأة فـي الشـعر العربـي قـديماً وكـذلك فـي الحـديث والمعاصـر إلا أن الرؤيـة اختلفـت ، فالشـاعر العربـي القـديم لـه رؤيتـه وللشـاعر الحـديث أو المعاصـر لـه رؤيتـه أيضـاً ، ولكـلٍ طريقتـه فـي التعبيـر عـن صـورة المـرأة التمثـال بملامحهـا الجسـدية والمعنوية وطريقته في مخاطبتها.

يحـرص الشـاعر علـى مخاطبـة المـرأة المسـلمة بالـذات ؛ لأنهـا تربّـت بالتربيـة الروحيـة التـي تمثـل الأسـاس القـويم لبنـاء شخصـيتها الإنسـانية بنـاءً شـاملاً ، فهـي مصـدر هدايـة العقـل وتهـذيب الأخـلاق وتزكيـة الـنفس وصـفاء القلـب ، والتحلّـي بالفضـائل والقـيم والمثـل العليـا ؛ لتكـون قـادرة علـى تحمّـل أعبـاء المسـؤوليات المناطـة بهـا ، والرسـالة المكلّفـة بهـا ، وتنميـة المجـال الروحـي والارتقـاء بـه يعطـي المـرأة المسـلمة القيمـة الحقيقيـة حيـث إن " الحيـاة الروحيـة هـي الضـابطة للحيـاة الماديـة والموجهـة لهـا إلـى الخيـر والصلاح الحقيقي " [1] .

---

[1] أصول التربية في الإسلام : القاضي سعيد إسماعيل ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2002 م ، ص 33 .

والشاعر يوسف العظم كان للمرأة نصيب في شعره ، لا سيّما المرأة الفلسطينية في مسيرتها نحو أهدافها النبيلة بناءً وعطاءً ، تسهم في تدمير العدو وتحرير المقدسات ، وانطلقت تواجه أعداء الخير بالحجارة ، ولا تبالى أن يسيل دمها على الكف الطاهر والوجه الناصع النقي في دنيا الجهاد المبرور ، ومن نص (وسطّرِي صفحةً للمجد زاهيةً) يقول يوسف العظم :

خوضي غمار الرّدى أختاه وانطلقي** وبدّدي ظلمة المحتل والغسقِ

وردّدي آية أضحت لنا أملاً ** تجتثُّ منّا جذور الخوف والقلق

إن تنصروا الله ينصرْكم فلا تهنوا ** واستبشروا فحليف النصر كلّ تقي[1].

إن تكثيف أفعال الأمر المتتالية (خوضي ـ انطلقي ـ بدّدي ـ وردّدي) ، دليلٌ على الحركة والاستمرارية إلى جانب النداء ، وترافقها صورة مضطربة ومخيفة حملتها الألفاظ (الرّدى ـ ظلمة ـ المحتل ـ الغسق ـ الخوف ـ القلق) ، وهو يخاطب أختاً له في الدين والنضال ، دعاها بأن تنطلق في طريق الجهاد ؛ لتبدّد الظلمة الحالكة الناتجة عن ظلم وطغيان المستعمر ، ويرى الباحث أن لفظ (المحتل) جاء في مكانه المناسب لأن صفة المحتل تتناسب مع الظلمة والغسق ، وفي التنزيل قوله تعالى : **﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾** [2] ، وفي خطابه نصح وإرشاد وتوجيه ، وترديد الآية الكريمة مفتاح الانتصار وهي قول الله تعالى : **﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** [3] فالانتصار معقودٌ بأسلوب الشرط الذي يستدعي اتباع أوامر الله سبحانه والابتعاد عمّا نهى عنه وهذا من أسباب النصر الذي يبشّر به الشاعر ، ثمّ يواصل الشاعر خطابه فيقول :

واستلهمي من رحاب الخلد ملحمة ** منها يفوح عبيرٌ طيب العبق

وسطّري صفحةً بالنور زاهية ** على أديم سماء المجد والورق

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 218 .

[2] سورة الفلق : الآية 3

[3] سورة محمد : الآية 7 .

وحدّقي في جبين الشمس شامخةٍ ** وعانقيها بوجهٍ مشرقٍ ألقِ[1].

يستمر الشاعر في خطابه يدعو المرأة المناضلة للاستمرار دون توقف من خلال أفعال الأمر المتتالية (استلهمي ـ وسطّري ـ وحدّقي ـ وعانقي) وفي كل هذه الأفعال حركة واستمرارية ترسم صورة ملحمة الخلد التي أشار إليها الشاعر ؛ لتتضوع منها رائحة وعبق الشهداء ، وهي صورة تعقبها صورة الظفر بالنصر الذي تسطّرهُ أحرف النور على أديم المجد ليبقى شاهداً تاريخياً مكتوباً وموثقاً بدماء الشهداء الزكية في سجلات الخلود ، وما من شكٍ في أن الشاعر يخاطب المرأة الأم البسيطة المناضلة التي جمعت بين ثقافتها وفكرها وبين نضالها ، إذ قدّمت صورة إيجابية انعكس تعليمها ومعرفتها بقيمة نضالها في الحياة ، فخرجت جنباً إلى جنب مع إخوتها من الرجال والنساء ، وسارت على درب النضال في الدفاع عن وطنها ؛ لإدراكها بأنّ هذا هو السبيل لنيل الحرية والتحرر ، وهذا الأمر ليس غريباً ، فطبيعة الظروف السياسية والاجتماعية هي التي أملت على المرأة أن تكون مناضلة من أجل الوطن ، ويستمر الشاعر في ذات النص فيقول :

بكفّك المجد قد أعليتِ هامته ** وسْطَ السحاب يباري جبهة الأفق

وردّدي دعوة التكبير إنّ بها ** عزاً لنا وفضاءً غير منغلق

لا ترهبي الموت في ساح العلى قدماً ** وجدّدي الزحف في ساحاته وثقي

سيري عليك سلام الله ما رفعت ** مآذن القدس صوتاً غير مختنق [2].

لقد شكّلت الانتفاضة الشعبية منعطفاً هاماً في نوعية ومضمون مشاركة المرأة الفلسطينية بصورة خاصة في العمل الوطني ، من خلال العديد من التنظيمات والأطر النسوية ، التي انتشرت في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل وبعد اندلاع الانتفاضة ، واهتمت بالطابع الاجتماعي الذي يعنى بمشاكل الأسرة والتخفيف من وطأة الظروف التي فرضها الواقع المعيش ، إلى جانب طبيعة مشاركة المرأة الفعّالة مع

(1) (2) الأعمال الشعرية الكاملة : ص 218 .

رجال الحجارة ، ولعبت دوراً مميّزاً من حيث اقتحامها لكافة مجالات الحياة ونجاحها في إطلاق العديد من الأسرى في مناطق مختلفة ، فتصدرت المقاومة في المخيّم والريف والمدن ، واستطاعت أن تتأقلم مع الظروف والضرورات القصوى [1] .

وفي الأبيات أشاد الشاعر وأثنى على دور المرأة في صورة المفتخر بها ، فهو يرى من خلالها سمو راية المجد ، وعلو هامته حتى صارت في عنان السماء ، إنها صورة تبعث على التفاؤل والأمل بالرغم من كل ما يعتري المشهد من أحزان ، وبتضمين النصح والإرشاد أتى على أداة النهي في قوله: (لا ترهبي) وفي ذلك دعوة صريحة لاقتحام الموت في ساحات الوغى ، ومع كل زحف تقدمي بخطى ثابتة ويقينٍ لا يتزعزع ، وختاماً يدعو لها ويحييها مرة أخرى بتحية الإسلام بعدد ما ارتفع صوت المؤذن مناديا الله اكبر من مآذن القدس الشريف ، ذلك الصوت الحق الذي لا يضاهيه صوت ، ومن نص (فالطفل فينا ماردٌ جبّارُ) يقول الشاعر العظم :

أخت الجهاد لك التحية والهنا ** مُذْ زيّن الوجهَ الكريمَ خمارُ

هاتِ لنا الأكفان كي نلقى الرّدى ** وَنُزَفَّ فالحور الحسان تغارُ [2].

يتوجه في خطابه بالتحية إلى أخت الجهاد رفيقة السلاح في الوطن المحتل ، وقد هجرت زجاجة العطر وعلب المساحيق ؛ لتجعل من البارود عطراً تتضوّع رائحته في الأفق ، ويعبق نسيمه في الأجواء ، حتى تتطهّر الأرض من دنس المحتل ، ونداؤه لمن تزيّنت بالعفة بلباسها الشرعي ، فلم تكن سلعة رخيصة تُباعُ في حانات الفسق والفجور ، ثُمّ يرسم صورة بدأها بفعل الأمر (هاتِ) متأملاً أن يلقى الشهادة ، فيكون في منزلة الشهداء ويجازَى بالحور العين ، وقد استحضر قوله تعالى : ﴿ **حورٌ مقصوراتٌ في الخيام** ﴾ [3] ، ويلاحظ على أغلب النصوص عند هذا الشاعر ، أنه استمدها من القرآن الكريم

---

[1] ينظر: الانتفاضة : مقدمات ، وقائع ، تفاعلات ، آفاق ، عبد الرحمن أسعد ، والزور نواف ، مؤسسة الأبحاث العربية ، لبنان 1989 م ، ص 82 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 223 .

[3] سورة الرحمن : الآية 72 .

مـا يعمّـق بـه موقفـه ، فهـو حـريصٌ علـى توظيـف النصـوص القرآنيـة المختزلـة لـه ذات المعـاني والأفكـار المتعـددة ، ولعـلّ السـبب راجـع إلـى إيمانـه المطلـق بـأن الحـل لمأسـاة الشـعوب العربيـة كافـة ، تكمـن فـي العـودة لكتـاب الله وسـنّة نبيّه ﷺ .

ومن نص (خدّريهم يا كوكب الشرق) يقول الشاعر العظم :

كوكـب الشـرق لا تـذوبـي غـراما ** ودلالاً وحـــرقةً وهيامـــا

لا ولا تنفثـــي الضيـاع قصيـداً ** عبقريـاً أو ترسلـي الأنغامـا

فدمـاء الأحبـاب فـي كـلّ بيـتٍ ** تتنـــزَّى[1] وتبعـثُ الآلامـا

وجـراح الأقصـى جـراح الثكالـى** ودمـوع الأقصـى دمـوع اليتامـى [2] .

هـذا الـنص مبنـيٌّ علـى السـخرية والـتهكم ، وفـي الاسـتعمال الأدبـي لهـا تعريفـات منهـا : " هـي الأسـلوب الـذي تصـاغ بـه الشـتائم أدبيـاً متـى كـان بليغـاً ، ولا حـرج علينـا فـنحن نعتبـر الهجـاء مـن أدب الفصـحاء ، وإن كانـت كلمـة الشـتائم عنـد سـماعها الفحـش فـي القـول ... ولقـد نجـد الشـتّام يبتـدع صـوراً فنّيـة ومعـاني بارعة يصحُّ أن تُسْتخدم في السّخرية السّليمة " [3].

توجّـه الشـاعر بخطابـه إلـى مـن يقولـون عنهـا أنهـا سـيدة الغنـاء العربـي ، (أم كلثـوم) المسـماة (كوكـب الشـرق) ، ويسـميها الـدكتور زكـي الشـيخ " مصـيبة العصـر ، ويـرى الشـاعر العظـم أنهـا ظـاهرة تخذيريـة رهيبـة " [4] ويصـفها بـالعجوز التـي كـان فـي موتهـا عبـرة لمـن هـام بفنّهـا وهـذا رأيـه الخـاص بـه ، وكـان ذلـك بعـد أغنيـة غنّتهـا والحـال علـى أشـدّها فـي نكبـة وهزيمـة حزيـران التـي أُزْهِقَـتْ فيهـا أرواح الفلسـطينيين بالمئـات دفعـة واحـدة ، واحتـل فيهـا اليهـود الأقصـى

---

[1] نزي ونزف ، وأصابته جراحة فنزي منها فمات ، تهذيب اللغة ، الأزهري ، دار إحياء التراث ، ط 1 ، 2001 م ، ج 13 ، ص 177 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 79 .

[3] سخرية الرفض وتهكّم الاحتجاج : سيد عشماوي ، جامعة القاهرة ، 2003 م ، ص 64 .

[4] يوسف العظم : شاعر القدس ، ص 83 .

بالكامل ، ولسان حاله يقول : كيف لقلب شاعر مسلم يغار على دين الله ، فلا ينفطر ألماً حين يرى ما يُخوّر العزائم ، ويقتل الحماس في النفوس ؟ .

بدأ خطابه بأسلوب النهي (لا تذوبي ــ لا تنفثي) ويرى الباحث أن الشاعر قد اختار الألفاظ بعناية ، فالغرام والدلال والحرقة والهيام بما يشبه الذوبان ، ثم النفث يقابله السّم ، والضياع هو سمّ بعينه ، والأنغام وما يصاحبها من ألفاظ كالتي ذكرها الشاعر ، هو رصيد تلك المغنية ، وهو بمثابة المخدر الذي ضيّع الشباب المسلم ولا يجب أن يكونوا في هذا الموقف ، شبابٌ مترف هائم معها ، والدم البريء يسيل على كل رابية ، وفي كل بيت وتتبعث معه صرخات وآهات ودموع الثكالى واليتامى الذين امتزج جرحهم بجرح الأقصى ودموعه ، كما عبر عنه الشاعر بالاستعارة ، ثم يواصل النص فيقول :

كوكب الشرق ضاع قومي لمّا ** تاه في حبك القطيع وهاما

لو دعوتِ العربيد للزهد لبّى** أو دعوتِ الزنديق للنسكِ صاما

قد أطاعوا الهوى فظلّت دروب ** سلكوها وقد أباحوا الحراما

منحوكِ الإعجاب يا ويح قومي ** وعلى الصدر علّقوكِ وساما[1].

يستمر الشاعر في مخاطبتها منبّهاً إياها أنها سبب كل المصائب ــ وهذه وجهة نظر الشاعر الخاصة به ـ التي ألمت بالشعوب التي وصفها من باب التهكم والسخرية بالقطيع الهائم ، ثمّ فصّل الحديث بذكر المتناقضات ، إذ كيف يكون العربيد زاهاً ، وكيف يكون الزنديق ناسكاً وصائماً ؟ وهذا يوضح شدة ارتباط فئات كثيرة من الشباب وانجرارها وراء متاهات وملذات زائلة حتى أباحوا الحرام وحرّموا الحلال ، ويتضمّنُ الأسلوبُ هجاءً مقذعاً من خلال السخرية .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 80 .

ويؤكد (كارل بروكلمان) [1] أن الهجاء قبل أن يتحوّل إلى شعر السخرية والاستهزاء " كان في يد الشاعر سحراً يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير شعري ، ومن ثم كان الشاعر إذا تهيّأ لإطلاق مثل ذلك اللعن يلبس زيّاً خاصّاً شبيهاً بزي الكاهن " [2] ، وفي البيت الأخير يتأسف الشاعر ويتحسّر ويتعجّب ـ بقوله : (يا ويح) [3] ـ من قومه ومن كلّ من حضر مشاهد الغناء عند سماعه خبراً مفاده " منحت دولة عربية غانية ...وقلّدتها في حفلٍ رسمي ضمّ القادة والسّادة ...أرفع وسام ! " [4]

ويستمر الشاعر في سخريته وتعجّبه ، " والتعجب يقع في نفس المتكلم من صفة ما في المخاطب ، فيلجأ إلى أسلوب الأمر للدلالة على استعظامه لتلك الصفة ، لذا تتحقّقُ فيه جمالية الإثارة للوصول إلى اللذة الفكرية والنفسية " [5] في ذات النص فيقول :

ناوليهم من راحتيكِ كؤوساً ** وامنحيهم من ناظريكِ ابتساما

واجعلي الفن رِدّةً وضياعاً ** لا أحاسيس أمّةٍ تتسامى

ودعيهم في كل وادٍ يهيمون** سكارى ونكّسي الأعلامَ

---

[1] كارل بروكلمان : مستشرق ألماني 1868 م ـ 1956 م ،صاحب كتاب تاريخ الأدب العربي بحث في أصل الأمة العربية وأجناسها وبيئتها المحيطة وأسلوب حياتها ونظام معيشتها ، ...ينظر مقدمة تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمة ، عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، 18977 م ، ج 1 ، ص 11 .

من مؤلفاته ، تاريخ الشعوب والدول الإسلامية ، ومناظرات على أصحاب النصرانية وغير ذلك كثير ...ينظر : المنتقى من دراسات المستشرقين (دراسات مختلفة) : صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1955 م ، ج 1 ، ص 25 ـ 41 .

[2] تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمة ، عبد الحليم النجار ج 1 ، ص 46 .

[3] " ويح ، وويس : كلمتا رحمة تقالان عند الإنكار الذي لا يراد به توبيخ ولا شتم ، وإنما يراد به التنبيه على الخطأ ، ثم كثرت هذه الألفاظ في الاستعمال حتى صارت كالتعجب يقولها الإنسان لمن يحب ولمن يبغض " ينظر : جامع الدروس العربية : مصطفى بن محمد سليم الغلاييني ، ت 1364 هـ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط 28 ، 1414 هـ ، 1993 م ، ج 3 ، ص 39 .

[4] يوسف العظم : شاعر القدس ، ص 82 .

[5] جمالية الخبر والإنشاء : ج 1 ، ص 118 .

خدّريهم باللحن يا كوكب الشرق ** وصوغي من لحنكِ استسلاما [1] .

يرسم صورة مستهجنة بالنسبة له ، وقد استخدم جملة من أفعال الأمر (ناوليهم – امنحيهم – واجعلي – ودعيهم – ونكّسي – خدّريهم – وصوغي) وكل فعل يؤدي وظيفته المناسبة مع مفعوله ، فما عاد الفن بهذه الطريقة رسالة تؤدي مهمتها ، فهو ردّة وضياع بحسب رأي الشاعر ؛ لأن الشعور بالإحساس يكاد يكون منعدماً إن لم يكن قد انعدم تماماً ، وفي البيت الثالث استمد المعنى من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ** ﴾ [2] .

وفي البيت الأخير يعيد لها الدعوة بالأمر أن تجعل من ألحانها مخدراً يقضي على ما تبقى منهم ، وتصوغ من لحنها رسائل مفادها أن هذه الألحان أصابت عقولهم حتى أنستْهم قضيتهم ، وفي قرارة نفسه يتمني ألّا يكون المسلم أو المسلمة في مثل هذه المواقف ، وإذ يرسم ذلك المشهد ، فإنه يكشف عن مكبوتاته الدفينة واستخدامه أفعال الأمر للدلالة على تجاوز الامر مداه وهذه الصورة سريعة لإحداث التأثير في المتلقي عن طريق مشهدية مثيرة يشارك من أثرها الشاعر في حالته .

إن اتباع الشاعر لمثل هذا الأسلوب الساخر ، إنما ينبع من الحرقة والألم والحزن الذي يعتريه ، وهو يرى أبناء وطنه يتمايلون سكارى أمام ما يسلب عقولهم ويبعدهم عن دينهم ، فهو حزين أشد الحزن ، ولكنّ حزنه ينبعثُ من عاطفة صادقة وشعورٍ داخلي بحيث تلقاه يتفاعل مع القضايا ويترجم الأحداث والتطورات التي تحدثُ في بيئته ، وتلك التي تحصل في محيطه ، ومن شدة حرصه على وطنه ، فإنه التزم تصوير آلام أمته وآمالها ، ففي قلبه يسكن الوطن قبل أن يكون في شعره ، ولذا أصبح

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 80 .

[2] سورة الشعراء : الآية 224 .

لا يمس القضايا من الخارج فحسب ، بل تعمّق في تلمس الجراح وصار يعالجها من خلال حمْلِهِ فكراً تحوّلياً يحاول جاهداً استبدال الواقع الرديء .

ومن نص (هائمةُ تبحثُ عن مستقر) يقول :

يا أخت يافا غداً نلقى أحبّتنا ** ويُجْمَعُ الشّملُ في حيفا وبيسان

وترفع الأذرع السمراء طاهرة ** ببارق النصر في آفاق إيمان[1].

يتوجه الشاعر بالخطاب إلى أخت يافا (يافا ـ حيفا ـ بيسان) [2] ، بالتفاؤل والأمل والبشرى للقاء أحبتهم في المدن الأخرى حيث يجتمع الشمل وترتسم البسمة على الشفاه ، ويعدها باللقاء الذي سيكون بعد النصر ، وهنا دعوة صريحة للاستمرار في النضال ، كما يتفاءل برؤية الأيادي التي وصفها بالسمراء كناية على القوة وهذه الأيادي هي التي أمسكت (المقلاع) [3] والبندقية وشاركت في ملاحم النصر ، هي الأذرع الطاهرة الممتلئة قلوبها بحب الله سبحانه ثم الوطن ، وإيمانها الحقيقي هو الذي يمنحها نشوة الانتصار .

ومن نص (الله أكبر .. تعلو من مآذنها) يقول يوسف العظم :

أخت الرجال أطلّي اليوم إنّ لنا ** قذائف الصّخرِ بالمقلاع نلقيها

أخت الرجال أطلّت وهي ثائرة ** في عصبةٍ من جنود الله تحميها

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 185 .

[2] مدن فلسطينية محتلة انطلقت منها ومن مدن أخرى الانتفاضة العارمة في فلسطين : ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج 5 ، ص 426 .

[3] مقلاع مفرد والجمع مقاليع : وهو اسم آلة من قلع ، أداة تُرمى بها الحجارة يستعملها الرعاة ، يقال : أصابته رمية مقلاع ، ..ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008 م ، ج 3 ، ص 1851 (ق ل ع) .

تضيـئ بـالأمـل المرجـوّ جبهتهـا ** ويزدهـي بـالـهـدى والنـور نـاديـهـا [1] .

يـدعو الشـاعر أخـت الرجـال لتكـون شـاهد عيـان وتـرى بـأم عينهـا مـا يفعلـه المقـلاع البسـيط فـي العـدو وقـد صـوّر إطلالتهـا الممزوجـة بالحقـد والغضـب علـى أعـدائها وهـي ترقـب إخوتهـا فـي الجهـاد تحرسـهم ملائكـة الـرحمن وكلّهـم حمـاس ويحـذوهم الأمـل بالتصميم والإرادة من أجل تحرير أرضهم ، ..

فالشـاعر لـم يكتـفِ بموقـف المتلقـي المنفعـل تجـاه الأحـداث ، بـل كـان كثيـراً مـا يتجـاوز هـذا الموقـف إلـى رفـض الواقـع المعـيش ، فـأدرك أن السـلاح الأقـوى الـذي يمتلكـه هـو الكلمـة الشـاعرة المنبثقـة مـن مبـدأ النصـح والإرشـاد والتوجيـه والتـذكير بأمجـاد الماضـي فـي غيـر نـص مـن نصوصـه ، والتركيـز علـى كـل مـا مـن شـأنه أن يكـون الهـدف الأسـمى منه ، هو تخليص الوطن العزيز من براثن الاستعمار .

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 210 .

المبحـث الثالـث

الخطـــاب الموجـــه للأطفـــــال :

تقـــــديم :

تُعَدُّ الطفولـة هـي الأرض الخصـبة للمسـتقبل والمهـد الأنسـب لصـياغة الإنسـان ، وأدب الأطفـال أحـد فـروع الأدب المخصـص لفئـةٍ عمريـةٍ معيّنـة وهـم الأطفـال مـا بـين مرحلـة الطفولـة المبكـرة إلـى الطفولـة المتـأخرة ، وكـون الطفـل لـه أهميـة بالغـة لـدى الأمـم والشـعوب ، فـإن الشـعر المعد للأطفـال هـو مـن الفنـون الأدبيـة الراقيـة التـي يميـل أليهـا ذلـك المـلاك الصـغير وينجـذب نحوهـا ، لمـا يقدمـه مـن مـادّةٍ أدبيـة مهذبـة وراقيـة مـن شـأنه أن يحـدث جرسـاً موسـيقياً ؛ فيطـرب الطفـل لسـماع أنغامـه وجمـال ألحانـه العذبـة ، ذلـك لأنـه حـسٌّ مرهـف وخيـالٌ خصـب ، وقـد اختلفـت الآراء وتباينـت حـول ماهيـة الشـعر الموجـة للأطفـال لمـا لـه مـن خصـائص تميـزه عـن شـعر الكبـار ، فكـلٌّ رآه مـن زاويتـه الخاصـة مراعين في ذلك المرحلة العمرية للطفل ، بحيث هناك من يرى :

أن يـنظم الشـعراء شـعراً خاصّـا بالأطفـال ، يمتـاز بسـهولة الألفـاظ ووضـوح المعنـى وخفّـة الموسـيقى ، ويمكـن اقتبـاس بعـض الأشـعار التـي تنطبـق عليهـا هـذه السـمات مـن شـعر الكبـار أحيانـاً ، وهنـاك رأيٌ آخـر يـرى أصـحابه بضـرورة اختيـار شـعر الأطفـال علـى أسـاس مـن الموضـوعات المناسـبة لمـدارك الصـغار وقـدراتهم العقليـة ، ومـا يتصـل فـي نطاق خبراتهم وتجاربهم [1] .

إن التعبيـر الشـعري يعتمـد علـى تجربـة وموهبـة الشـاعر ، حيـث أن الشـعر مشـاركة وجدانيـة وفكريـة بـين المنـتج والمتلقـي ، تقـول مـريم سـليم : " ولـيس المهـم أن نقـدم أي شـعر للأطفـال ، ولكـن المهـم أن نجعلهـم يحسّـون بـه ويتذوقونـه ويشـعرون حـين يسـمعون شـعراً " [2] . ويـرى حسـن شـحاته أنـه " لـونٌ مـن ألـوان الأدب يحقـق الروعـة والبهجـة والتسـلية والمتعـة ويهـدف إلـى تنميـة الـذوق والحـس الفنّـي وإثـراء خيـال الطفـل وتنمية قدرته على الابتكار " [3].

---

[1] ينظر: أدب الأطفال وثقافة الطفل ، عبد الفتاح شحدة أبومعال ، جامعة القدس المفتوحة ، القاهرة ، 2008 م ، ص 68 .

[2] أدب الأطفال وثقافته ، مريم سليم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،1422هـ ، 2001 م ، ص 193 .

[3] أدب الطفل العربي : دراسات وبحوث ، حسن شحاتة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط 2 ، 2000 م ، ص 236 .

كما يعرّفه عبد التواب يوسف بقوله : " هو تلك الكلمات العذبة التي يرددها الطفل فيطرب لسماعها وهو يلبي جانباً من حاجاته الجسمية والعاطفية ويسهم في نموّه الأدبي والعقلي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي ، إنه فنٌ من فنون أدب الأطفال [1] ، إلى غير ذلك من الآراء حول هذا الموضوع .

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة ، بروز أهمية الشعر الموجه للأطفال في نقاطٍ شملت : المتعة والبهجة والتسلية والروعة التي تثير في الطفل أرقى الأحاسيس، وأنبل العواطف ، وتسهم في تنمية حسّه وذوقه الجمالي .

إذاً فعملية التذوق تكمن في الاستمتاع بلغة الشعر وتنير في نفس الطفل مشاعر الإحساس المبكر بمظاهر الجمال اللغوي ، ولهذا " فالكتابة للأطفال ــ وكتابة الشعر على الأخص ــ تأتي في الذروة ، ذروة التعبير وذروة الخبرة وذروة النضج الفني وليس من قبل المصادفة أن كبار الأدباء في العالم اتّجهوا إلى الطفولة وكتبوا لها "[2] ، وللشعر الموجه للأطفال أنواع ما يعنينا منها هو النشيد لأنه شعر والمراد به " أن ينشد الشاعر ويردده الطفل لكي يمرن به لسانه ، ويأنس به إلى لغته القومية ويكتشف محاسن اللغة والفنون والتعبير " [3] ، ومن نص (ولدي) يقول يوسف العظم :

ولدي يا نبضة في خاطري ** ولدي يا فلذةٌ من كبدي

ولدي يا كوكباً أرقبه ** كي أرى فيه ضياءً (الفرقد) [4].

كلّما جفتّ ينابيع الصّفا ** بك يصفو سلسبيلاً موردي

ورياضي إن ذوت أزهارها ** أنت فيها الطّلّ والزهر الندي [5] .

---

[1] شعر الأطفال : عبد التواب يوسف ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة د ت ، د ط ، ص 30 .

[2] الطفولة في الشعر العربي والعالمي : أحمد علي كنعان ، دار الفكر ، دمشق ، 1995 م ، ص 176 .

[3] الشامل في طرق تدريس الأطفال : محمد بن محمد العبدالله ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط 1 ، 2013 م ص 213.

[4] الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً ، وهو المسمى النجم القطبي ويقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه وهما الفرقدان ، وولد البقرة يسمى فرقد . المعجم الوسيط : ج 1 ، ص 2901 ، (الفرقود) .

[5] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 134 .

إن علاقات الآباء الودية مع الأطفال المبنية على الحب والثقة والتقبل ، هي من أهم العوامل المحصّنة من تلك الاضطرابات والمشكلات النفسية ؛ لأن المعاملة الوالدية المختلّة ، والقائمة على الإهمال أو التجاهل أو التذبذب ، هي من أكثر العوامل خطورة وتأثيراً على الطفل ، ولعلّه من هذا المنطلق اتجه الشاعر موضوع الدراسة ؛ ليدلي بدلوه في هذا المجال ، ويشارك الأطفال أناشيدهم ، فبدأ النص باستخدام أسلوب الملاطفة في خطابٍ مباشر مع ابنه في قوله (ولدي ـ نبضة ـ فلذة كبدي ـ كوكباً ـ ضياء الفرقد) وفي ذلك دلالة على القرب من خلال عباراتٍ تطمئن لها النفس وتأنس الأذن لسماعها ، ويلاحظ من السياق كيف تكررت لفظة (ولدي) وهو أسلوبٌ قصد منه استدراج المخاطب والتلطف في استمالته بالتحبب إليه ، فيناديه بنداء المشفق المتودد ويكرر ذلك في غير موضع ، فكان أسلوبه بالتواصل اللفظي عن طريق الحوار المباشر الذي يعتمد استخدام الألفاظ أو الكلمات في التواصل معه ، وقد انتقى الألفاظ بعناية بحيث كان لها وقع الأثر في نفس المتلقي (ابنه) وكانت من مشجّعات الحوار، ومن الملاحظ أن الابن كان مصغياً لأبيه ، وذلك تعبيرٌ منه على تقبل وتفهم ما يسديه والده من نصائح ، وهذا من شأنه أن يساعد الأب على مساعدة ابنه وإرشاده وتوجيه سلوكه إلى الأفضل دائماً ، ذلك أن حسن الإصغاء من أهم وسائل التعبير عن المحبة التي يكنّها الآباء لأبنائهم ، ومن شديد محبّته لولده حتى شبّهه بالكوكب الذي يرى من خلاله ضوء النجم في كبد السماء .

وفي البيت الثالث يواصل رسم الصور المتتالية ، فيربط بين المتقابلات (جفّت ينابيع ــ يصفو سلسبيلا) ، وقد استمدّ اللفظ من القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ **عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا** ﴾ [1] ، كيف لا وهو يمثل قطعة من كبده ، فهذا الاهتمام والتشجيع المستمر يمنح الأطفال فرصاً للتعبير والإفصاح عمّا بداخلهم ويعتبر أهم قناةٍ للتقرّب منهم وتفهّم احتياجاتهم ، ويتابع الملاطفة وشد الانتباه فيجعله في صورة الزهر الندي تتضوّع رائحته في الأرجاء ، وبذلك فإن رياضه لا تذبل ازهارها في وجود ابنه بقربه ، وفي كل هذه الصور يوحي إلى معنىً بعيد مفاده ، أن ابنه هو عضده وساعده وقت الشدة فلا يتخلّى عنه أبداً ، ثم يواصل النص فيقول :

---

[1] سورة الإنسان : الآية 18 .

وإذا مـــزّق صـــدري زفـــرةٌ ** كنـت أنت الطـبَّ يشفـي جسـدي

أو تخلّـى الصّحـبُ عـن موعـدةٍ ** مـــن يصدقنـي فـــي الموعـــد

إن سالـــتُ الله يومـــاً أن أرى ** فـي خـريـف العمـر أزكـى مشهـــدِ

أو سألـــت اللـــه يومـاً أمـــلاً ** قبـل أن ألقـى الـرّدى فـي مـرقـدي[1] .

يسـتمر فـي الثنـاء علـى ولـده وذكـر محاسـنه ، فهـو يمثـل بالنسـبة لـه أكثـر مـن كونـه ولـده ، فيجعـل منـه البلسـم الشـافي لجراحـه إذا اشـتد بـه الألـم ، وهـو الصـديق الصـدوق إذا تخلّـى عنـه الصـحب فـي الموعـد ، وأسـلوبه أكّـدَ رغبتـه الملحـة فـي تحقيـق أمنيتـــه وصـــولاً إلـــى مبتغـــاه ، وتكمـــن أمنيتـــه فـــي أن يمُـــدَّ الله فـــي عمـــره فـــي قولـه :(خريـف العمـر) حتـى يجنـي ثمـار تربيتـه السـليمة فـي أحسـن صـورةٍ يتمنّاهـا ، ويتحقـق أملـه قبـل أن يلقـى ربـه ـ سـبحانه وتعـالى ـ وفـي نهايـة الـنص يتحـول إلـى إسـداء النصح المباشر ، فيقول :

ولـــدي إن كنـت ترجـو رحمـةً ** وسـلاماً مـــن إلـــهٍ سرمـــدي

فاتخـــــذْ خـيـر دلـيـلٍ قبســـاُ ** مـــن سنـا القـــرآن حتـى تهتـدي

وليكـنْ خيـر مكـانٍ فـي الدنـا ** يـا هنـاء الـروح ركـن المسجـد

ونـدائـي فـــي الحنايـــا أبـــداً ** وهتـافـــي وحنينـــي ولـــدي![2] .

بـدأ أسـلوبه بالنـداء المقتـرن بالشـرط ، وهـو يوجهـه إلـى الالتـزام الـديني الأخلاقـي الـذي مـن نتائجـه الرحمـة والسـلام وطمأنينـة الـنفس ، ويلاحـظ مـن تكـرار لفظـة (ولـدي) بأسـلوب النـداء مـن مفتـتح الـنص إلـى ختامـه أنـه أثـار الحيويـة والحركـة فـي الـنص ، كمـا يلاحـظ حـرص الوالـد الشـديد علـى الاهتمـام بكـل مـا مـن شـأنه أن يعلـي مـن شـرف ولـده ومكانتـه ، فظهـر ذلـك مـن خـلال أفعـال الأمـر (فاتخـذ ـ ولْـيكن)، والأمـر يسـتوجب الطاعة ، ومثل هذا الأسلوب المتنوع بين النداء والأمر والتكرار متداول عند الشعراء.

---

(1) (2) الأعمال الشعرية الكاملة : ص 134 .

ومن نص (براعم الأقصى) كتب في المقدمة إلى أنه كلما جهّزَ نفسه للسفر، راودته مئات من طيوف الأحبة ، يراهم في مخيلته يتواثبون على الأراجيح ، ويزدحمون في ساحات مدارس الأقصى وحدائقها ، يرقُبُ حركاتهم وينصت لهتافهم المستمر الذي تصدح به حناجرهم ويرددونه كثيراً ، فجادت قريحته بما يلي :

براعم[1] الجيل غنّي ** وردّدي ألحاني

فأنت عنوان مجدٍ ** وأنت رمز الأماني

رفّت أزاهير عمري ** في روضة من حناني

مع البراعم يتلو ** ترتيلة القرآن[2] .

استهلّ الشاعر خطابه للأطفال بالنداء والأمر المشحون بالملاطفة والرّقة واللّين ، من أجل ترديد الألحان الموحية التي لا تجعل الشاعر مشاركاً لهم فحسب ، بل وتحيل ذهن المتلقي للشعور بحالهم ومشاركتهم آلامهم وآمالهم ، والشاعر إذ يخاطب البراعم الناشئة ، فإنه يرى من خلالهم الأمل المنشود ، فهم كما وصفهم عناوين بارزة في سماء المجد وهم رمز الأماني والأزاهير التي تتفتح في كنف الله سبحانه وتتلو قرآنه فهم سواعد البناء والمعوّل عليهم في المستقبل إن شاء الله .

لقد حملت صورة هذه البراعم الصغيرة وهي تردد الأناشيد المعبرة عن الحالة السائدة ، دلالات وإيحاءات وثيقة الصلة بنفسية الشاعر وتوجهاته وآرائه ، وفي نصوص الشاعر صفحات يستشف منها المتلقي مدى إبداعه في توظيف صورة الطفولة وإلحاحه على إثارة بعض الجوانب والمثيرة في حياتهم ، ويتجدد النداء للبرعم الصغير، ومن نص (برعم .. ورماح !!) يقول الشاعر :

يا برعم اليوم آمالي بك انتعشت ** وكوكبَ الغدِ إيماني بك انطلقا

---

[1] البرعم : البرعوم : الزهر قبل أن يتفتح ، وبرعمت الشجرة : إذا أخرجت براعمها ، وفي علم النبات : بداءة زهرة أو بداءة فرع ، جمع ، براعم ، الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل الجوهري ، ج 5 ، ص 1871 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 89 .

يطـوف بالكـون يغـزو كـلّ ناحيـةٍ ** مـن الريـاضِ ليجنـي وردهـا العبقـا

فـي فتيـةٍ كالرمـاح السمـرِ مـا فتئـت ** تجتـثُّ مـن مهجتـي الأحـزانَ والقلقـا[1].

يـربط الشـاعر بـين صـورة البـرعم الحاضـرة ، وبـين مـا يتأملـه منـه فـي صـورة المسـتقبل ، فبـرعم اليـوم يمثـل الأمـل الـذي ينـتعش بـه ؛ ليكـون فـي الغـدِ كوكبـاً منطلقـاً مـن إيمـانٍ بقضـيته التـي يـدافع مـن أجلهـا فـي كـل مكـان لينتـزع كرامتـه وحريّتـه وذلـك هـو العبـق الـذي يشـير إليـه الشـاعر ، وهـذا لا يتـأتّى إلا بالسـواعد السـمراء التـي شـبّهها بالرمـاح فيكـون أثـر وقعهـا صـاعقة فـي وجـه العـدو ، دلّ علـى ذلـك الفعـل المضـارع (تجتـث) فهـو أقـوى وأبلـغ فـي دلالتـه ، وبـذلك تنـزاح عنـه ظلمـة الأحـزان والقلـق وفـي ذلـك دعـوة غيـر مباشرة وحث لأطفال على الجهاد وغرس روح الحقد على العدو في نفوسهم .

ومن نص (الوضوء) يقول الشاعر :

بنـيّ توضّـأ وقـم للصّـلاة ** وصـلِّ لربـك تكسـب رضـاه

إذا رضـي الله عـن مسلـم ** ينـال السعـادة طـول الحيـاة

بنـيّ توضـأ وقـم للفـلاح ** ففـي طاعـة الله سـر النجـاح[2].

إن دور الوالـدين فـي حيـاة الطفـل مـن حيـث تربيتـه وتوجيهـه التوجيـه الصـحيح مـن أهـم العوامـل المسـاعدة فـي نمـو شخصـية الطفـل نمـوّاً سـويّاً ، كمـا إن نـوع العلاقـة بـين الطفـل ووالديـه تُعَـدُّ دعامـة قويـة لبنـاء صـرح نفسـي لـه ، وإن طريقـة الأسـلوب التـي يستخدمها الوالدان للتعامل مع الطفل تكون بحسب تأثيرها في نموّه نفسياً وجسديّاً .

وهـذا الـنص مبنـي علـى النصـح والإرشـاد والتوجيـه ، نـداءٌ وأمـرٌ بالحـث علـى إقامـة ركـنٍ مـن أركـان الإسـلام ، (الصـلاة) التـي ورد الأمـر مـن الله تعـالى بإقامتهـا فـي عديدٍ من الآيات الكريمة ، وحثٌّ نبيّنا الكريم ﷺ على المداومة عليها ، وأدائها في وقتها

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 319 .

[2] المصدر السابق : ص 385 .

وعلى أكمل وجه ، قال تعالى : ﴿ **أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** ﴾ [1] ونبّه الشاعر إلى أن من أدّاها كما يجب ، فإنه ينال رضى الله سبحانه وفي ذلك سرّ نجاح الإنسان في حياته واطمئنانه بعد موته ، ويستمر الشاعر في نصحه وتوجيهه فيقول :

إذا رضي الله عن مسلمٍ ** بدا مشرق الوجه مثل الصباح

بني توضأ بماءٍ طهور ** فماء الوضوء لوجهك نور

إذا رضي عن مسلمٍ ** أتاه الهناء ونال السرور[2] .

وفي هذه الأبيات يُبَيّنُ الشاعر في خطابه بأسلوب الشرط ، فائدة ونتائج رضى الله سبحانه على عباده ، فمن نتائج ذلك إشراقة وجه الإنسان الملتزم دينيّاً وخلقيّاً ، والله تعالى يقول : ﴿ **تَرَاهُمْ رُكّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مّنْ أَثَرِ السّجُودِ** ﴾ [3] ، ومن نتائج الرضى أيضاً راحة البال والهناء والسرور، وذلك لا يتأتى إلا لمن اتقى اللهَ وعرف حدوده ، قال عز وجل: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [4] .

ومن نص (فالطفل فينا ماردٌ جبّار) يقول الشاعر العظم :

يا ابن الجباه السمر تشرق في الضحى ** كالشمس زان جبينها أنوارُ

ما عاد فينا الطفل يلعب لاهياً ** فالطفل فينا ماردٌ جبَارُ

---

[1] سورة النور : الآية 56 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 385 .

[3] سورة الفتح : الآية 12 .

[4] سورة الطلاق : الآية 2 .

وبناتنـــا فـــــي كـلّ قلـبٍ أنبتـت ** روح الجهـادِ فبرعمتْ أزهـــار[1].

الـنص يخاطـب شـرائح المجتمـع المختلفـة ومـنهم الأطفـال والبنـات ، وبأسـلوب النداء يشير إلـى (ابـن الجبـاه السـمر) ، كنايـة عـن الجبـاه الملتزمـة دينيّـاً وخلقيّـاً السـاجدة لله يظهـر عليهـا نـور الايمـان كالشـمس السـاطعة ، وأكّـد علـى ذلـك بـأداة التشـبيه ، والتشـبيه هـو " الدلالـة علـى مشـاركة أمـرٍ لآخـر فـي المعنـى "[2] ، وهـو وسـيلة مـن وسـائل الإيضـاح ، ثـم يـأتي بمعنـى كأنـه اسـتدراك ، وبصـيغة رد الأعجـاز علـى الصـدور المسـمّى بالتصـدير ويكـون فـي النثـر والشـعر وهـو : " فنٌّ لـه موقـعٌ جليـل مـن البلاغـة ولـه فـي المنظـوم خاصـة محلٌ خطيـر "[3] فيجـزم بـأن الطفـل لـم يعـد صـغيراً يلعـب ، وإنمـا مجاهـدٌ ومـارد عـاتي وجبّـارٌ فـي سـاحات الـوغى ، واللفـظ مسـتوحى مـن القـرآن الكـريم فـي قولـه تعـالى : ﴿ **وَحِفْظًـا مِـنْ كُـلِّ شَـيْطَانٍ مَـارِدٍ** ﴾[4] وهـذا مـن بـاب التحفيـز وشـحذ الهمـم وزرع روح الجهـاد ، ولـم يـنس الشـاعر أو يغفـل عـن دور البنـات البـارز فـي تلـك المعـارك ، وجعلهـن فـي صـورة البـراعم الصـغيرة تـؤتي ثمارهـا مـع مـرور الأيـام وتنبـت أزهـاراً فـي المسـتقبل أي سـينجبن أبطـالاً يحملـون عـبء المسـؤولية علـى عـاتقهم ، ثـم يثنـي على الشباب فيقول :

والديـن أشـرق فـي صـدور شبابنـا ** نـوراً وفـي سـاح المعامـع نـارُ

سـدّد مـن المقـلاع كـلّ قذيفـةٍ ** مـن هولهـا عقـل الدخيـل يحـارُ

واصفـع وجـوه الغاصبيـن ولا تَهَـبْ ** حكـم العـدو فحكمـه ينهـــارُ[5].

يصـوّر الشـاعر قـوة الإيمـان بـالنور السـاطع فـي وجـوه الشـباب المصـمّم علـى كسـب المعركـة ، وهـذا النـور سـريعاً مـا يتحـوّلُ فـي سـاحات المعـارك إلـى نـارٍ تحـرقُ الأعـداء ، ثـم يـأتي بفعـل الأمـر (سـدّد) مـن المقـلاع ، وقـد يُنْظَـرْ إلـى المقـلاع أنـه لعبـة

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 223 .

[2] جواهر البلاغة في المعاني والبان والبديع : أحمد الهاشمي ، ص 137 .

[3] الصناعتين الكتابة والشعر : أبو هلال بن عبد الله بن سهل العسكري ، تح علي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1406 هـ ، 1986 م ، ص 385 .

[4] سورة الصّافّات : الآية 7 .

[5] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 224 .

فـي أيـدي الأطفـال ، لكنــه بـرغم بسـاطة صـناعته ، فقـد رافقتــه ثقـة بـالنفس وإيمـانٌ راسـخ قلــب المــوازين ، وأقــضَّ مضــجع المحتــل ، ولفــت انتبــاه العــالم بانفجــار الانتفاضــة ، والمقـلاع بحجارتـه الصـلبة تـوّج التصـاعد النضـالي ، وسـجّل تحـوّلاً جديـداً وانتقـالاً تاريخيّـاً نحـو شـكلٍ نضـاليٍ فيـه الكثيـر مـن الصـحّة والمناعـة ، ضـماناً لاسـتمرارية حركـة النضـال مـن أجـل التحريـر ، ويكـرر فعـل الأمـر يصـاحبه النهـي (اصـفع ، لا تهـبْ) والصـفع علـى الوجـه أشـد فـي الوقـع وأبلـغ فـي المعنـى ، فيكـون بـذلك أشـد وقعـاً وأثـراً فـي وجـوه الغاصـبين ، فينهـار العـدو مـن أثـر ذلـك ، وبنـاءً علـى مـا تقـدم ، فـإنّ النشـيد الـذي يقـدم للطفـل يجـب أن يكـون سـهلاً ذا لغـةٍ بسـيطة هادفـة تثيـر فيـه الغبطـة ، وتبعـث فيـه الشـعور بالثقة ، وتنمّي ملكته اللغوية .

وخلاصة القول :

لا يـزال الشـعر الموجـه للأطفـال محافظـاً علـى دوره ومكانتـه فـي الإثـراء والتوعيـة والنصـح والإرشـاد ، ذلـك لكونــه مـن أكثـر الوسـائط الأدبيــة تـأثيراً فــي الطفـل ، كمـا يمكّنــه مـن مواجهــة الحيــاة والتصــدّي لمعرفتهــا بإيجابيــة وروي ، وإن مــا صــاغه الشــاعر مــن أناشــيد دينيــةً كانــت أو اجتماعيــة ، إنمــا هــي تســعى للارتقــاء بالصــفات الحميــدة والتركيــز علــى روح التعـاون بـين أفـراد المجتمـع ، وتـزوّد الأطفـال بـالقيم التـي تصـقل شخصـياتهم وتـنظم علاقـاتهم مـع الآخـرين ، أمـا الأناشـيد الوطنيـة فقـد ركّـزَ عليهـا أكثـر ؛ لأنهـا تبعـثُ فـي نفوسـهم روح التفاعـل والـدفاع عـن الـوطن ، وتعميـق الشـعور بالانتمـاء إليـه ، وتحـثّهم علـى توثيـق أواصـر الارتبـاط بـالأرض ، ويسـعى أيضـاً إلـى اسـتنهاض الهمـم بـالتركيز علـى أمجـاد الـوطن وفضـائله ، والالتفـات إلـى تاريخـه الماضـي ، وبطـولات أبنائـه وتضـحياتهم في سبيل عزّته ورفعته والارتقاء به إلى منابر التقدم .

المبحـــــث الرابـــــــــع

الخطـــــاب الموجـــه للسّفهاء (الخارجيـــن عـن العرف الاجتماعي) :

تقديـــــم :

" السّـفه ضـد الحلـم ، وأصـله الخفّـة والحركـة ، وتسـفّه عليـة إذا أسـمعه ، وسـفّهه تسـفيهاً : نسـبه إلـى السّـفه ، وقـولهم : سـفه نفسـه وغـبُنَ رأيـه وبطـر عيشـه ، وسـفه الرجـل : صـار سـفيهاً " [1] ، وفـي محكـم التنزيـل وردت آيـات كثيـرة فـي شـأن هـذه الفئـات موضـوع المبحـث ، وفـي دعـاء موسـى عليـه السـلام ، قـال تعـالى : ﴿ **قَـالَ رَبِّ لَـوْ شِـئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا** ﴾ [2]

وفـي النصـح والإرشـاد أوصـى رجـلٌ ابنـه فقـال : " يـا بنـي إيّـاك ومخالطـة السّـفهاء فـإنّ مجالسـتهم داء ، وإن مـن يحلـم عـن السّـفيه يُسَـرُّ بحلمـه ، ومـن يجبـه يندم ، ومـن لا يقـرّ بقليـل مـا يـأتي بـه السـفيه يقـرّ بـالكثير " [3] ، وفـي الخطـب قـالوا : " اصـطنعوا المعـروف تكسـبوا الحمـد ، ودعـوا الفضـول تجـانبكم السـفهاء ، وأكرمـوا الجلـيس يعمـر نـاديكم ، وحـاموا الخلـيط يرغـب فـي جـواركم ، ولا تمـازح الشـريف فيحقـد عليـك ، ولا السـفيه فيجترئ عليك " [4] .

قـال بعـض الحكمـاء : " احتمـال السـفيه أيسـر مـن التحلـي بصـورته ، والإغضـاء عن الجاهل خيرٌ من مشاكلته " [5] .

وفـي الشـعر العربـي وردت نصـوص كثيـرة مـن الأبيـات فـي التنبيـه والنهـي عـن مخالطة السفهاء والاحتراز منهم ، فإنهم كالمرض المعدي تنتقل عدواه بسرعةٍ .

---

[1] مختار الصحاح : زين الدين الرازي ، ت 666 هـ ، تح ، يوسف الشيخ محمد ، ج 1 ، ص 149 .

[2] سورة الأعراف : الآية 155 .

[3] الأمالي في لغة العرب : أبو علي القالي ، وضع وترتيب ، محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، ط 2 1344 هـ ، 1926 م ، ج 2 ، ص 56 .

[4] جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ج 1 ، ص 75 .

[5] الكشكول : محمد بن حسن بن الهمذاني ، تح ، محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ ، 1998 م ، ج 2 ، ص 126 .

أما الفئة الثانية التي يعنيها الشاعر هم المنافقون ، نافق الرجل : إذا أظهر الإسلام لأهله ، وأضمر غير الإسلام وأتاه مع أهله ، فقد خرج منه بذلك ومحل النفاق القلب [1] ، وهم الذين حذر الله سبحانه رسوله الكريم ﷺ منهم في كتابه العزيز فقال : **﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾** [2] .

والرسول الكريم ﷺ حذر منهم فقال : " آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " [3] .

والشاعر يوسف العظم ، كان قد وجّه خطابه الساخر والمتهكم ، المباشر وغير المباشر إلى هذه الفئة التي كانت ولا تزال سبباً في نكبة الوطن من أدناه إلى أقصاه ، ففي نص (يا قدس) يقول :

القدس يا" نخّاس " سيف الطعان ** وفارسُ الحلبة في (المعمعان)[4]

وومضة الإيمان في خافقي ** وهدأة النفس وروح الأمان[5] .

بدأ الشاعر بنداء من وصفه (بالنّخّاس) إشارة إلى العدو ، أو من يتعاون معه ، فوظّف النداء ؛ ليلصق به صفة ذميمة كانت في زمن ما قبل الإسلام ، ووضع اللفظ في موضع من يستحق أن يُكَنَّى به ، والنّخّاس : " صيغة مبالغة مأخوذ من النخس ، وهو الذي يدفع العبيد إلى غيره ويشتريهم ، ورجل نخاس في سوق الدواب ، ونخاس في زمن العبودية ، والنخس : تغريزك مؤخر الدابة أو جنبها بعودٍ أو بغيره ،

---

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد الحموي أبو العباس ، ت 770 هـ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ج 9 ، ص 425 .

[2] سورة المنافقون : الآية 1 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ، ص 19 .

[4] المعمعان : شدة الحر في الصيف ، ومعمع القوم : أي ساروا في شدة الحر ، والمعمعي : الرجل الذي يكون مع من غلب ، والمعمعة : صوت الحريق وصوت الأبطال في الحرب ...ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل الجوهري ، ج 3 ، ص 1286 (معع) .

[5] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 18 .

وتقول : نخسوا بفلان : إذا هيجوه وأزعجوه " [1] ، ولفظ المعمعان يعني شدة الحر فاستعمله لاستقامة الوزن وكناية عن شدة احتدام المعركة ، وبهذا الوصف المهين هو يستهجن الموقف العربي عامة ، الذي يمثل الخذلان وضياع القيم العربية كالنخوة والنجدة ، حتى صارت في هذا الزمن الكلمة الفصل يمتلكها النخاس المحتمي بالأجنبي ، يخاطبه بأسلوب يمثل الرد القاسي ؛ ليدرك أن القدس ليست كما يظن أو يتوقع ذلك النخاس ، إنما هي تمثل السيف البتّار في يد فارس مقدام لا يعرف الذل في معمعة المعارك وفي ذات الوقت ، فإن القدس بالنسبة للشاعر تمثل الإيمان الراسخ الذي من نتائجه السكينة والطمأنينة وهدأة النفس ، ثمّ يواصل الخطاب فيقول :

إن كانت الأوطان تحنو على** أبنائها فالقدس نبع الحنان

القدس يا مارق أنشودة ** تهتف باسم الله طول الزمان

القدس أمٌّ طهرها غامرٌ ** وحضنها بعض رياض الجنان

ليست بغيَّاً ترتضي بالخنا ** ولا جباناً ينحني للهوان[2].

بدأ الشاعر بأسلوب الشرط الذي يغطّي جزءًا هامّاً من فضاء النص ؛ ليثير في المتلقي رغبةً في معرفة جوابه وأقوى في الدلالة على التوثيق ، كما أنه جملة مفسّرة لجملة تدل على الحركية ، فشبّه القدس بالأم الحنون بل وهي نبع الحنان ، ويزداد الخطاب حدّة فيصف المخاطَب (بالمارق)، وليس أقل شأناً من الوصف السابق (النخاس) ، وسميت الخوارج مارقة لقوله ﷺ: " يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرّميّة " [3]، وإذ يخاطب من وصفه بالمارق ، فإنه يؤكد له كما أكد في الأبيات السابقة بأن القدس أبعد من أن يبيعها المارق النخاس ، فهتافها (الله أكبر) الذي يعلو ولا يُعلى عليه ، وفي البيت الثالث يصور القدس في صورة الأم الطاهرة النقية التي يغمرها الحنان ، ويتربى في حضنها كلُّ شريف غيور على وطنه ، وفي ذلك دعوة للجهاد وحثٌّ على نبذ الخلافات من أجل تحرير القدس .

---

[1] الإبانة في اللغة العربية : أبو المنذر سلمة بن مسلم الصحاري العوتبي ، ت 511 هـ ، تح ، مجموعة من المحققين ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سلطنة عُمَان ، ط 1 ، 1420 هـ ، 1999 م ، ج 4 ، ص 429 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 18 .

[3] صحيح مسلم : ج 2 ، ص 742 (باب ذكر الخوارج وصفاتهم) .

ومن نص (إلى الشاعر النرجسي) يقول الشاعر :

قــد عشــت لِلّيْــلِ المعربــد والخنــا ** لــم تخــلُ مــن خمــرٍ لــك الأكــوابُ

وندیمــك الخمّــار مسلــوب الحجــا ** وعــدوّك القـــــرآن والمحـــرابُ

لو عــاد زريـــاب ليشهـــد عهدكـــم ** لتحطّمـــت أوتـــــاره زريـــــابُ

تبكـــي علـــى الوطـــن الحزيــن وتنحنـــي ** للظّالميـــن تدوســك الأعقـــاب![1].

يلاحـظ علـى المُخاطَـبِ أنـه مـدمنٌ علـى الخمـر ، مواظـبٌ عليهـا فـي مـا يعـرف بالليـالي الحمـراء التـي لـم تخـلُ مـن تعـدد الأكـواب ، وهـذه الأمـاكن (الخنـا) لا يرتادهـا إلا السـفهاء والمنـافقون الـذين أقضّـوا مضـجع الشـاعر ، وعـاثوا فـي الأرض فسـاداً أخلاقيـاً ودينيّـاً ، وفـي التضـاد بـين النـديم والعـدو وضّـح الشـاعر أن النـديم فـي مثـل هـذه الامـاكن يسمى الخمّار وهو مسلوب الإرادة ، فيكون حتماً عدوّهُ القرآن والهدي النبوي .

وفـي البيـت الثالـث يحيـل ذاكـرة المتلقـي بـالرجوع إلـى الماضـي البعيـد ، ومـن بـاب السـخرية والـتهكم يـذكر المخاطـب بالشـاعر والموسـيقي (زريـاب) [2] ، إذ لـو كـان موجـوداً لتحطمـت أوتـاره ، وذلـك غايـة السـخرية والـتهكم علـى الفـن فـي الوقـت الحاضـر الهـابط إلـى درجـة الإسـفاف ، ثـم يتعجـب منـه ويسـخر فـي ذات الوقـت ، فكيـف يكـون البكـاء علـى الـوطن وأنـت تنحنـي وتخضـع لعـدوٍ أهـان كرامتـك وسـلب إرادتـك ودنّـس عرضك ؟ .

لقـد اسـتخدم الشـاعر الرمـز حيـث اسـتهجن موقـف مـا وصـفه بشـاعر الجـنس الـرخيص البـائع كرامتـه وشـرفه بحفنـة مـن المـال الـذي يغدقـه عليـه الحـاكم المـرتبط بالتجربـة الشـعورية التـي يعانيهـا والتـي تمـنح الأشـياء مغـزىً خاصّـاً ، وفـي أغلـب نصوصـه يلاحـظ الـرفض للواقـع المتـردي ، وفضـح سياسـات الاسـتعمار ، ونلمـس هنـا السـخرية

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 129 .

[2] هو : علي بن نافع أبو الحسن الملقب بزرياب ، ت 230 هـ ، كان حسن الصوت ، وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار ، أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي ...ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 5 ، ص 28 .

في صفة ذلك الماجن في فنّه الهابط ، فالسخرية سلاحٌ في يد الشاعرُ ، ثمّ يواصل سخريته منه ويقول :

مستأجرٌ لمن اشتراك وتابعٌ ** للمال من كفِّ الأمير تُثابُ

وطنٌ (أبو جهلٍ) [1] يسوس أموره ** واللّاتُ قد حفّت بها الأنصابُ

أبوابه مفتوحةٌ لغزاته ** والحرُّ توصدُ دونه الأبوابُ

والغاصبون لهم خلاصة خيره ** والمخلصون بشرعه أغرابُ [2] .

ثم يواصل استخدام الرمز فيجعل من (أبي جهل) رمزاً للحاكم المستبد يسوس الوطن إلى الهلاك بتصرفاته ، (واللات)هي البطانة الفاسدة ، وأمام هذا الواقع السياسي المليء بالفساد والمتمثل في حاكمٍ جبّار جائر موالٍ للعدو ورعية مساكنها السجون وطعامها الفقر ، تبدو نفسية الشاعر مليئة بالحزن ، وبطبيعته الساخرة من كل ذلك فإن أغلب نصوصه تحمل صفة الرفض للواقع المتردي بسبب الحاكم (أبي جهل) الذي كان سبباً في استباحة حدود الوطن ونهب خيراته ؛ ليظفر العدو ، في حين أن ابن الوطن المخلص هو الغريب في وطنه ، وهذا هو الواقع الذي يرتضيه ما يسمى بشاعر الجنس الرخيص الذي غاب عنه الجانب الروحي ، وتجرّد من تعاليم الإسلام من أجل أن يكون عبداً للمال .

ومن نص (الطفل فينا ماردٌ جبار) يقول الشاعر :

يا غاصب الفردوس من أبنائه ** ما في الحمى للغاصبين قرارُ

هذي ذخيرة شاعرٍ يزهو بها ** في السّاحِ لا بَطِرٌ ولا خوّارُ [3].

يخاطب المستعمر ، ويذكره بأنه لا مكان له ولا استقرار على هذه الأرض مادام الشاعر على قيد الحياة ينبض بروح المقاومة ، ويمتلك سلاح الكلمة القوية المؤثّرة كالذخيرة الحيّة التي يكون لها الأثر البالغ في العدو ، يستخدمها الشاعر متى

---

[1] أبوجهل هو : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة للرسول ﷺ وأحد زعماء قريش وساداتها ودهاتها في الجاهلية ، ... ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 5 ، ص 87 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 129 .

[3] المصدر السابق : ص 225 .

شاء دون خوفٍ ولا وجل ، ثم يضع مقارنة بين نوعين من الشعر ؛ ليبيّن من خلالهما صفة الشعر الصادق النقي النابع من روحٍ وطنية وشعر يحمل صفة الرذيلة والخنوع والخذلان ، وفي ذلك يقول :

شتّان بين الشعر رمح مجاهدٍ ** وقصيدةٍ يلهو بها المزمارُ

فمن القريض قذيفةٌ علويةٌ ** تشوي الوجوه كأنّها إعصارُ

ومن القريضِ مثبّطٌ ومخذّرٌ ** يرعاه في سوق الخنا خمّارُ[1].

بدأ أسلوب خطابه بلفظ (شتّان)[2] ، ليبيّن الفرق ويحيل ذاكرة المتلقي لانتظار فائدة جديدة .

فهناك من الشعر كما وصفه الشاعر بأنه : رمح مجاهد أي الشعر الملتزم دينياً وأخلاقياً ويدافع عن الدين وأركانه، وهذا النوع أشاد به رسول الله ﷺ وحثّ الشعراء على نظمه ، ومنهم (حسان بن ثابت الأنصاري) ، ومن الشعر ما هو فاحش وصريح يصاحبه المزمار وبعيد عن تعليم الإسلام السمحة ، وفي البيت الثاني يفصّل أكثر ، نوعٌ من الشعر القوي اللاذع في ألفاظه شبّهه الشاعر بالقذيفة الحارقة النازلة من علوٍّ شاهق تحيلُ الأرض إلى رماد ، أو كالإعصار الذي لا يبقي ولا يذر، أما النوع الثاني فهو الذي استهجنه وسخر منه في نصٍ سابق وشبهه بالمخذر الذي يجعل الإنسان في حالة إغماء تام ، ألفاظه تافهة تناسب الحانات ودور الخمور ، وفي وصف الشاعر تظهر نبرة الهجاء ، وللهجاء آثارٌ فاعلة في نفس المهجوّ وقد لا تمّحي تلك الآثار على مرّ الأجيال والحقب ، والأديب أو الشاعر يصوّر الهجاء مثله الأعلى " لأن شيئاً قد عارض هذا المثل ، وهذا الشيء قد يكون شخصاً من الأشخاص أو نظاماً من النظم أو فكرة من الأفكار ، فإذا صوّر الشاعر عاطفته فقد يصوّرها مُنصبّة على هذا الشخص أو هذا النظام "[3] وإلى جانب الهجاء تظهر نبرة الفخر ، والفخر من الأغراض التي قام عليها اساس الشعر ، لا سيّما الشعر الجاهلي ، فهو يمثّل حماسة الشاعر التي تجعله ينشد القوة ولذة الانتصار على خصمه ، مما يدخل معاني

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 225 .

[2] (شتان) : اسم فعل ماضي مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ،يفيد الافتراق كقولهم : شتّان الإحسان والإساءة ، ويفيد تباين الشيئين في المعاني والأحوال . ينظر : المفصل في صناعة الإعراب : الزمخشري ، تح ، علي بو ملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط 1 ، 1993 م ، ج 1 ، ص 203 .

[3] الهجاء والهجّاؤون في الشعر الجاهلي : محمد حسين ، مكتبة الآداب القاهرة ، 1984 م ، ص 16 .

الغبطة والسرور في نفسه ، والشاعر إذ يخاطب السفهاء ومن على شاكلتهم فإنه يتطلب منه اتباع أسلوب الهجاء الممزوج بالسخرية لعلّ منهم من يرتدع ويعود إلى النهج السليم ، وفي نفس الوقت ينصح المتلقي ، ويجعله على دراية بما يفعل أولئك السفهاء ؛ ليبتعد عن نهجهم ويستهجن سلوكهم .

ومن نص (لن تذلّوا نفسي) يقول يوسف العظم :

يا دعاة الفجور يا عصبة الشّر ** تصدّى لمثلكم " حسّان"

ولئن عشت في الحياة طويلاً ** فالقوافي في فضحكم ديوان

فاجرعوا الذلّ والهوان وبوؤوا ** بهوانٍ وحظّكم خسرانُ[1].

يوجه الشاعر خطابه إلى السفهاء دعاة الفجور والعصيان المحرّضين على أفعال الشّر، والفجور من الأعمال الشنيعة التي ينفّر منها الدين وتنسلخ منها الأخلاق ، وفي اللغة : " فجر الإنسان يفجر فجوراً : انبعث على المعاصي ، وفجر الرجل بالمرأة : زنى ، ويقال للمرأة : يا فاجِر معدولٌ عن الفاجرة ، وقالوا : الذئبُ غادر وفاجر أي لا عهد له "[2] وبيّن الله سبحانه جزاء الفجّار فقال : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[3] ، وفي نهيه عن هذه الصفة قال ﷺ : " فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار "[4] وفي قوله : يا دعاة الفجور ، يا عصبة الشر كناية عن شنيع أفعالهم وهذه الفئة شبّههم الشاعر بالعصبة الباغية الظالمة في عهد الرسول ﷺ الذين تصدّى لهم حسان بن ثابت بشعره ، والشاعر يحيل ذاكرة المتلقي إلى الماضي ؛ ليبيّن أنه سيتصدى لمثل أولئك الشرذمة ، وأن يقتفي أثر حسّان ، إذا أمدّ الله في عمره ، وأن يحاربهم بالكلمة اللاذعة وبالقوافي الحارقة كما أشار في نصٍ سابق ، فأكد بأسلوب الشرط أنه لن يدّخر جهدا في فضحهم على الملأ ، ليس بقصيدة فحسب ، بل بديوان يجعلهم يتجرّعون كأس الذل والمهانة

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 358 .

[2] المحكم والمحيط الأعظم : ابن سيدة المرسي، ت 458 هـ ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 م ، ج 3 ، ص 289 .

[3] سورة الانفطار : الآية 13 .

[4] سنن الترمذي : ج 4 ، ص 347 .

ويكونـوا مـن الخاسـرين ، وهـذا يـدل علـى ثقـة الشـاعر وتعمّقـه فـي نظـم القـوافي التـي تـؤثر فـي خصـومه ، بـل وتشـد انتبـاه المتلقـي لقـراءة المزيـد مـن نصوصـه ، وفـي نفـس الوقـت نصح وإرشاد بتبيان المصلح من المفسد ، وتحذير من فعل أولئك الفجّار.

خلاصـة هـذا الفصـل : تطـرّق الشـاعر إلـى خطـاب فئـات المجتمـع مـن الأطفـال والشـباب والرجـال والنسـاء وأخيـراً فئـة السـفهاء فـي المجتمـع ومـن فـي حكمهـم ، وفـي خطابـه كثيـر من النصح والإرشاد والتوجيه والتحذير أيضاً .

الفصل الرابع :

أساليب النصـــح

المبحث الأول : أســاليب خبرية

المبحث الثاني : أساليب إنشائية

المبحث الثالث : القصـــــص

المبحث الرابع : الحـــــوار

المبحـــــــث الأول

أساليـــــــب خبريـــــــة :

تقديم :

الأساليب اللغوية على مختلف أنواعها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة العلاقة بين صاحب الخطاب والمتلقي ، وطريقة توظيف هذه الأساليب داخل السياق ، هي التي تعطي قيَماً وأبعاداً جمالية للنص ، ومرآة هذه الأساليب تكمن في ما تبقيه من أثرٍ في نفس السامع سواء أكان سلباً أم إيجاباً .

والأسلوب غير ثابت ؛ إذ تتغير أساليب الصياغة بتنوع أحاسيس الشاعر والهدف الذي يرمي إليه في إيثار هذا الأسلوب على غيره ، وبسبب ذلك حصل التباين في أساليب الصياغة لدى الشعراء ، بل قد نجد هذا التباين عند الشاعر نفسه ، إذ تتحكم درجة الإحساس والانفعال الشعوري ساعة الإبداع القولي في الأساليب التي يختارها الشاعر ، " فهو تارة يعتمد على عقله وتارة على عاطفته وتارة يجمع بين العقل والعاطفة " [1] وقد يأخذ سبيلاً آخر في تأليفه الجملة أو نظمها " يقدّم أو يؤخر أو يحذف أو يستفهم أو يأمر أو ينهي " [2] .

الأسلوب لغة : " السطر من النخيل ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، والأسلوب : الوجه أو المذهب ، والجمع أساليب ، يقال : هم في أسلوب سوء ، وقد سلك أسلوبه : طريقته وكلامه على أساليب حسنة ، والأسلوبً بالضم : الفن ، يقال : أخذ فلانٌ في أساليب من القول : أي أفانين منه " [3] .

وفي الأدب العربي كَثُـرَتْ التعريفات والتقسيمات واختلفت باختلاف العصور، ولعلَّ أهمها ما ورد في كتاب (البلاغة الواضحة) ، وهو " المعنى المصوغ في ألفاظٍ

---

[1] البلاغة الأسلوبية ، محمد عبدالمطلب ، مكتبة لبنان ، ناشرون الشركة المصرية العالمية ، ط1 ، 1994 م ، ص 114 .

[2] نحو منهج جديد في البلاغة والنقد الأدبي : د سناء حميد العبيدي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط 1 ، 1998 م ، ص 29 .

[3] تاج العروس : ج 3 ، ص 72 .

مؤلّفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعل في نفوس سامعيه " [1] .

الخبـــــر في اللغة هو : " العلم بالشيء ، تقول : لي بفلان خِبْرة وخُبْرة " [2] والخبير : العالم بكل شيء .

وفي الاصطلاح هو : " الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب ، باعتبار كونه مجرد كلام دون النظر إلى قائله " [3] ، وأنواع الخبر ثلاثة :

الأول : خبر ابتدائي ، ويلقى إلى خالي الذهن ، والمتكلم هو الذي يبتدأ بالمعلومة ، ويستخدم غالباً في إلقاء الدروس والمؤلفات وكذلك في الوصف [4]

الثانـــي : خبر طلبي ، والمخاطَبْ به لم يقع الخبر من نفسه موقع القبول والرضا فأصبح متردداً ، فيستحسن له توكيد الخبر؛ ليستقرّ المعنى في نفسه ويتمكن منه ، فهذا المخاطب هو الذي يطلب التوكيد [5] ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ** ﴾ [6] .

الثالـــث : خبر إنكاري ، يخاطَبْ به المُنكِر ، وهذا يوجب توكيده بأكثر من مؤكد ، وتزداد المؤكدات في الجملة بحسب درجة الإنكار [7] ، قال تعالى : ﴿ **قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ** ﴾ [8].

ومن نص (مناجاة تائه) يقول يوسف العظم :

---

[1] البلاغة الواضحة : علي الجارم ومصطفى أمين ، جمع وترتيب وتعليق ، علي بن نايف الشحود ، ج 1 ، ص 17 .

[2] معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس ، تح عبد السلام هارون ، ت 395 هـ ، دار الفكر ، بيروت ، 1399 هـ ، 1979 م ، ج 2 ، ص 239 .

[3] البلاغة العربية : عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني ، ص 167 .

[4] ينظر : علم المعاني : العربي سالم الشريف ، منشورات جامعة السابع من إبريل (جامعة الزاوية) ، د ت ، ص 33 .

[5] ينظر : الايضاح : الخطيب القزويني ص 21 .

[6] سورة المؤمنون : الآية 27 .

[7] ينظر : علم المعاني : العربي الشريف ، ص 33 ، والإيضاح : للقزويني ، ص 21 .

[8] سورة يس : الآية 15 ، 16 .

جريـحٌ مزّقـت صـــــدري نصـالٌ ** غريـقٌ لـيس لـي إلّاك مُنجـيِ

وفـي بحـر الهـوى تاهـت سفينـي ** تكـاد تغـوص فـي أعمـاق لُجّـيِ

ومجدافـــي تحطّـــمَ واستبـــدّت ** بـــه الأمـواجُ موجاً فـوق مَـــوْجِ[1].

فـي الأبيـات أسـلوب خبـري ابتـدائي ، فهـو يخاطـب خـالي الـذهن بـدون مُؤكّـدات ، ويـوحي الـنص بانهمـاك الشـاعر فـي ضـائقة شـديدة أعقبتـه ألمـاً وحزنـاً شـديدين ، وينبـئُ عـن حالـة بائسـة وشـعورٍ يمـلأه الحـزن ، فقـد اسـتعمل فـي وصـفه مـن الألفـاظ القويـة فـي دلالتهـا مـا يؤكّـد ذلـك ، فـالجرح عميـق مـن أثـر التمزيـق وفيـه كنايـة عـن قـوة وقـع الفعـل ، ومـــع كـــل ذلـــك يســـتدرك بـــالرجوع والأوبـــة إلـــى مـــن يكشـــف البلـــوى فـــي قولـــه : (غريـق لـيس لـي إلّاك منجـي) ، وفـي ذلـك نصـح وإرشـاد وتـذكير ، ويستحضـر قولـه تعـالى : ﴿ **أَمَّـنْ يُجِيـبُ المُضـطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكْشِـفُ السُّـوءَ وَيَجْعَلُكُـمْ خُلَفَـآءَ الأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[2] .

ثمّ ينتقل لوصف الحالة من خلال وصف الخيل فيقول :

وأحلامـي جيـــادٌ جامحـــــاتٌ ** ثوابـت في المرابـع دون ســـرجٍ

تريـــدُ المـاءَ لكـن فـي ســرابٍ ** وترتـــعُ في المرابــع دون مـرجِ

وفـــي صـــدري ضلـوعٍ مشرعـــــات ** تنـاجي الله تجـأر بالتـــرجّ[3].

وهـذا الخبـر ابتـدائي بـدون مؤكـدات ، اسـتخدم مـن خلالـه الرمـز كوسـيلة للتعبيـر عـن حالتـه المضـطربة ، فيحيـل ذهـن المتلقـي إلـى تخيّـل تلـك الصـورة ، ومـع كـل ذلـك يستدرك أن تنفيس تلك الحالة يكمن في مناجاة الله سبحانه وتعالى واللجوء إليه .

والخبـر هنـا ابتـدائي أيضـاً والغـرض منـه الإخبـار بحالتـه دون تأكيـدات ، حيـث يتحـدّث عـن شـريكة حياتـه ويثنـي عليهـا ، فهـي كمـا يصـف نعـم الزوجـة

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 157 .

[2] سورة النمل : الآية 62 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 157 .

الصالحة ، تقاسمت معه أعباء الحياة بحلوها ومرِّها وصبرت وتحمّلتْ كثيرا من أجل راحته وسعادته ، ولزاماً على زوجٍ كانت زوجته بتلك الصورة أن يعيش عمره في سعادة ، وقد دلّ على ذلك قوله : (قضيتُ العمر في ألقٍ) ، ومن أجل ذلك استحقّت منه الرعاية ، فأهداها كلَّ ما يملك ، ولم يبخلْ بشعره ونثره وخلّد اسمها بين ثنايا السطور والأبيات ، والشاعر في هذه الأبيات يحيل ذهن المتلقي بنصحٍ غير مباشر إلى حسن اختيار الزوجة الصالحة ، وفي ذات الموضوع يصف زوجته بأنها (خميلة) [1] ، في نصٍ شعري عنوانه (جنّة الدنيا.. خميلة !) فقال :

بناتي أزاهيرٌ وأنت خميلة ** يطيبُ بها عيشي وتخضرُّ أوراقـ[2].

وصف بناته بالأزهار نبتت في خميلة خضراء ، وفي ذلك تناسب ودلالة على الارتباط والقرب والمحبة التي تجمع الوالد بأبنائه ، والأسلوب الخبري في البيت خالٍ من أدوات التوكيد ، فهو ابتدائي وغرضه السرد وإفادة المخاطب بإظهار شعوره نحو بناته .

ومن نص (نبضات القلوب) يقول يوسف العظم :

الموت في نبضات القلب يرصدنا ** كما يزمجر في أنفاسنا العدمُ

ما بين طفلٍ كزهر الروض نفقده ** وبين شيخٍ عجوز هدّه السّقم

نصحو على خطوات الموت يحصدنا ** وليس ينفع بعد الحفرة الندم[3].

---

[1] الخميلة هي : الروضة ذات شجرٍ كثيف ، وقيل: هي الأرض السهلة ، ينظر : جمهرة اللغة ،لابن دريد ، ج 2 ، ص 620 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 180 .

[3] المصدر السابق : ص 69 .

الـنص قـائم علـى الاسـلوب الخبـري الابتـدائي لخلـوه مـن المؤكـدات ، والشـاعر يُـذكّر بـأنّ مـن دلالات قـرب الإنسـان مـن خالقـة تعـالى ، ذكـر المـوت عنـد كـل نفـس ، وهذا من باب قوله تعالى : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [1] .

ومن نص (لا يضير الكريم كيد الأعادي) يقول العظم :

موطني كـــان للكرامــة رمـــزا ** قـد رضعـت الإبـاء فـي أحضانـه

ولكَمْ همْـتُ في لهيـب الصّحارى ** وافترشـتُ الرمـال فـي شطآنـه

وعبـير الزهـــور يمـلأ نفسـي ** وخريـر الميـاه فـي وديانـــه

وغنـاء(الشحرور) [2] فـي كـل روضٍ** وهديـل الحمـام في أغصانـــه

وغصـون الزيتـون رفّـت جفونـاً ** وخـدود المـلاح فـي رمّانـه[3].

الخبـر فـي هـذا الـنص طلبـي ، حيـث اسـتعمل الشـاعر فـي البيـت الأول (قـد والفعـل الماضـي)، واسـتعمل فـي البيـت الثـاني الـلام الدالـة علـى التوكيـد (لَكـم همْـتُ) ، هكـذا هـو الشـغف والحنـين لحـب الـوطن لا سـيما وأن الشـاعر وطنـه محتـل ، وأهلـه مشـردون ، ويشـعر بالغربـة فـي وطنـه " فـأين أنـت مـن غريـبٍ قـد طالـت غربتـه فـي وطنـه وقـلّ حظّـه ونصـيبه وسـكنه ؟ وأيـن أنـت مـن غريـبٍ لا سـبيل لـه إلـى الأوطـان ولا طاقـة بـه على الاستيطان " [4] .

ثـم يـربط بـين مـاضٍ قـديم ألـيم ، حـول قصـة اشـتهرت فـي الجاهليـة يضـرب بهـا المثـل ، فيقـال " أشـأم مـن (داحـس) [5] تقابلهـا صـورة الحاضـر الحـزين ،

---

[1] سورة الذاريات : الآية 55 .

[2] (الشحرور: طائر أسود اللون من فصيلة الشحروريات ورتبة الجواثيم المشرومات المناقير ، ذكره أسود وأنثاه أعلاها أسمر وصدرها إلى حمرة ، دائم التغريد يصاد ويربى في أقفاص لحسن صوته) معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد ، ت 1424 هـ ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008 م ، ج 2 ، ص 1170 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 372 .

[4] الإشـارات الإلهية : أبوحيّان التوحيدي ، تح ، عبد الرحمن البدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973 م ، ص 113 .

[5] أمثال العرب : المفضل الضبي ت 168 هـ ، تح ، إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1401هـ 1981 م ، باب 27 ، ج 1 ، ص 109 .

فـإذا كانـت الحـرب بـين قبيلتـين فـي الجاهليـة لأتفـه الأسـباب ، فـإن مـا يحـدث بـين أبنـاء الوطن الواحد من انشقاقٍ وفرقة ، هي لذات الأسباب القديمة ،أو ما يشبهها .

ومن نص (قراءة عروضية على بحر الكامل) يقول يوسف العظم :

كيـــف وقـد عـاث اليهود بدارنـا ** والقــدس مـن أوغـادهـم تتـألــم

تستصرخ الإســـــلام قائلــة لهـــم ** إنّ الجهـــاد عقيـــدة لا تهـــزم

والمصطفى الهادي قضى فـي شرعه ** إنّ الســلام مع اليهـود محـــــرّم

وكــذا لَكـــمْ قـــال النبـيُّ بهديــهِ ** إنّ القتــال مـع اليهـود سيضــرمُ[1].

الأسـلوب الخبـري نوعـه إنكـاري بتكـرار التوكيـد بـــ (قـد) و (لَكُـمْ) أي قـول الرسـول ﷺ الـذي لا ينطـق عـن الهـوى ، وحـرف التوكيـد (إنّ) ثـلاث مـرات ، فبحسـب رأي الشـاعر أنـه لا سـلام مـع مـن احتـل الأرض ودنّـس العـرض ، وقـد اسـتند فـي ذلـك علـى هديـه ﷺ وفـي ذلـك دعـوة للأخـذ بأسـباب القـوة لمواجهـة أعـداء الأمـة العربيـة . ونصح وإرشاد لاتبع نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتطبيق سنته .

ومن نص (لأخي من وراء القضبان) يقول العظم :

فـــإنّ السجـــون وإنّ القيـــود ** وإنّ الرصـــاص وإنّ اللهيـــب

وإنّ أريـــج الدمـــاء الشـــذي ** دفاعـاً عـن الحـق أمـر يطيب [2].

الخبـر فـي البيتـين مؤكـد خمـس مـرات متواليـة بحـرف التوكيـد (إنّ) ، لـذا فـإن الخبـر إنكـاري ، فكـل مـا يتعـرض لـه الإنسـان مـن عـذابات ومعانـاة فهـو أمـر هـيّن فـي سبيل الوطن وفي ذلك شحذ للهمم واستنهاض للعزيمة .

ومن نص (على خطا حسّان) يقول العظم :

يا سيّدي هل أتـاك اليوم من خبرٍ ** أنّ القريضَ اعتـراه الحـزن والألـم ؟

وأنّهـم باسـم فـن الشعـر قـد مسخـوا ** روح القريـض ومـن أعلامـه نقمـوا

وقـد غـدا الشعـر لا ذوقٌ ولا أدبٌ ** حتـى أصـاب الورى من لغوهم صمم !

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 405 .

[2] المصدر السابق : ص 425 .

لولا رجـالٌ بنـوا للضّـاد صـرح عُلىَ ** قد أيقضـوا هممـاً تعلو بهـا الهممُ [1].

تكـرر التوكيـد بـالحرف (إن) مـرتين ومثلهـا بـــ (قـد) فأسـلوب الخبـر إنكـاري ، وفيـه يخاطـب شـاعر الرسـول ﷺ ويسـتهجن مـا آل إليـه حـال الشـعر فـي زمـن الشـاعر ، فبحسـب رأيـه لـم تعـد للشـعر قيمـة فنيـة أو أدبيـة ، وقـد تـم توظيفـه لأغـراض بعيـدة عـن منهج الإسلام ، ولكنه استدرك بأن للغة الشعر وهي العربية رجال يحافظون عليها .

هـذا النصـح غيـر مباشـر بحيـث الشـاعر مـا آل إليـه حـال اللغـة والشـعر ، فصـار الشـعر مبتـذلاً لا يـؤدي الغـرض المنـوطى بـه وهـذا بحسـب رأيـه ، وكـذلك اللغـة التـي ظغـى عليهـا غـزو ثقـافي جعلهـا فـي حالـة مريبـة ، ولكنـه اسـتدرك علـى رجـال اللغـة الحقيقـين الذين حافظو على ماهية اللغة من الاندثار .

كانـت تلـك بعـض الأسـاليب الخبريـة علـى مسـتوى النصـوص الكاملـة التـي عبـرت عــن مشــاعر وأحاســيس الشــاعر اتجــاه أمتــه العربيــة والإســلامية ، أراد مــن خلالهــا اسـتنهاض الهمـم وتحريـك المشـاعر ، فـي دعـوة صـريحة إلـى النشـاط بالبحـث عـن أسـباب النصر، ونبذ العنف ووحدة الصّف لمجابهة العدو .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 337 .

المبحـــــث الثانـــــي

أساليـــــــب إنشائيـــــــة :

تقديـــــم :

الإنشـــاء : " مـأخوذ مـن الفعـل نشـأ ، فتقـول : نشـئاً ونشـوءًا ونشـأةً : حـدث وتجـدد ، قـال الفراهيـدي : النشـأ : أحـداث النـاس الصـغار ، يقـال للواحـد نشـأ سـوء ، وهـؤلاء نشـأ سـوء ، والناشـئ الشـاب ، يقـال : فتـىً ناشـئ ولـم أسمـع هـذا النعـت للجارية " [1] .

الإنشـاء : وهـو كـلام لا يحتمـل صـدقاً ولا كـذباً وقـد سـمّاه القزوينـي : إنشـاءً وسـمّاه السّـكّاكي طلبـاً والتسـميتان تـدلان علـى معنـى واحـد فالسـكاكي يقـول : " والطلـب إذا تأمّلـت نوعـان : نـوع لا يسـتدعي مطلوبـاً فـي مطلوبـه إمكـان الحصـول ، ونـوع يسـتدعي فيـه إمكـان الحصـول " [2] ، أمـا القزوينـي فيقـول : " الإنشـاء ضـربان : طلـب وغيـر طلـب ، والطلـب يسـتدعي مطلوبـاً غيـر حاصـل وقـت الطلـب لامتنـاع تحصـيل الحاصل [3] .

أما أحمد الهاشمي فيقول : " هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفّظت به ، فطلب الفعل في (أفعل) وطلب الكف في (لا تفعل) وطلب المحبوب في (التمني) وطلب الفهم في (الاستفهام) وطلب الإقبال في (النداء) كلّ ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها [4] .

الإنشـــاء عنـد علمـاء البلاغـة : " الكـلام الـذي لـيس لنسـبته خـارج ، تطابقـه هـذه النسـبة أو لا تطابقـه ، وعنـد الأدبـاء فـنٌ يعلـم بـه جمـع المعـاني

---

[1] معجم العين : الخليل أحمد الفراهيدي، تح ، مهدي المخزومي ، إبراهيم السمرائي ، دار ومكتبة الهلال ،ج 6 ، ص 287 ، (نشأ) .

[2] مفتاح العلوم : أبو يعقوب السكاكي مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط 1 ، 1937 م ، ص 145

[3] الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تح ، لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، د ت ، ج 1 ، ص 130 .

[4] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد إبراهيم الهاشمي ، ضبط وتدقيق وتوثيق ، يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط 1 ، 1999 م ، ص 69 .

والتـأليف بينهـا وتنسـيقها ثـم التعبيـر عنهـا بعبـارات أدبيـة بليغـة " [1] ، وعلـم الإنشـاء : " يعـرف بـه محاسـن التراكيـب المنثـورة مـن الخطـب والرسـائل ومعانيهـا من حيث إنّها خطبٌ ورسائل " [2] .

والأعمـال الشـعرية ليوسـف العظـم ، مليئـة بالأسـاليب الإنشـائية فـي مختلـف الأغراض ومن ذلك نص (بلادي) في قوله :

يـا رايـة الحـق سيري للعـلا قُدُمَـاً ** تحمـي حمـاك رمـاح الصِّيد (والأسلُ)[3]

قـد حـفَّ دربـكِ آمـالٌ وأفئـدةٌ ** ودرب خصمـك قـد حفّـت به العلـلُ

فـإن وردنا حيـاض العـزِّ نشربهـا ** وإن لقينـا قيـود الـذل نرتحـل [4].

بـدأ بأسـلوب النـداء ، والنـداء هـو " طلـب الإجابـة لأمـرٍ مـا بحـرف مـن حـروف النـداء ينـوب منـاب (أدعـو) " [5] ومـن أدوات النـداء (يـاء) ، وأمـا يـاء " فـالراجح أنهـا موضـوعة لنـداء البعيـد حقيقـة أو حكمـاً وقيـل : مشـتركة " [6] ، قـال تعـالى : ﴿ **يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ اتَّـقِ اللَّـهَ وَلَا تُطِـعِ الْكَـافِرِينَ وَالْمُنَـافِقِينَ** ﴾ [7] " وحـق النـداء أن تعطـف بـه المخاطب عليك ثم تخبره أو تأمره أو تسأله " [8]

والشـاعر يوسـف العظـم يترافـق عنـده النـداء مـع الأمـر والاسـتعارة فـي مخاطبتـة لرايـة الحـق بالسـير نحـو العـلا فـي حمايـة حملـة السـيوف وأسـنة الرمـاح ، وهـذه الرمـاح لابـد

---

[1] المعجم الوسيط : أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، تح ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، ج 2 ، ص 920 .

[2] دستور العلماء : جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، القاضي عبد النبي الأحمد نكري ، ت ق 12 هـ ، عرّب عباراته الفارسية ، حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1421هـ ، 2000 م ، ج 1 ، ص 140 .

[3] الأسل في الأصل نبات يصنع منه أطراف الأسنة : ينظر : الدلائل في غريب الحديث ، قاسم ثابت السرقسطي ، تح ، محمد عبد الله القناص ، مكتبة العبيكان ، ط 1 ، 1422هـ ، 2001 م ، ج 2 ، ص 755 .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 422 .

[5] البلاغة العربية : عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط 1 ، 1416 هـ ، 1996 م ، ج 1 ، ص 240 .

[6] المصدر نفسه ، وكذلك الصفحة .

[7] سورة الأحزاب : الآية 1 .

[8] المقتضب : أبو العباس المبرد ت 285 هـ ، تح ، محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ج 3 ، ص 298 .

لهـا مـن أيـدي فتيـة تحملهـا يحـذوها أمـل يمـلأ القلـوب إيمانـاً بـالله تعـالى أولاً ، ثـم بالقضـية التـي يـدافعون مـن أجلهـا وهـذا ينـتج عنـه نصـرٌ مـؤزّر، وبالمقابـل يجعـل الخصـم وهـو العـدو فـي ذلٍّ وانكسـار ، وقـد حفـت بـه العلـل التـي ينـتج عنهـا الخسـارة الفادحـة ، فجـاء بـالفعلين (حـفّ ، وحفـت) فـي البيـت الواحـد يجمعهمـا الجنـاس فـي صـورة الإيجـاب والسـلب ، ثـم ينتقل في البيت الثالث إلى غرض الفخر ، ومن خلاله يشحذ الهمم ويقوي العزائم .

ومن نص (لأخي من وراء القضبان) يقول الشاعر العظم :

أخـي كلّمـا مـرَّ فـي خاطـري ** خيالـك أو هاجـــت الذكريـات

سمعـت الحديـد وجـرّ القيـود ** ولسـع السياط وسحـق الرّفـات

أخي لا تظنّـنَّ أنّـــي نسيـــت ** جهـادك والصـبر والتضحيات[1].

أسـهمت العوامـل المحيطـة بـالمجتمع التـي شـهدها البشـر علـى مـرّ العصـور فـي اسـتحداث ظـاهرة السـجن كعقوبـةٍ رادعـة وجـزاء مسـتحق ، ولكـن هـذا لا يلغـي الظـروف الأخـرى التـي سـاعدت علـى انبثـاق هـذا الوضـع مثـل : مقاومـة الظلـم ، والوقـوف فـي وجـه التعسـف ، ورفـض امتهـان مصـائر النـاس ، وتتكـرر الظـاهرة بطبيعـة العصـر والزمـان والمكـان ، ووصـف مثـل هـذه الحالـة لسـجين يقبـع خلـف القضـبان ، إنمـا تمثّـل فـي مجملهـا انعكاسـاً سـلبياً لحالـة الواصـف والموصـوف ، ومهمـا يكـن مـن أمـر ، فـإن السـجين يعمّـه الـذل ويغلـب عليـه الألـم ، فيصـير معطـل الإرادة ، جـريح الهمّـة ، منقطـع الرجـاء إلا مـن الله سبحانه وتعالى .

ربـط الشـاعر بـين العنـوان ومضـمون الـنص ، فالأبيـات بالأسـلوب الإنشـائي مـن خـلال النـداء ، موجهـة لصـديقه فـي غياهـب السـجن ، وتكشـف عـن حالـة مـن الحـزن والألـم الشّـديدين ، حالـة يعيشـها مسـجون حريّتـه مقيّـدة ، وهـذه الأبيـات انبثقـت مـن الماضـي فـي شـكل صـور تجعـل قلـب الشـاعر يرتجـف ويعتصـر ألمـاً ويبـث أحزانـه مـع الـذكريات ؛ لأن الـذكريات عـن العهـود الغـوابر يبـرز منهـا مـا فيهـا مـن صـور جماليـة ، بـالرغم مـن أنهـا فـي كثيـرٍ مـن الأحيـان تحمـل طـابع الحـزن ، وعنـدما تتمثّـل الـذكريات أمـام الشـاعر ، فإنهـا

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 424 .

تصبح مشاهد عينيّة من خلال واقع يعيشه، والألفاظ (القضبان ــ الحديد ــ القيود ــ لسع السّياط ــ سحق الرفات) ، تناسب الموقف ، فسفينة الذكريات عنده تطوي ضفاف الحياة ، غير أن رياح الأسى ما لبثت أن داعبت الشراع وسط قرع الحديد وجر القيود في حركة مضطربة ومتواصلة وأصوات مدوّية من أثر السّياط ، فكانت ذكريات الشاعر حِزَماً متراكمة ، نتاجها عذابٌ وذلٌ ومهانةٌ .

ومع كل ذلك ، فإنه لم ييأس من روح الله ، فهو يتضرع بالدعاء إلى الخالق عز وجل بأن يرحم أصحاب هذه المشاهد ويلحق اللعنات بالطغاة الماردين الغواةِ المعاندين الذين لا يعون الحكمة فتردعهم ، ولا يتصوّرون الرشد فيكفهم النصح ويمنعهم
ثمّ يواصل يوسف العظم النص فيقول :

أخي لا تبالي بكيد الطغاة ** ولو جرّعوك كؤوس الرّدى

ولا تبتئس من صنيع العبيد ** صغار النفوس مطايا العدى

غداً يبزغ النور فجراً جديداً ** ونرجع يجمعنا المنتدى

أخي سجنكم خلوة للصلاة ** وأمّا الشّهادة فهي المنى[1].

بدأ الشاعر بالنّداء والنهي وهو المَعْلَمُ الثاني من قوة التوجيه الطلبي ، فهو يختص بإدخال الشاعر صيغة (النهي) على السردية الخبرية مرّة بعد أخرى ؛ لداعٍ يتجاوز الدلالة الأصلية لصيغة النهي ، فالنهيُ هو " طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على سبيل الاستعلاء والإلزام الواجب "[2] ، كما يفيد النهي أغراضاً أخرى كالالتماس ، والتمني ، والنصح والإرشاد، والتوبيخ ، والتحقير ، والتيئيس .

والشاعر من خلال النداء والنهي يتوجه بالنصح والإرشاد لمخاطبه لكي يتحلّى بالصبر والثبات أمام الجبروت والتسلّط والاستهتار بآدمية الإنسان الذي أكرمه ربّه ، يقول : ولو أذاقوك صنوف العذاب لا تبالِ ولا تهتم ما دمت على الحق وما دام

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 426 .

[2] مختصر المعاني : سعد الدين التفتزاني ، تح ، محمد محي الدين ، مكتبة التصبيح ، د ت ، القاهرة ، ج 2 ، ص 110 .

شعورك وطنياً حيّاً ونابضاً بحرارة الإيمان وصدقه ،فلا تجعل لليأسِ طريقاً إلى مشاعرك ، وهي دعوة للتعايش مع الواقع مهما كان أليماً ومرّاً .

ويستمر في توجيه النهي باستعمال الرمز (العبيد) وهو إسقاط على ما يمارسه الطغاة ضد الرعية ، ولما يفعلونه لأسيادهم الحالمين بالسلام مع اليهود ، فأحلامهم هراء ، بل هي ضرب تنجيم وادعاء ، وتكمن أهمية الرموز فى حمولتها الإيحائية التي تصلح لكثير من أوجه التعبير عن الحاضر باستحضار الماضي ، فيصبح الرمز ذا فاعلية نصيَة ، مزدوجة ففي الوقت الذى يربط فيه النص بذاكرته الثقافية ، فهو ينغرس في لحظته التاريخية فيغدو التراث " قوة كامنة تربط عمل الشاعر بأعمال أسلافه ، باعتبار الانسان قيمة ثقافية ونفسية وثيقة الصلة بصور الماضي ونماذجه العليا فإن حقائق الواقع تفوقه فاعلية وتأثراً باعتبار هذه الحقائق أول ما تصادفه حواس الإنسان وأبرز العوامل التي يحتك بها احتكاكاً مباشراً " [1].

وفي وصفه : (صغار النفوس – مطايا العدى) لعله من الطبيعي أن يظهَرَ أُناسٌ يتشدقون بالوطنية والولاء لذلك المجتمع ، وهم – في حقيقة الأمر – من يسْعَون لخرابه وقتله ذلك لأنهم مسكونون بالخذلان ، فإذا ما ناداهم الوطن طالباً مساعدتهم وعونهم أداروا له ظهورهم وخذلوه أمام الجميع ، وهذا ما نتج عنه ضياع القيم العربية كالنخوة والنجدة ، ونجدة الملهوف عند العرب من ألصق سماتهم بهم حتى وإن كان غريباً ، فكيف الأمر إذا كانت هذه النجدة لأخ قريب ؟ .

ومع كل ذلك فإنه مستبشر بما هو قادم فيقول :(غداً سيبزغ النور فجراً جديداً) ، هي بشارة بالنصر الذي يأتي مع الصبر ، وكلٌّ كربةٍ يعقبها فرجٌ ، وإن مع العسر يسرا وهو جدٌّ متفائل ، فكما كانت الانتصارات في معارك خالدة سجلتها ذاكرة التاريخ ، فإن نور الفجر سيبزغ من جديد من جرح غائر ينبثق منه النُّور ، فينسخ ظلمة الليل ويمضي رويداً في دحر الظلام .

وَيَحِنُّ الشاعر إلى ذكرياته الماضية في المنتدى على أمل أن يلتقي مجدداً مع أحبته ورفاقه في الدرب ، ثم يعيد النداء بالترغيب في اغتنام الفرصة ؛ ليخلُوَ السجين

---

[1] الرمز والرمزية في الشعر المعاصر : محمد فتوحي أحمد ، دار المعارف القاهرة ط 2 ، 1987 م ، ص 325 .

إلـى مناجـاة ربـه فـي الصـلاة علّـه يجـد مـا يـريح بـه تفكيـرَهُ ، فـإذا مـا انقضـى الأجـل بالممـات ، فـذلك مـا يبتغيـه وهـو الشـهادة فـي سـبيل الله ، ومـا يلاحـظ علـى غالبيـة أبيـات الـنص أنهـا بأسـلوب إنشـائي جـاء بغـرض النصـح والإرشـاد لمخاطبـهِ ، وبـالتحقير والتـوبيخ لأعدائه الظالمين .

ومن نص (أنا للقدسِ) يقول يوسف العظم :

يا سمـاء القـدسِ أمطريهـم لهيبـاً ** يا جبـال القـدس الشّهيـدةِ ميـدي

واصنعـــي الفتـــح يـا كتائـب فتـــح ** وأعيـــــدي رايـات بـــدرٍ أعيـــــدي

فشعـــارُ الشعـــوبِ دونَ مـــراءٍ ** لا يَفُـــــلُّ الحديـدَ غيْـــرُ الحديـدِ[1] .

إن سياسـات العـدو لـم تـنجح فـي إثنـاءِ الشـعب الفلسـطيني عـن المطالبـة بحقّـه أو الثبـات علـى أرضـه ، بـل بـالعكس ، فـإن سـنيناً طويلـة مـن المعانـاة والتشـريد والإذلال ، قـد فجّـرت الانتفاضـة الكبـرى علـى أرض فلسـطين ؛ لتبـرز أحـد أنبـل وأشـرف ظـواهر الصـمود والمقاومـة فـي التـاريخ الحـديث ، ولأجـل ذلـك فإنـه صـاغ النـداء والأمـر معـاً بقولـــه : (يـا سـماء القـدس أمطـريهم لهيبـاً) واللفـظ مـن قولـه تعـالى : ﴿ **وَأَمْطَرْنَـا عَلَـيْهِمْ مَطَـرًا فَسَـاءَ مَطَـرُ الْمُنْـذَرِينَ** ﴾ [2] وفـي النـداءين اسـتعارة ، والنـداء فـي حقيقتـه موجّـهٌ لشـباب القـدس ورجالهـا ، بـل ونسـائها وجمـيعهم ضـربوا أروع الأمثـال فـي الصـمود أمـام غطرسـة المسـتعمرين ، وإذ يخاطـب ذلـك الشـباب الواعـد ؛ فإنـه يحفّـزُهُ ليصـبّ جـامّ غضـبه لهيبـاً يتفجّـر مـن أزيـز الرصـاص ، ثـم ينتقـل مـن النـداء إلـى الأمـر ويوجـه الأمـر إلـى (حركـة فـتح) [3] ، بـأن يصـنع شـبابها الانتصـار ، فـي استحضـارِ الـذاكرة وإحالـة ذهـن المتلقـي لفـتح (مكـة) المبـين ، وقـد نزلـت سـورة الفـتح تعظيمـاً لـذلك الحـدث الجلـل ، كمـا لـم يفتـه

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 34 .

[2] سورة الشعراء : الآية 173 .

[3] (حركة فتح) منظمة فدائية وطنية انبثقت من منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات ، بدأت عملياتها العسكرية منذ مطلع عام 1965 م ،. ينظر : فلسطين (سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية) د . محسن محمد صالح ، كوالالمبور ، ماليزيا ، ط 1 ، 2002 م ، ج 1 ، ص 163 .

أن يـذَكّرَ بالانتصـار العظـيم فـي معركـة (بـدر الكبـرى) [1] ، وهـي المعركـة التـي أعـز الله بهـا الإسـلام ، وأهلـك بهـا رؤوس الكفـر اللئـام ، والشـاعر إذ يستحضـر تلـك المشـاهد الخالـدة ، فإنـه يتمنـى مـن الجيـل الحاضـر واللاحـق بـأن يسـلك دروب الأبطـال السـابقين ؛ ليكونوا خير خلف لأحسن سلف .

ومن نفس النص يقول :

أمـةَ المصحـفِ الطّهـورِ أفيقـي ** وبأغلـى ما يملـك الحـر جـودي

واكتبـي النّصـرَ بالدمـاءِ عزيزاً ** وارفعـي فـي الـورى لـواء الخلـود

فشبـاب الفـداء مـا عاد يرضـى ** بحديـثٍ أو خطبـــــةٍ أو نشيـدِ

ومـــداد الأقـلام نثـــراً وشعـــراً ** لا يسـاوي تكبيـرةً من شهيـــدِ [2] .

يتوجـه الشـاعر بالنـداء مرفقـاً بـالأمر إلـى أمـة الإسـلام التـي شـرّفها الله تعـالى بـأن جعلهـا خيـر أمـة أخرجـت للنـاس ، فكانـت ولا تـزال صـفوة الأمـم مـن حيـث التشـريع وصـفاء العقيـدة فهـي قائمـة علـى الحـق ، وإن المعـارك التـي سـجّلها التـاريخ كثيـرة تلـك التـي تمخّضـت عنهـا تغييـرات شـاملة ذات نتـائج خطيـرة ، وتبقـى معـارك الإسـلام مـن أهمهـا وأشـهرها ، فمفهـوم الجهـاد واضـح المعنـى والهـدف ، فيـا أمـة الاسـلام أفيقـي مـن السُّـبات العميـق وجـودي بالغـالي والنفـيس ؛ ليكـون النصـر هـو الرمـز والهـدف الـذي مـن أجلـه تكـافح الشـعوب ، قـال تعـالى : ﴿ **مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ رِجَـالٌ صَـدَقُوا مَـا عَاهَـدُوا اللَّـهَ عَلَيْـهِ** ﴾ [3] ، يلاحـظ اسـتخدامه أسـلوب النـداء بملازمـة ثلاثـة أفعـال أمـر (أفيقـي ــ اكتبي ـ وارفعي)

---

[1] (بدر) ماء على ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة في طريق مكة ، وهو المكان الذي وقعت فيه المعركة ، ينظر : الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبد المنعم الحميري ، تح ، إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط 2 ، 1980 م ، ج 1 ، ص 84 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 35 .

[3] سورة الأحزاب : الآية 23 .

الخلاصة : إن الحشد من الأفعال والاستعارات دلالة على الحرص والغيرة التي حركت وجدانَهُ ، فأمر بأن يُكْتَبَ النصرُ بالدماء ولا سبيل إلى النصر بغير ذلك ؛ لتبقى الأمة خالدة كما كانت في سابق العصور ، كما أنه يدرك أن الخُطَبَ والكلامَ بنثرهِ وشعرهِ والأناشيد الرنانة لا ولم ولن تجْدِيَ نفعاً ولا تردّ كيدَ الأعداء ، وكما قال في النص : (لا يفلُّ الحديدَ غيرُ الحديدِ) .

المبحث الثالـــــث

القصـــــــــــص :

تقديـم :

إذا كـان الأدب هـو الصـورة الراقيـة فـي سـجل الحيـاة المكتـوب ، فـإن العمـل علـى تأريخ ظاهرة أدبية هو الفعل الأهم الذي يعكس رقي ذلك الأدب .

والقصـص فـي عمومـه : فـنٌ مـن فنـون الأدب تحتاجـه الـنفس للتـرويح والتخفيـف مـن أعبـاء الحيـاة اليوميـة بمـا يتضـمنه مـن تثقيـفٍ للعقـل ، وتهـذيبٍ للخُلـق بالحكمـة والموعظـة الحسـنة ، فتكـون القصـة سـرد لأحـداث مختلفـة ويوميـة متكـررة مـع الإنسـان ، وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث وإثارة اهتمام المتلقي أو المستمع .

والقصـة " تـروى خبـراً ولـيس كـل خبـرٍ قصّـة مـا لـم تتـوافر فيـه خصـائص معينـة مثل أن يكون له أثر ، أو معنى كلّي ، وأن تتصل تفاصيله بعضها ببعض " [1] .

وقـد تحمـل القصـيدة الشـعرية قصـة كاملـة تحكـي حـدثاً أو مجموعـة أحـداث، ويفتـرض فيهـا التركيـز والاختصـار ، والبعـد عـن التفصـيل والتحليـل فـي عـرض الأحـداث ، وصـولاً إلـى النهايـة المرسـومة لهـا فـي خيـال الشـاعر ، وهـذه القواعـد التركيبيـة للقصـة الشعرية أخرجتها من أسلوب القصة النثرية [2]

إن مـا يقـال عـن مفهـوم القصـص الشـعري فـي عصـر مـا قبـل الإسـلام والعصـور التـي تليـه ، بالتأكيـد يكـون مختلفـاً عمّـا يقـال عـن مفهومـه فـي الـزمن الحاضـر ، وبـذلك يكـون تعريـف القصـة الشـعرية مرتبطـاً بـالظرف التـاريخي الـذي نشـأ فيـه هـذا الـنمط الشـعري

---

[1] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة ، كامل المهندس ، ص 289 .

[2] ينظر : القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي : د بشرى الخطيب ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ط 1 ، 1990 م ، ص 54 ـ 55 .

أي أن التعريف متحرك من مرحلة تاريخية لأخرى ، ويرى (أنيس الخوري)[1] " أن القصة الشعرية لم تصبح باباً من أبواب الشعر إلا بعد احتكاكنا بالأدب الغربي " [2].

ويمكن التمييز بين مرحلة وأخرى بحسب الظاهرة المميزة التي اتسمت بها القصائد الشعرية لتلك المرحلة ، فكانت القصيدة في الأدب العربي القديم تحوي قطعاً (درامية) ، إلا أنها تكون غير مقصودة لذاتها في بعض الأحيان ، إذ تأتي في تركيب القصيدة كما في معظم قصائد الجاهلية ، وتأتي أيضاً جزءًا من بناء القصيدة أو قصة عارضة للتفاخر وغير مقصودة كما في قصص الحروب الجاهلية ، وذكر أيام العرب، وقصص الحيوان ، التي وظفت لأغراض الرثاء وأحياناً للمديح ، وهي قصص استطراديه تشبيهية يسودها طابع الوصف [3] ، ثم ظهرت قصص الغزل في الشعر الأموي والعباسي فضلاً عن موضوعات كثيرة نسجت حولها القصص في الشعر العربي لا يتسع المجال لها ، أما في مطلع القرن العشرين حتى أواخر الثلاثينيات ، فقد سار شعراء (جماعة أبولّو) [4] (والرابطة القلمية) [5] على نهج التجديد والتأثر بالمدارس الغربية ، وهم أدباء جمعت بينهم الغربة خارج أوطانهم ، فصدر عنهم أدب يسمى أدب المهجر ، وقد عدّت القصة الشعرية عندهم ظاهرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكثير من سماتها ، إذ وظّفَ هؤلاء الشعراء ملكاتهم الشعرية متأثرين بالمذهب الرومانتيكي .

---

[1] هو : أنيس الخوري المقدسي : كاتب وشاعر وباحث لبناني ، من مؤلفاته : تطور الأساليب النثرية في الادب العربي ، وأمراء الشعر في العصر العباسي ، والاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ...ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 2 ص 29 ، ومعجم المؤلفين : عمر كحالة ، ج 3 ، ص 24 .

[2] الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث : أنيس الخوري المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 2 ، 1960 م ، ص 391 .

[3] ينظر : المصدر السابق : ص 75 ـ 85 ، وما بعدها .

[4] جماعة أبولّو : اسم لجماعة من الشعراء أسسها أحمد زكي أبوشادي بمصر ، ترى الشعر شعراً في أية لغة بأحاسيسه وخيالاته وحقائقه وأسهم فيها شعراء منهم أبوالقاسم الشابي ، ولكن لم يقدر لها النجاح لكثرة المناهضين لها ...ينظر : المعجم المفصل في الأدب : أحمد محمد التونجي : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1419 هـ ، 1999 م ، ج 1 ، ص 28 .

[5] الرابطة القلمية تأسست في أمريكا 1920 م ، جمعت بين شعراء المهجر في الشمال أمريكا ومنهم : جبران خليل جبران ، نسيب عريضة ، الامين الريحاني ميخائيل نعيمة ، وإيليا أوماضي وفي الجنوب البرازيل، ومنهم : شفيق المعلوف وأخويه ، وسليم الخوري وشقيقه ، وإلياس فرحات وغيرهم ، أما عن شعر المهجر فإنه يتسم بالرومانسية ويتجه إلى العاطفية ..ينظر : تطور الأدب الحديث في مصر : أحمد عبد المقصود هيكل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 6 ، 1994 م ، ص 304 .

كانت تلك لمحة موجزة جداً عن مراحل تطور الشعر القصصي في الشعر العربي عبر العصور، أما الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم ، فقد احتوت على بعض القصص ومنها نص (فلسطينية ... تروي قصّتها في بيروت) يقول الشاعر على لسانها :

ذبحوني من وريد لوريد ** وسقوني المرّ في كل صعيد

مزّقوا زوجي فلم أعبأ بهم ** ومضوا نحو صغيري ووحيدي

غرسوا الحربة في أحشائه ** فغدا التكبير أصداء نشيدي

دمّروا بيتي وهل بيتي هنا ** إنّ بيتي خلف هاتيك الحدودِ[1].

شاركت المرأة الفلسطينية في الثورات والانتفاضات الوطنية منذ بداية الاحتلال، وكان يقتصر دورها آنذاك على تقديم ما تملك من حلي ومجوهرات ؛ للمساهمة في شراء السلاح للمقاتلين ، أو المساعدة في معرفة تحركات العدو ، ومع تطور الظروف وتصاعد توتر الأوضاع ، لا سيّما بعد النكبة انخرطت المرأة الفلسطينية ؛ لتمارس دورها على مختلف الأصعدة الوطنية والثقافية ، واستطاعت أن تسهم مساهمة فعّالة إلى جانب أخيها الرجل ، فأثبتت الكفاءة وعبّرت عن آمال وتطلّعات شعبها معايشة للظروف المحيطة به [2] .

الأبيات السابقة تحكي جزئية صغيرة مما حدث ويحدث يومياً في باحة الأقصى والمدن المحتلة المجاورة له، قصة حزينة ومؤلمة لامرأة فقدت زوجها أمام أعينها ، أيُّ حقدٍ ؟ أيُّ بغض يسكن قلوب الجبابرة الآثمين ؟ ، لقد استخدم الشاعر ألفاظاً كوّنت في مجملها قصّة من الواقع اليومي المعيش وأحداثه الدموية يذكّر من خلالها الغافلين والمتناسين قدسية أرضهم ووطنهم السليب (ذبحوني ـــ من وريد لوريد ـــ مزّقوا زوجي ـــ ومضوا نحو صغيري...) وبالرغم من ذلك ، فإنها صابرة ومحتسبة ، وتتلاحق الصور في استمرار يحيل ذهن المتلقي لمتابعتها بمزيد من

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 124 .

[2] ينظر: المرأة العربية الواقع والتطلعات : مي الصّايغ ، مجلة النهج ، عدد 41 ، 1995 م ، ص 107 .

الدهشة والاستغراب وبشيءٍ من التأمل والتفكير ، لا سيّما عندما مضوا بالطفل الصغير وأجهزوا عليه ليلتحق بركب الشهداء أمام مرآى ومسمع أمّه ، إنها صورة غاية في الحزن ، وتزداد الصورة أكثر إيلاماً في مشهد غرس الحربة في أحشاء الطفل ، وهذا الموقف يذكّر بأفعال الجاهلية ، كما حدث مع حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ في غزوة بدر الكبرى ، ومع بشاعة المشهد إلا أن إيمانها لم يتزعزع ولم تخر عزيمتها فرددت اسم الله الأعظم وكان نشيدها على الدوام .

وفي البيت الرابع استفهام توكد المرأة من خلاله أن كل بيت في فلسطين هو بيتها ، لقد كان حجم الدمار هائلاً وكانت درجة تمزيق النسيج الاجتماعي والاقتصادي في الأرض المحتلة يفوق التصور ، فالأهل مهجرون خارج المدن في مخيمات تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة الكريمة ، وتمنع وسائل الإعلام من الاطلاع على حقيقة ما يجري فيها ، وتجيب عن الاستفهام فتقول : إن بيتي خلف الحدود في دلالة على أن كل الأراضي محتلة ، ثم يواصل الشاعر سرد القصة على لسان المرأة ، فيقول :

وتلفّتُّ فلم أعثر على ** غير أبناء الأفاعي والقرود

أين نفط العرب؟ مذخوراً لمن ؟ ** أين أبناء الحمى درع الصمود ؟

ذبحوني من وريدٍ لوريد ** غير أنّي لم أطأطئ ليهود

ودمي سال على تلك الربى ** ينثر العطر على حمر الورود [1].

قتلوا زوجها وابنها الوحيد ، ولم يبق أمامها من هذا المشهد غير أولئك الذين وصفتهم بالأفاعي والقرود .

وهي تصرخ مذعورة ، وتتساءل أين النفط ؟ ومن وجهة نظر الباحث هل هذا التساؤل موضعه هنا بين الأبيات ؟ أو في مكان أخر من الأبيات ؟ النفط مدّخَرٌ لمن ؟ وخرج الاستفهام هنا إلى التهديد والوعيد أكد على ذلك قوله : (أبناء الحمى درع الصمود) فهم من يتولّون أمر تحرير النفط ، وفي استفهامها إشارة إلى سخط المرأة ورفضها الواقع ، كما يتضمن دعوة لا تكتفي من خلالها بالرفض فحسب ،

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 124 .

بل تطلب الثورة على ذلك الواقع بالانتفاضة للتعبير عن الرفض ، وهذا الذي يجب أن يجيب عنه السّاسة والحكّام والأمراء المسؤولون عن الرعية ، ولكن ربما كان هذا التساؤل من أثر حالة الاضطراب المفجعة ، ثم تنادي أين شباب الأمة ؟ علّها تجد من يأخذ بثأرها ويشفي غليلها ولسان حالها يردد قولها : ذبحوني من وريد لوريد ، ولكنها صامدة صمود الجبال الرواسي ، ورابطة الجأش لم تخنع ولم تستسلم لليهود ، وفي قولها : ودمي سال على تلك الربى ، كناية على كثرة الشهداء الذين ارتوت بدمائهم الأرض ، فكل وردة نبتت في تلك الربى ، قد ارتوت من الدماء الطاهرة الزكية .

لقد وعتْ تلك المرأة جمود العالم من حولها ، ووعتْ بُعْدَ همّتها ومضاء عزيمتها ، فتجلّى لها التباين مع الآخرين في اهتماماتهم وهمّتهم عندما التفتت فلم تجد غير أبناء الأفاعي والقرود ، فتسامت بذاتها وتعاظمت بها على غيرها بتحطيم حاجز الخوف وباحتقار واستصغار ، أيّ قوة يمكن أن تقف حجر عثرة في طريقها حاجزاً أو مانعاً يمنعها من الانطلاق والمضي فيما تعتزم القيام به ؟ ولما كانت نفسها ترفض الإقرار بالواقع والتسليم بالمفروض ، تحددت رؤاها في السعي إلى ما تصبو إليه ، وما يحفزها على ذلك شدة الألم والحزن من الواقع اليومي المعيش الذي تراه متجسّدا من حولها ، فأرادت الارتقاء إلى حياة أكثر إنتاجاً وفاعلية ، فإما النصر أو الشهادة لتلحق بركب الشهداء ومنهم زوجها وابنها ، ثمّ يواصل الشاعر فيقول :

ولغ الغاصب في أشلائنا ** غير أنّا لم نَزلْ سمر الزنود

قل لمن يلهث في غفلته ** ينشد السلمَ تمتع بالصديد

إنَّ في (يافا) مواعيد لنا ** وربى القدس لنا بيت القصيد

وعلى شطآن (حيفا) موعدٌ ** كيف ننسى في الحمى خضر الوعود؟

ذبحونـي مـن وريـد لوريـد ** ودمـي يجتـاح أحقـاد اليهـود ! [1] .

يواصـل الشـاعر القصـص ويبـدأ هنـا بالفعـلٍ الماضـي (ولـغ) وهـو المناسـب لوصـف اليهـود المحتلـين ، [2] وفـي الحـديث قولـهﷺ " إذا ولـغ الكلـب فـي الإنـاء فاغسلوه سبع مرات وعفروه الثامنة في التراب " [3] .

ووصـف اليهـود بهـذا ، إنمـا هـو دلالـة واضـحة علـى أن فعلهـم كفعـل الكـلاب أو السـبع بأشـلاء الفريسـة ، وهـم غيـر متـورعين عـن أفعـالهم الدنيئـة ، وفـي المقابـل يرسـم الشـاعر مـن غـرض الفخـر صـورة تنبيـئ بالتفـاؤل والأمـل بـأن هنـاك مـن يقـارع تلـك القـوة الظالمـة وهـم (سـمر الزنـود) وهـو وصـفٌ يعبـر بـه مجـازاً عـن البطولـة والفتـوّة التـي تواجـه الأعداء .

ثـم يوجـه الخطـاب إلـى مـن يلهـث وراء السـراب ، أو مـا يسـمى السـلام المزيـف مـع العـدو ، وهـو يـرى فـي المذلـة والخنـوع انتصـاراً لـه ، وقـد أجـاد الشـاعر الوصـف ، فالـذي يلهـث هـو الكلـب وحـريٌ بمـن يسـتجدي العـدو ويبيـع وطنـه أو يتعـاون معـه بـأن يكـون وصـفه بهـذا الوصـف ، قـال تعـالى : ﴿ **كَمَثَـلِ الْكَلْـبِ إِنْ تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَـثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَـثْ ذَلِـكَ مَثَـلُ الْقَـوْمِ الَّـذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَاتِنَـا فَاقْصُـصِ الْقَصَـصَ لَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّـرُونَ** ﴾ [4] ، والـذين اسـتجْدُوا العـدو وارتمـوا فـي أحضـانه كانـت النتيجـة أن اسـتحوذ علـى خيـرات أوطـانهم ، وضـرب رقـابهم الـذل والخنـوع وهـو الصـديد الـذي أشـار إليـه الشـاعر ، ومـن هنـا كانـت ولا تـزال الـدعوة مسـتمرة من أجل تحطيم قيود الذل والانحطاط واحتلال المركز اللائق بين أمم العالم .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 124 .

[2] " الولغ شرب السباع بألسنتها يقال: ولغ الكلب والسبع ، وولغ الكلب في الإناء يلغُ ولوغاً ، أي شرب فيه بأطراف لسانه ، ويقال: أولغتَ الكلبَ إذا جعلت له ماءً أو شيئاً يولغ فيه " لسان العرب : ابن منظور ، ج 8 ، ص 460 ، (ولغ) .

[3] صحيح مسلم : ج 1 ، ص 235 (حكم ولوغ الكلب) .

[4] سورة الأعراف : الآية 176 .

ينتقل الشاعر لذكر مدن في فلسطين مثل : (يافا وحيفا) ويصور الربى والشطآن ، وفي ذلك دليل على الارتباط والتعلق ووحدة المكان وقدسيته ، فمشاعر الشاعر اختلطت بهذه الأماكن وغيرها في الوطن المحتل وامتدحها ؛ لدورها البارز في النضال والمواجهة فهو منها وإليها ، والتعلق بها ليس تعلّقاً بالأهل والذكريات الممزوجة بالدفء والأمان والقيم الإنسانية النبيلة فحسب ، بل هو ممزوجٌ بالألم والعنف والحقد على الواقع ، وتأكيد على ما سبق فإنه تساءل في استغراب فقال : كيف ننسى في الحمى خضر الوعود ؟ وفي ذلك كناية عن أصحاب النوايا الصادقة الثابتين على العهد ، وهو تذييل مستقل يجري مجرى المثل، ويختم كما في كل مرة (ذبحوني من وريد لوريد) تنبيهاً منه لشناعة الفعل من قبل المحتل وتذكيراً ونصحاً وإرشاداً للخطر المحدق بأمة الإسلام ومقدساتهم .

ثم يواصل النص فيقول :

قل لمن يحسب أنّا أمةٌ ** أنكرت أمجاد(سعدٍ)[1](والوليدِ)[2]
نحن شعبٌ لم يَعُدْ يخشى الرّدى ** أو يبالي برصاصٍ أو حديد

قطع العهد وفي أعماقه ** دعوة التوحيد والدين الرشيد

كلّما أطْفِئَ منّا قبسٌ ** أشرق القرآن بالفجر الجديد[3].

بالرغم من كل الآلام والأوجاع التي اعترت الشاعر في واقعه المعيش والتي أشار إليها في مستهل النص ، فإنه استدرك ورجع بالذاكرة إلى ماضي الأمة المجيد مع إشراقة نور الإسلام والفتوحات الإسلامية ، فيذكر الأبطال الذين رفعوا مشعل الإسلام في المشرق والمغرب ، ثم يثني على الشعب الذي يواجه الآلة الحربية الصهيونية ، وقد قطع العهد على مواصلة الكفاح دون مبالاة في مواجهة العدو المدجج بأنواع الأسلحة

---

[1] هو: سعد بن أبي وقاص بن مالك بن وهيب ويكنّى أبا اسحاق ، أحد العشرة سادات الصحابة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى ﷺ وهو راضٍ عنهم ينظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ت 630 هـ ، تح ، علي أحمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1415 هـ ، 1994 م ، ج 2 ، ص 452 .

[2] هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أحد أشراف قريش في الجاهلية ، هاجر بعد الحديبية وقبل خيبر في ذي القعدة سنة 6 هـ . ينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير : ج 1 ، ص 312 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 124 .

المختلفة متّخِذاً الشريعة السمحاء منهجاً ودليلاً ، فقبس الإيمان يتجدد بنور القرآن في تجدد مستمر ، ويواصل فيقول :

قد رجعنا راية زاحفة ** بعد أيام ضياعٍ وشُرود

ومضينا نحو آفاق العلى ** يُسْلِمُ الراية جدٌّ لحفيد

إنها الجنةُ تبغي ثمناً ** عزَّ إلا مِنْ شرايين الشهيد [1] .

يؤكد الشاعر على ما سبق وينتقل بالالتفات من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل ، والالتفات أسلوب من أساليب العرب وعادة من عاداتهم ، والشاعر يحذوه أملٌ وتفاؤل ، فمن حالة الضياع والشرود إلى المضي قدماً نحو آفاق العلى براية خفّاقة ، وهو يصور المسؤوليات الجسام التي يحملها جيل ويسلّمها للجيل الذي يليه ، وفي ذلك التصوير كناية عن الشهداء الذين يُزَفُّون إلى بارئهم في كل يوم إلى جنّات الخلد التي لا يقدر شرفها وقيمتها إلا من أرادها بالاستشهاد في سبيله جلّ وعلا ، وفي كل ذلك استنهاض للهمم وتحريضٌ على التمسك بالقضية .

وقد أوحى إليه خياله أن تحطّ به طائرة الاغتراب في بلدٍ بعيد ؛ لتجود قريحته بقصيدة أو دفقة شعرية يصف أو يحاكي بلداً من البلدان أو يسبر أغوار نفسٍ إنسانية ، وبذلك يرسم لوحات متعددة الأطر ومختلفة الألوان وتكون قد تعلّقت بسمو العقيدة وقدسية الديار ؛ ليعود إلى بلده حيث الدفء ولقاء الأحبة ، وقد ازداد إيمانه بعظمة الخالق وخلود رسالته .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 124 .

التقديم السابق كان ملخصاً لمقدمة وضع لها الشاعر عنواناً (قصائد في بلاد الغربة) يحكى قصته عند زيارته (قصر الحمراء) [1] في غرناطة بالأندلس ، فكان العنوان الرئيس للنص (البحث عن عنوان في شرفات قصر الحمراء) فيقول :

عشقت أندلسا قبل الرحيل لها ** والأذن تعشق قبل العين أحيانا

حتى وقفت على الحمراء أسألـــه ** علِّي أرى في رحاب القصر خلاّنا

فلم أجد (طارقاً)[2] يزهو بلامته ** ولم أجد في سرير الملك(مروانا) [3].

ولم أشاهد سوى آثار قرطبـــة ** وغير غرناطة بالصمت تلقانا[4].

الأندلس تلك البقعة الإسبانية الواعدة إذ التقى الشرق والغرب للمرة الأولى في تاريخ العرب التقاء تعايش وتمازج ، فكانت نتيجته تأثيرٌ متبادل في الأخلاق والأذواق ، والمرء مسوق بحكم طبعه إلى التكيف مع البيئة وعواملها ، وكل ما في الأندلس من مباهج وفتنة يدعو إلى هذا السبيل ، فأخذ العرب بهذه الحياة وتفنّنوا في إظهارها وطرقها فكان من ذلك تلطف في الأذواق وتراخٍ في التقاليد ، وإن جمال الطبيعة الأندلسية وتنوع الأصول في المجتمع الأندلسي هو ما جعلها قبلة الزائرين من المشرق والمغرب ، ووصل الشاعر موضوع الدراسة إلى قصر الحمراء ، لكنه لم يجد الأندلس كما كان في سابق عهده زمن الفتح الإسلامي ، وقبل أن يسيطر عليه الإسبان .

---

[1] قصر الحمراء أو (قلعة آل الحمراء) في غرناطة بالأندلس ، حالياً موقع تابع لمنظمة اليونسكو ، تم إدراجه عام 1994 م ، كموقع تراثي عالمي ، وربما يكون أحد أشهر أمثلة الفن الاسلامي ، إذ لا توجد هندسة معمارية لقصر في العالم مثل قصر الحمراء ، بني عام 8 هـ ، وتتبثق تصاميمه من منابع إسلامية أصيلة ، ينظر : قصة الحضارة : ويليام جيمس دبورانت ، تقديم ، محيي الدين صابر ، ترجمة ، زكي نجيب محمود ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1408 هـ ، 1988 م ، ج 13 ، ص 329 .

[2] هو طارق بن زياد دخل الأندلس مع اثني عشر ألف مقاتل ، عبر عليها من طنجة وغزا طليطلة ، في ولاية الوليد بن عبيد الملك ينظر : تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1407 هـ ، ج 4 ، ص 11 .

[3] هو مروان بن عبد الملك بن أبي حمزة ، سمع من أبيه ورحل إلى قرطبة له قصة مع أبي الحسن البرجمي في إحراق كتب أبي حامد الغزالي ، ينظر : التكملة لكتاب الصلة : محمد بن أبي بكر البلنسي (ابن الأبار) ت 658 هـ ، تح ، عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة لبنان ، ط 1 ، 1415 هـ ، 1995 م ، ج 2 ، ص 184 .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 185 .

وفي سؤاله القصر استعارة رجعت به إلى الماضي وأحالته إلى تخيّل مشهد الآثار ورسم الديار ، فكم تمنى أن يجد إخوة له في الدين يتجاذب معهم أطراف الحديث، فلا طارق بن زياد ، ولا موسى بن نصير ، ولا مروان بن عبد الملك ، ولا دولة المنصور بن أبي عامر ، ولا المرابطين وغير ذلك كثير لم يسع المقام للذكر ، فلم يجد سوى آثار المدن المدمرة يخيم عليها الصمت ، واستمرّ في سرد القصة فقال :

ورحت أسأل في الحمراء فاتنة ** هل تعرفين لقومي اليوم عُنوانا؟

قالت : هُمْ في ضميرِ الغيبِ نرقبهم ** كانوا هداةً وكان الكون حيرانا

وهُمْ (وميض) [1] كحدّ السيف نحمله ** في الأعين النجل ألحاظاً وأجفانا

وهُمْ حدائقُ زهرٍ كلها عبقٌ ** تفوح في أرضنا ورداً وريحانا[2].

وصف الفتاة بالفاتنة كناية عن جمال أهل الأندلس سيّما وأنها في القصر لذلك كانت فاتنة ، وسؤاله ناتج عن دهشة واستغراب ، لكنه وجد إجابة صادقة تنبئ بما كان عليه قومه الذين اجتمعت فيهم الخصال العربية الأصيلة ، والفتاة أفصحت وأجمعت صفاتهم في قولها : (كانوا هداةً) ، ثم في تشبيهها (وهم ومضٌ كحدّ السيف) فهم نبراسٌ استمد ضوءه من تعاليم الإسلام السمحة ، وهم في صورة لمعان البرق الذي ينزل الغيث من أثره ، وهم في قوة حد السيف ، إنها من سلالة قومٍ عربٍ نجباء يشدها الحنين إليهم ، فحقّ لها أن تفتخر بهم وتضعهم بين الألحاظ والجفون ، وفي ذلك كناية عن المكانة السامية والقدر الرفيع والمحبة الصادقة التي تكنّها إليهم ، والملاحظ أن المشاعر والأحاسيس توحّدت وتطابقت بين الشاعر كاتب النص والفتاة ، وهم أيضاً في نظرها حدائق وبساتين يتضوع منها العطر، ويستمر الشاعر العظم في سرد الكلام على لسان الفتاة فقال :

---

[1] الومض والوميض من لمعان البرق ، وكل شيء صافي اللون ، وأومض له بعينه : أومأ ، لسان العرب ابن منظور ، ج 7 ، ص 262 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 185 .

وهـــم صـــــدى ردّد التـــاريخ عودتـــه ** يرتلـون بسمـــع الكـــون قرآنـــا

هم علّمونـــا وكنـــا في ضلالتنـــا ** نهيم فـي ظلمـات الجهـل قطعانـا

تفجّر الدمـــــع في عيني يســـألُني ** متى نفجّـــر من حطّيـن بركانـا

حتى نعـود كمـــا كانت أوائلنـــا ** في السلم نـوراً وفـي الهيجاء نيـرانا؟[1].

مـاتزال دعـوة الإسـلام وهـدي القـرآن الكـريم يتـردد صـداهما فـي أرجـاء المعمـورة شـرقاً وغربـاً ، فالمبـادئ السـامية للـدعوة أرسـى دعائمهـا مـن جـاءوا بـالفتح المبـين وكُتِبَـتْ أسـماؤهم فـي صـفحات التـاريخ بمـدادٍ مـن ذهـب ، وكـانوا سـبباً فـي تزايـد عـدد المعتنقـين لهـذا الـدين الـذي نقـل البشـرية مـن الضـلال وظـلام الجهـل ، إلـى الهدايـة ونـور الحـق ، والشـاعر إذ سـمع منهـا مـا سـمع فإنّـه لـم يتمالـك نفسـه وانهالـت دموعـه وهـي تتسـاءل ، وفـي ذلـك اسـتعارة فـي مشـهدٍ ينبـئ بالتحسـر والأسـف علـى مـا كـان عليـه الواقـع ، ثـم تسـاءل بلهجـة الغيـور علـى وطـن كبيـر أصـبح دويـلات أمرهـا بيـد الغريـب ، فمتـى تعـود (معركـة حطـين) [2] إلـى الـذاكرة بثوبهـا القـديم ؟ يتفجـر منهـا بركـان بشـري غاضـب يسـحق المعتـدين علـى بيـت المقـدس ، والخلاصـة : إن هـذا الـنص مـزج بـين القصـص والحـوار وأحـال ذهـن المتلقـي للمقارنـة والتأمـل فـي ماضـي العـرب وحاضـرهم وإرشـاد الغافلين إلى الخطر المحدق بالأمة الإسلامية

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 185 .

[2] سميت بذلك نسبة إلى جبل حطين ، معركة كبيرة بين المسلمين والصليبيين ، 583 هـ ، 1187 م ، بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبي ،واستعاد فيها المسلمون بيت المقدس من دنس المغتصبين له ، وهي من المعارك الشهيرة في التاريخ . ينظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين الذهبي ت 748 هـ ، تح ، عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1413 هـ ، 1993 م ، ج 41 ، ص 18 .

المبحـــث الرابـــــع

الحـــــــــوار :

الحوار: " أصل الكلمة هي الحاء والواو والراء ، وهم ثلاثة أصول أحدهم لون والثاني الرجوع ، والثالث أن يدور الشيء دوراً ، ويعود أصل كلمة حوار إلى الحور وهو الرجوع عن الشيء " [1] .

والحـوار : " حـديثٌ بـين طـرفين أو أكثـر حـول قضـية معينـة ، الهـدف منهـا الوصـول إلـى الحقيقـة بعيـداً عـن الخصـومة والتعصـب ، ولا يشـترط فيهـا الحصـول علـى نتـائج فوريـة " [2] ، ومـن وجهـة نظـر الباحـث أن يلتقـي الحـوار والجـدل فـي كونهمـا حـديثٌ أو مناقشـة بـين طـرفين لكنهمـا يفترقـان كـذلك ؛ لأن كلمـة الحـوار أوسـع مـدلولاً مـن كلمـة الجـدل، فالثانيـة تتضـمن موضـوع الصـراع كمـا أن الحـوار غالبـاً مـا يـؤدي إلـى نتـائج مرضـية ، وملموسـة ، وإيجابيـة تعـود بـالنفع علـى المجتمـع كلـه ، بشـرط أن يكـون الحـوار بأسـلوب علمـي وحجـج منطقيـة ، وطريقـة يغلـب عليهـا الهـدوء ، ومبنيـة علـى التفاهم توصل إلى الحقيقة وهذه هي الغاية المرجوة .

وورد لفـظ الحـوار فـي محكـم التنزيـل فـي ثلاثـة مواضـع ، منهـا مـرتين فـي سـورة الكهـف قـال جـل وعـلا : ﴿ **فَقَـالَ لِصَـاحِبِهِ وَهُـوَ يُحَـاوِرُهُ أَنَـا أَكْثَـرُ مِنْـكَ مَـالًا وَأَعَـزُّ نَفَـرًا ـــــ قَـالَ لَـهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** ﴾ [3] وكـذلك فـي سـورة المجادلـة ، قولـه تعـالى : ﴿ **وَاللَّـهُ يَسْـمَعُ تَحَاوُرَكُمَـا** ﴾[4]، وفـي الشـعر العربـي كـثـيـر مـن الحـوارات جـاءت علـى ألسـنة الشـعراء قـديمًا وحـديثًا ، فـالحوار هـو ملمـح قصصـي يشـير إلـى وجـود النزعـة القصصـية لـدى الشـاعر الـذي نظـم

---

[1] معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، دار الفكر ، بيروت ، 1418 هـ ، ص 578 .

[2] فنون الحوار والإقناع : محمد راشد ، دار ابن حزم ، 1999 م ، ص 11 .

[3] سورة الكهف : الآية 34 ـ 37 .

[4] سورة المجادلة : الآية 1 .

مثل هذا الشعر ، ومال الشعراء إلى استخدام الحوار الذي يعتمد التجريد الذي يختلقه الشاعر ؛ ليؤكّد في نفسه صفة مشهورة [1] .

من خلال المفهوم الوارد أعلاه ، يلاحظ أن الحوار في الأدب هو الصوت الذي نسمعه ، فنشعر بأننا جزء من المتحاورين ، ونحسُّ بالحياة متحركة ومتدفقة من أعماق الشخصيات التي تدير أطراف الكلام .

وجاء الحوار في مختلف الموضوعات التي تتردد على ألسنة المتحاورين من الشعراء على مر العصور الأدبية ألى يومنا هذا من أجل جذب انتباه السامعين ، فعلى هذا الأساس كان الحوار الشعري موجوداً في شعر المعلّقات وإلى الوقت الحاضر .

وهذا نموذج من العصر الحديث على سيل المثال لا الحصر، وهو الحوار في قصيدة الشابي الموسومة (إرادة الحياة) وفيها استخدم أسلوب التشخيص مع الطبيعة ، فهو يستنطق الجمادات ، فيبعثُ إليها خطابه ويصوّرها كأنها ذات إرادة فيحدّثها ويحاورها وينـاجيها ويكلّمها وتكلّمه ويضيف إليها صفات الإنسان ، فتفعل فعله وليست كذلك في واقع الأمر، فقال :

كذلك قالت ليَ الكائنات ** وحدّثني روحها المستتر

وقالت ليَ الأرض لمّا سألت ** أيا أم هل تكرهين البشر ؟

سألت الدجى : هل تعيد الحياة ؟ ** لما أبذلته ربيع القمر

فلم تتكلم شفاه الظلام ** ولم تترنم عذاري السحر [2].

وهكذا ، فالحوار الناجح هو: " القائم على الأساليب المعبرة عن الشعور والعاطفة وترك العبارات التي لا قيمة لها " [3] ، ونستشفُّ من قراءة الأشعار أن الحوار ظاهرة تعبيرية مهمة يستفيد منها الشاعر في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه

---

[1] ينظر : عناصر القصة في الشعر العباسي : منتصر عبد القادر رفيق الغضنفري (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1413 هـ ، 1993 م ، ص 178 .

[2] التحرير الأدبي : حسين علي حسين ، مكتبة العبيكان ، ط 5 ، 1425 هـ ، 2004 م ، ج 1 ، ص 63

[3] الحوار في القصة والمسرحية : طه عبد الفتاح ، دار النشر للطباعة ، مصر ، 1975 م ، ص 10 .

وأفكاره إذا امتلك القدرة والقابلية على ربط النص بآخر ، وقد نجح كثيرٌ من الشعراء في الاستفادة من الحوار ومضامينه .

لقد تطوّر الحوار تطوّراً واضحاً في الشعر ، فبعد أن كانت النظرة التقليدية ترى أن من خصوصية الحوار أن يكون منطوقاً ، وأنه يجب أن يكون بين شخصين فأكثر ، فإن الدراسات الحديثة تشير إلى صيغٍ وأنماطٍ جديدة مثل الحديث الفردي الصامت ، بتأثير أسلوب يعرف بالسرد الذاتي ، وهو حديث تناجي به الشخصية نفسها دون تدخل الآخر وعدم افتراض أن هناك سامعاً ، وبصورة مناجاة خاصة متحررة من القيود الخارجية [1] ، وتكمن أهمية الحوار في الحاجة الضرورية لاستعماله اليومي ، فإذا كان المسلم يسعى لنشر دعوته من خلال وسائل وطرق ، فإن وسيلته الأولى المتقدمة هي الكلمة والحوار ؛ لأن الكلمة رسالة وأمانة في آنٍ واحد ، رسالة بمعنى يجب أن تقال وتُؤَدّى ، وأمانة بمعنى أن يراعى فيها كل ما من شأنه أن يفي بوصولها ، فالكلمة الطيّبة سلاح المومن في أداء رسالته النبيلة ، ويكفي شرفاً أن ورد في محكم التنزيل ، وللحوار صيغٌ وأشكال تتعلّق بالشخصيات المحاورة ، فصيغة النداء مثلاً لها علاقة متينة بالحوار ، وذلك لأنه قائم على تنبيه المخاطب وطلب مباشر من المقابل ، واتخاذه بعداً مكانياً يتمثل في مخاطبة القريب والبعيد ؛ " لأن الحوار حين يرتبط بالشخصية ، فإنه يدل عليها من حيث وضعها الاجتماعي " [2] ، ومن أمثلته : الحوار مع غير العاقل كحوار الطبيعة ، الليل ، النجوم ، القمر ، الجبل ، الوادي ...الخ .

والاستفهام أيضاً له قدرة جمالية على إدخال المتلقي في صميم الصورة فضلاً عن التساؤلات التي لا يجد لها جواباً في بعض الأحيان ، أما فضاء الحوار فقد يكون واسعاً فيحتل مساحة من شعر الشاعر، وأما إذا كان قصيراً لا يحتل إلا فضاءً قصيراً

---

[1] ينظر : تيار الوعي في الرواية الحديثة : روبرت همفري ، ترجمة محمد الربيعي ، دار المعارف ، مصر ط 2 ، د ت ، ص 42 .

[2] النقد التحليلي التطبيقي : عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 م ، ص 56 .

ومحدداً من شكل القصيدة ، وقد لا يتّسع إلا لبضعة أبيات أو بيتين ذلك " لأنه حوارٌ لا يخرج عن نطاق المساجلة الأدبية والفكرة المؤقّتة والتأثّر الذاتي " [1] .

وقد يحاور الشاعر نفسه ويسمى ذلك حواراً داخلياً يتمثل في محاورته لذاته المعنوية والحسّيّة ، وذلك لما لهما من علاقة بأحداث الحب والحزن وأعماق الشعور ، فكثيراً ما يلجأ الشاعر إلى هذا الحوار الذي له علاقة بخلجات النفس ، فيضطر إلى مخاطبتها ، إذ أن الحوار هو " صوت الشاعر وهو يتحدّثُ إلى نفسه ولا يتحدث إلى أحد " [2] ، وهذا الحوار مختلف عن حوار الأطراف الأخرى ، فالشاعر هو المتحدث الوحيد في إجراء المحاورة ، فهو يكشف عن صراع داخلي يعيشه من خلال البيئة أو الأحداث الجارية من حوله نتيجته قلق ويأس أو حزن عميق ، وقد يكون سعيداً في أحايين أخرى ، وقد يتحاور مع أصدقائه أو يحاور بعض الحيوانات أو عناصر الطبيعة ..الخ ، ويوسف العظم كغيره من الشعراء أخذ نصيبه في الشعر الذي المبني على الحوار ، ومن نص (فأيقنت أني رابحٌ في تجارتي) يقول :

يداعبني الأصحاب أنّي هجرتهم ** فقلت : اطمئنّوا إنّ قلبي خالي

وقلت لهم: إني أهيم بصحبةٍ ** تنادوا لإحسانٍ وحسن فعالِ

فقالوا : وهل تسلو جمالاً لغادةٍ ** تتيه بحسنٍ بارعٍ وجمالِ

فقلت لهم: إني أحب مروءة ** لدى صاحبٍ شهمٍ يروم وصالي[3].

في حواره مع أصحابه يدرك أن الصداقة المتينة تبنى على المودة والوفاء ، ومن خلالها تجد الصديق الوفي ، والعشير الكريم ، والقريب عند الشدائد ، وعند المصائب تُعْرَفُ الرجال ، فالصديق الوفي يكتمل فيه الخلُقُ والدين ، ومداعبة الأصحاب هي نوعٌ من العتاب ، وبهذه الصورة وجّهوا عتابهم له وظنّوا أنّه هجرهم ، ولكنه يطمئنهم ويزداد تمسّكاً بهم فلا يفارقهم في حلّهم وترحالهم ، فهو على تواصلٍ مستمر مع من وصف خصالهم الحسنة ، ولكنهم اختبروه في هذه الصحبة فيما إذا

---

[1] لمحات من الشعر القصصي في الشعر العربي : نوري حمودي القيسي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، مجلد 24 ، ص 133..

[2] مقالات في النقد الأدبي : ت س إليوت ، ترجمة ، لطفية الزيات ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، د ت ، ص 61 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 429 .

عُرِضت عليه فتاة حسناء ذات فتنة وجمال فهل ينجرّ وراءها ؟ وجاءت الإجابة سريعة بأنّه يترفّع عن مثل هذه الأمور ويتمنى من أصدقائه أن ينهجوا نهجه ، ثم يواصل الحوار فيقول :

فـــأيقنت أني رابحٌ في تجـــــارتي ** مع الصحب دوماً كي أشدّ رحالي

ولست أبـــالي أن أخوض معاركي ** بطعن رمـــــاحٍ أو بضرب نصالِ

وأيقنت أني رابـــحٌ غير خـــــاسرٍ ** إذا كان صحبي يكرمون نضـــالي

وقلت لصحبي : أبشروا يا أحبّتـــي ** لعـــلّ صديقاً أن ينـــــال نوالي [1] .

والربح في التجارة بما عمل فيه من مرضاة الله سبحانه ، مع نفسه أو مع عامة الناس ، وهو يدرك تماماً أن الذين حادوا عن طريق الهدى والحق قد خسروا في تجارتهم ، مصداقاً لقوله جل وعلا : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ** ﴾ [2] ، وبذلك فإنه يدعو لمسيرة رابحة في سبيل الله ؛ يشد فيها الرحال مع صحبة جمع بينهم الوفاء والصدق ، وقد يكون الحوار من طرف واحد ، كما في نص : (الفجر يطلع من جديد) يقول يوسف العظم :

يا ديـــار الشآم كنت مـــلاذاً ** لست أدري مـــاذا أصاب الشآما ؟

كانت الخيل في ربوعك تعـــدوا ** جـــامحاتُ لا تستسيغ اللّجـــــاما

فتبدّلت أنفســـاً ورجـــــالاً ** وتغيـــرت شرعـــة ونظامـــا

أين أضحى الوليد بعد جهـــــادٍ ** عبقـــريٍ ؟ وأيـــن نلقـــى هشـــاما؟[3].

عاد الشاعر بالذاكرة إلى الماضي ، واستخدم المقدمة الطللية في مخاطبة الديار ، وهي من معالم تجسيد الشاعر الجاهلي المهموم بحس الزمان والمكان والمرأة ، على اعتبار أن هذه الأسس الجمالية الثلاثة بالإضافة إلى البيئة ــ في مجموعها ــ هي المكون الرئيس للطلليّة الجاهلية ، وهي المعبرة عن المقومات الحضارية للمجتمع

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 429 .

[2] سورة البقرة : الآية 16 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 167 .

العربي ، ومع مر العصور حتى ظهور التجديد في الشعر ، أصبحت طقساً للقصيدة العربية بما تحمله من أبعاد جمالية [1] والمكونات التي استخدمها الشاعر تمثلت في (الديار ــ الخيل ــ الأبطال الأوائل) ، وهو يثني على تلك الديار التي كانت ملاذاً آمناً للخائفين والمستضعفين ، وحصناً حصيناً من أحداث الزمان ، أما اليوم فقد عزّ الرّفيق ، وخذل الشقيق ، وجار الزمان ، وتواكل الإخوان ، فانتابه الشعور بالحزن والألم والحسرة والاستغراب لما آل إليه حال الديار، وفي كل ذلك توجيه غير مباشر لأن تعود النخوة والغيرة العربية كما كان عليه السلف السابق .

إن العالم العربي بأسره يَئِنّ من الظلم والبغي الصريح ، وديار المسلمين شرقاً وغرباً تئنّ تحت وطأة المستعمر وتدين له بالولاء والطاعة ، فقد وصل الامر من الذل والإهانة إلى تكميم الأفواه ، ويتوجه بالخطاب مع الاستفهام إلى الأمة في شعره غير مرة ، ومن الطبيعي أن يواكب شاعر غيور على وطنه هذه الظروف ، ويعبر عنها في شعره الذي حاول من خلاله إظهار حجم المأساة التي أصابت الأمة ، ومن ثم توجيه الصرخات والدعوات المتلاحقة من واقع الحماسة التي تضطرم بها نفسه ، والرغبة العارمة في حماية تراث الآباء والأجداد ، وبالنصح والارشاد غير المباشر ترتسم في شعره صورة الحزن علّه يوقظ الغافلين ويشحذ الهمم ؛ ليعود الحال على ما كان عليه زمن الأمجاد الماضية .

---

[1] ينظر : الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث (دراسة في نقد النقد) : محمد بلّوحي ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، ج 1 ، ص 79 .

الفصل الخامس :

الدراسة الفنّية

المبحث الأول : العـــــاطفة

المبحث الثاني : الألفـــــاظ

المبحث الثالث : الأسلـــــوب

المبحث الرابع : الصـــــورة

المبحث الخامس : الإيقـــــاع

المبحث الأول

العاطفـــــــة :

تقديم :

ظلّـت الكلمـة حيّـةً فـي ضـمير التـاريخ ، تخـرج بعاطفـة تختلـف درجاتهـا بحـب الموقـف ، وبهـذا كانـت عونـاً علـى اسـتخلاص الحقيقـة ، ومصـدراً كبيـراً للإشـعاع الفكـري والشـعوري منـذ فجـر التـاريخ [1] ، فاللغـة " ظـاهرة اجتماعيـة ووسـيلة للتخاطـب والتفـاهم ، وهـي أداة التواصـل البشـري الأولـى لنقـل الفكـر ، و أحـد المعـايير الأساسـية الحقيقيـة لنقـل الفكر والحضارة والحفاظ عليهما " [2] .

واللغـــة بالنســـبة للشـــاعر أداة الفنـــون ، والشـــعرَ بفنّـــه ، ونظمـــه ، وخيالـــه ، وعاطفتـــه ، والتناســـق بـــين مفرداتـــه اللغويـــة ، إنمـــا يمثّـــل الأداة التـــي بواســـطتها يصـــل الشـــاعر بالتـــأني ، والرؤيـــا ، والبحـــث والاختيـــار إلـــى هدفـــه ، ووســـيلة هدفـــه أن يصـــلَ إلـــى لغـــةٍ جميلـــةٍ صـــافية معبـــرة ، وبعيـــدةٍ عـــن كـــلّ نابيـــة ، ونتـــاج ذلـــك تتفجـــر المفـــردات الموحيـــة والمثيـــرة حاملـــة مـــدلولاتها " فالكلمـــات فـــي الشـــعر ليســـت ســـوى دمـــوع اللغـــة ، والشـــعر لـــيس ســـوى بكـــاء فصـــيح ، والبكـــاء لـــيس معنـــى ، ولكنـــه أثـــر كمـــا أن الـــدموع ليســـت معنـــى ولكنهـــا أثـــرٌ ، إذاً فالشـــعر أثـــرٌ ولـــيس معنـــى وهـــذا هـــو مـــا يجـــب أن تتطلّبـــه كـــل تجربـــة لغويّـــة " [3] فهـذا الأثـر بالدرجـة الأولـى ، ثـم المعنـى يجعـل المتلقـي بإحساسـه وعاطفتـه وذوقـه ، يرتقـي إلـى مسـتوى التجربـة ويشـارك المبـدع ، " فالشـعر قيـاس مادتـه المخـيلات التـي لا يعـول علـى مـا فيهـا مـن صـدقٍ أو كـذب ، بقـدر مـا يعـول علـى قـدرتها علـى الإلهـام النـابع مـن تخيـل المماثلـة ، ومـا يصـحب التخيـل مـن تفـاعلات تُفضـي إلـى وقفـة سـلوكية بعينها " [4] .

---

[1] ينظر : الشعر العربي المعاصر ، عز الدين إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3 ، 1981 م ، ص 223

[2] قضايا النقد الأدبي والبلاغة : محمد زكي العشماوي ، دار الكتاب العربي للطباعة ، الإسكندرية ، 1967 م ، ص 19 .

[3] الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية : عبد الله الغدامي ، النادي الثقافي الأدبي ، جدّة ، السعودية ، 1985 م ، ص 229.

[4] مفهوم الشعر : جابر أحمد عصفور ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، 1982القاهرة ، م ، ص 49 .

والعـاطـفـــــــة لا تقـف عنـد حـدٍّ معـيّن ، فقوّتهـا تمـنح الـنّص نجاحـاً موضـوعيّاً وتنفـذ فـي الـنص الشـعري مـع كـل بيـت حتـى يحـس المتلقـي بلوعـة الشـاعر ومعاناتـه ، فيشـاركه آلامـه وهـذا أمـرٌ طبيعـي ، وعنـدما يتميّـز فـي القصـيدة البعـد الـذاتي مـع البعـد الاجتمـاعي العـام ، فـإنّ ذلـك يمـزج بـين عواطـف الـذات وهمـوم الآخـرين ، لا سـيّما الشـعر الـذي يتميّـز بصـدق العاطفـة ، فإنـه يتـرجم حقيقـة وصـدق مـا يعتمـل فـي الـنفس ؛ لأن الباعـث الـرئيس فـي تنـاول أي موضـوع غالبـاً مـا يكـون الانفعـال أو العاطفـة ، وأحيانـاً الغضب والحنق ، أو الغيرة الوطنية كما يلاحظ من شعر يوسف العظم .

وفـي مجـال الأدب تـرتبط بالشـاعر أو الكاتـب فـلا يُصْـدرْ أيٌّ منهمـا نصـاً شـعراً كـان أو نثـراً ، إلا بـدافع قـوي مـن العاطفـة ولا يكتبـان مـن عـدم ، وللعاطفـة فـي عمومهـا آفـاق رحبـة يشـعر بهـا مؤلـف الـنص بحسـب الموضـوع الـذي يكتـب فيـه شـعراً أو نثـراً ، فهنـاك عاطفة وجدانية ، وعاطفة وطنية وقومية وإنسانية .

والعاطفــة فــي الأدب : " لا يُسْــتَغْنى عنهــا ، بــل هــي أصــل الإبــداع والبراعــة والجـودة ، والـنص بـلا عاطفـة لا يلمـس مشـاعر المسـتمعين أو المطـالعين ولكـن المغـالاة تُعَـدُّ مـن التّصـنّع " [1] ، والشـاعر يوسـف العظـم فـي أعمالـه الشـعرية خـرج فـي إطـارٍ بـديع كـان وراؤه مثيـر قـوي يبعـث فـي الـنفس شـعوراً بـأن العاطفـة تجسّـدت فـي شـعره بسيماتها المختلفة ومنها :

1 / **الصـــــدق** :

صـفة العاطفـة فـي هـذا الجانـب تتكـون مـن نتـاج التعبيـر الصـادق النـابع مـن صـميم القلــب وغيــر المتصــنع ، وبــذلك تمــنح الــنص بعــداً جماليــاً وقيمــة خالــدة ، ومــن نص (شاعر يرثي نفسه) يقول يوسف العظم :

لقـد مضـى العمـر أياماً مبعثـرةً ** والعمـر يمضـي ولا الأيـام نحصيها

لقد أتـى اليـوم كـي ألقـى محاسبـةً ** والنفــسُ ترجـو إلهـي كـي يزكّيهـا [2] .

---

[1] المعجم المفصل في الأدب : محمد التونجي ، ج 1 ، ص 613 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 430 .

يصوّر الشاعر مشهد الوداع الأخير في حضرة بناته ، وقد انهمرت مآقيهن بالدموع حزناً عليه ، وهو يتحسر على سرعة انقضاء الأيام وحضور الأجل ، وقد عَلِم أن الأيام تمضي كالومضة بحيث لم يستغلها الاستغلال الأمثل ، ورد العجز على الصدر أكّد على ذلك وأضفى على النص قيمة جمالية ، وفي البيت الثاني كأنه يُقِرُّ صراحة بالندم أملاً في مغفرة الله تعالى ، وهنا تظهر أشد لحظات الفراق على النفس ، فبدأت العاطفة المشوبة بالحزن ترتقي تصاعداً كلّما أحسّ بدنو الأجل بين لحظة وأخرى ، وما زاد العاطفة ظهوراً هو حركة الصورة المصاحبة للمشهد ، ثم يواصل النص فيقول :

جاءت بناتي سراعاً كي تودّعني ** ودمع " أذكار " صافٍ في مآقيها

تغصّ بالدّمعِ في صمتٍ وفي حزَنٍ ** اللّهُ يحرسها واللّهُ يحميها

لا تجزعي يا حياتي إنّ موعدنا ** بين الجِنانِ لعلّ اللهَ يزجيها[1].

إن هذه الأبيات التي تمثل المشاعر والأحاسيس ، مثّلتْ صورة صادقة لنفسٍ عربية التصقت بأرضها ، وتمسّكت بقوميّتِها التصاقاً روحيّاً قبل أن يكون عاطفيّاً فالألفاظ (تغصّ بالدمع ، سراعاً ، تودعني ، مآقيها ، صمت ، وحزن) مع التخصيص لذكر ابنته (أذكار) لعلّها تكون أكبرهن سناً ، أو لها مكانة مميّزة في قلبه فخصّها بالدعاء ، كل ذلك يناسب الموقف الحزين ، ويزيد من صدق العاطفة بحيث تؤثر في المتلقي ، فيشارك المبدع تلك الصورة المتحركة في اضطراب ، لا سيّما أن هذا المشهد يتكرر عند الناس جميعاً ، وجاء الفعل المضارع (تغصّ) كناية عن تدفق الدمع المنهمر وعن أنها اللحظات الأخيرة ، ثم يكون الوداع الأخير وفي ذلك عبرة وعظة للمبدع والمتلقي على السّواء ، فعبّر عن قوة الدلالة في رسم صورة حزينة يلفّها الصمت والحزن نتج عنها عاطفة صادقة نابعة من صميم القلب .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 430 .

2/ قـــوة العاطفـــــــة :

تظهـر قـوة العاطفـة عنـدما تُحـرّك عاطفـة القـارئ وتلفـت انتباهـه وتـؤثر فيـه ، بحيـث تبعـث فـي نفسـه انفعـالات تجعلـه يشـارك المبـدع ذات الشـعور فـي عاطفتـه ، بـل ويتعدى ذلك الشّعور ليحس بآلام الآخرين فيشاركهم أحزانهم وأفراحهم .

ومن نص (مـع العـيد) يقول يوسف العظم :

العيـد أقبـل والذكـــرى تؤرّقنـــي ** ولـيس فـي العيد غيـرُ الحزنِ والسّقـمِ

وغيـرُ أمٍّ غـــدت تشتـاق والهفـي ** لهمسـة الحـب والإلهـامِ مـلءَ فمـي

وغيـر وجـهِ أبٍ بالطُّهـــرِ مؤتلـقٍ ** لـمْ تُطْفـهِ عاديـاتُ الشّيـبِ والهـــرمِ

وقلـبُ أخـتٍ جريـحٍ ذابَ مـن كمدٍ ** ينـــــوحُ من شـــدّة التبريـحِ والألـــمِ

وصـــورة لصغيـــرٍ ظـلّ يرقُبنـــي ** متى أعـــود ؟ وعـينُ الطفـلِ لم تنـمِ[1].

لسـان الشـاعر يقـول : أيُّ معنـىً للعيـد فـي غيـاب الأحبّـةِ ، فبـالرغم مـن أن العيـد مناسـبة فـرحٍ وسـرور فـي العـادة لكنـه يختلـف عنـده ، فواقـع البعـد عـنهم حـتّمَ عليـه أن يكـون علـى هـذه الحـال فـأثّرت عليـه العاطفـة بـالتفكير فـي مـن كـانوا يشـاركونه فرحـة العيـد ، فـلا شـكّ أن هـذه الصـورة الحزينـة تشـكّلتْ مـن ألفـاظ عبّـرت عـن ذلـك الموقـف وسـاقها الشـاعر عبـر البحـر البسـيط مـع القافيـة المطلقـة ، فبـرزت مـن خـلال ذلـك قـوة تـأثير الموسـيقى النفسـية التـي اسـتدعت هـذا الـوزن ، فعبّـرت عـن ناحيـة وجدانيـة وانفعـال وعاطفـة جيّاشـة ، ويلاحـظ علـى الـنص غلبـة العاطفـة الأسـرية وظهورهـا بشـكلٍ واضـح ، مـع تكـرار الصـور المتتاليـة وآخرهـا صـورة الطفـل الصـغير ، التـي سـتظلّ عالقـةً فـي ذهنـه حتـى يمُـنَّ اللهُ تعـالى عليـه بـالعودة والاسـتقرار ، فكـان مـن أبـرز ملامـح شخصـية الشـاعر إحساسـه الشديد بأسرته وتعلّقه بها ؛ لأنه يشعر بالغربة في بلاد الغربة .

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة : ص 36 .

ومن نص (فلسطيني الغد الظافر) يقول يوسف العظم :

فلسطينـــي فلسطينـــي فلسطينـــي فلسطينـــي

ولكــن في طــريق الله والإيمـــان والـــــدّيـــــنِ

تفجّـــر طاقتـــي لهبـــاً غضوبـــاً من بـــراكينـــي

وحـــبُّ اللـــهِ والأوطـــانِ يجـــري في شـرايـينـــي

سلاحـــي النـــور فـــي قلبـــي ورشاشـــي وسكّينـــي

أرتّـــــلُ آيـــةَ الكرســيّ أتلـــو " ربـــــع ياسيـــــنِ " [1] .

تجسّـدت فـي هـذا الـنص المشـاعر والأحاسـيس ، ومثّلـتْ صـورة صـادقة لشـعورٍ صـادق يحملـه الشـاعر اتجـاه وطنـه ، وهـذا الـنص جـاء علـى نظـام السـطر الشـعري فـي خمـس مقطوعـات شـعرية ، وكـل مقطوعـة تضـم خمسـة أبيـات مـن مجـزوء الـوافر بقافيـة مُوحّـدة ومطلقـة وحـرف الـروي (النـون) المتحـرك ، حملتـه عاطفتـه المتوقـدة أن ينتقـي الألفـاظ الملتهبـة التـي تبعـث الحمـاس ، وهـذا الحمـاس نـاتجٌ مـن قـوة الأسـلوب وهـذه القـوة مصـدرها قـوة العاطفـة أو الانفعـال النفسـي الشـديد ، فاختـار الفصـيح السـهل مـن اللفـظ الـذي يناسـب المقـام ، وصـاغه بقالـبٍ أدبـي لا يكتنفـه الغمـوض ، وقـد جمـع فـي هـذا الـنص اللّـوازم التـي تُهيـئُ أسـباب النصـر ، وأعلاهـا قـوة الإيمـان بـالله تعـالى مـن خـلال الكتـاب العزيـز ، ثـم حُبُّـهُ الشـديد لوطنـه المتوقـد بعاطفـة قويـة وملتهبـة بالتهـاب بـراكين الغضـب على أعدائه ، بالإضافة إلى الوسائل المتاحة كالرّشاش والسكيّن وغيرها .

3/ تنـــــوّع العاطفـــــة :

تختلـف الموهبـة والحضـور الـذهني مـن شـاعرٍ ، أو أديـبٍ ، أو كاتـبٍ إلـى آخـر مثلـه ، بـاختلاف ثقافتـه وإلمامـه ونبوغـه فـي مجالـه ، وعنـدما تتنـوع العاطفـة فـي نـصٍ مـا شـعراً كـان أو نثـراً ، فـإن ذلـك دليـلٌ قـدرة المؤلـف الفنيـة فـي تحريـك العواطـف فـي الـنص باختلافهـا فـي الدرجـة وفـي التّسـمية ، وقـد يصـعب ذلـك لاخـتلاف أمزجـة النـاس ، كمـا أن

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 122 .

المؤلف نفسه هو إنسان له فِطْرة واستعداد ذهني يجعله يبدع في غرضٍ دون غيره ، فالتنوع في العاطفة داخل النص يكمن في مهارة المبدع فيما يكتب أو يَنْظُمْ ، والشاعر يوسف العظم تنوعت عنده العاطفة في غير نص ، ومن ذلك قوله :

تلفّـــتُ حولي أسأل الله رحمةً ** لعلّ إلهَ العرشِ بالعبدِ يلطِفُ

فجاء طبيبٌ مُشْرقُ الوجْهِ باسم ** يرومُ علاج الجسمِ بالطبِّ يعرفُ

فأدركـــتُ أن اللهَ لبّى ضراعتي ** لعلّيَ من بحرِ العناياتِ أغرفُ [1] .

في أثناء تجهيزه في غرفة العمليات ؛ لإجراء عملية جراحية لإحدى كلْيتيه جادت قريحته بنصٍ احتوى ستّةٍ وعشرين بيتاً تنوعت فيها العاطفة بدرجاتٍ مختلفة ، فمن عاطفة هادئة محدودة إلى صاعدة ، بحسب الألفاظ والزمن الذي اقتضى بقاؤه هناك ، وذلك بغية إثارة الانفعال في المتلقي ، فبدأ بمناجاة ربه في الموقف العصيب آملاً أن تتم عمليته بنجاح ، فكانت العاطفة مشحونة بالحزن والخوف الذي يتملّكه ، ومتصاعدة في ذلك الموقف فهو بين الحياة والموت ، وفي البيت الثاني جاءت الألفاظ (مشرق الوجه ، يروم ، يعرف) تحمل البشارة والطمأنينة فهدّأت من روعه وسارت العاطفة في هدوء ، ومن هنا تحققت له غايتان :

الأولى : استجابة اللهِ سبحانه وتعالى لندائه في وجود الطبيب المتمكن ، وقد أكّد ذلك في الشطر الثاني من البيت الثاني .

الثانية : ظهور حقائق علمية ماثلة أمامه في التقدم العلمي لمثل هذه العمليات ، وهذا ما يشير إليه في كثير من النصوص بالنصح والإرشاد ، ويحرض شباب الأمة نحو التحصيل العلمي والتسلّح به في مواجهة الأعداء ، فحققت الألفاظ معناها واتسمت بالسهولة والوضوح ، كما أنها عبّرتْ عن عواطف جيّاشة أنتجت موسيقى صادقة لمعناها ، ثم يواصل رسم الصورة فيقول :

أيا مبضَعَ الجرّاحِ رفقاً بمهجتي ** ففي كلّ نبضٍ من فؤادي موقفُ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة: ص 160 .

غضوبٌ على الأعداء يستعذبُ الـرّدى ** ومـن قلب أُمٍّ بالأحبّـــةِ أرْأفُ [1] .

بـدأ بأسـلوب النـداء ثـم بالاسـتعارة المكنيـة فـي مخاطبـة مبضـع الجـراح ، وهـو فـي الحقيقـة يخاطـب الطبيـب الجـرّاح نفسـه ، وفـي هـذه الصـورة لـم يشـتكِ مـن الألـم ، لكنّـه أحـال ذهـن الطبيـب والمتلقـي إلـى مـا هـو أبعـد مـن ذلـك ، ومـن هنـا بـدأت العاطفـة فـي التصـاعد ، وهـذا مـا يفسـره الشـطر الأول مـن البيـت الأخيـر ، وفـي الشـطر الثـاني تـأتي المقابلـة بـين الغضـب والرأفـة ، كمـا هـي المقابلـة بـين العاطفـة المتصـاعدة الناتجـة عـن الغضـب ، ثـم الهادئـة فـي بيـان صـفة الرأفـة التـي يحملهـا قلـب الأم ، وهنـا يستحضـر قولـه تعـالى: ﴿ **مُحَمَّـدٌ رَسُـولُ اللَّـهِ وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَلَـى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْـنَهُمْ** ﴾ [2] ، وبهـذا يكـون قـد جمـع فـي نصّـه بـين أحاسـيس متفاوتـة فـي التـأثير ، وهـذا مـا يتطلّبـه تنـوع العاطفة .

4/ سـُـمُـوُّ العـاطفـــــة :

تتجلـى فـي التمـاس أسـس الإبـداع بحسـن اختيـار الألفـاظ الدّالـة فـي المواضـيع المختلفـة وتأليفهـا بصـورةٍ مكثّفـة ؛ للتعبيـر بهـا عـن المعـاني بالانفعـال الـواقعي ومـا يرافقـه من خيال يسهم في تشكيل الصور داخل النص، حتى يبرز أثره في المتلقي .

ومن نص (أمك) يقول يوسف العظم :

ولـو أرسلـتَ ظلّـكَ فـي حنـانٍ ** ومـن دمـِكَ النّقـي صنعـتَ عـِطْـرَا

وفـوق المنكبين حملْتَ أُمّـــاً ** فكَلَّ المنكبـانِ ونـــؤتَ ظَهْـرا

ورحـــــتَ تـزورها فـي كـل حـينٍ ** تطـوفُ بدارهـا صبـحاً وعصْـرا

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 160 .

[2] سورة الفتح : الآية 29 .

أتصبرُ صَبْــرها فيما تقاســـيٍ ** معاذ اللهِ أن تسطيعَ صبْـــرا ! [1] .

هـذا الـنص اشـتمل علـى (27) سـبعةٍ وعشـرين بيتـاً فـي خمـس مقطوعـات مـن البحـر الـوافر ، وخمـس قـوافٍ متحركـة موزعـة علـى حـروف (النـون بـالرفع ، والـدال بـالرفع ، والبـاء بالكسـر ، والقـاف بـالرفع ، والـراء بـالفتح والاطـلاق) ، وتكـرار أسـلوب الاسـتفهام تسـع مـرات علـى مسـتوى الـنص عمومـاً ، ورد العجـز علـى الصـدر فـي البيـت الثـاني والرابـع مـع حشـد الألفـاظ وتكثيفهـا ودلالتهـا وقـوة سـبكها ، كـلّ ذلـك أسـهم فـي إنتـاج نـصٍ متميّـز تتجلّـى فيـه العاطفـة بوضـوح وتسـمو وتبلـغ ذروتهـا مـع كـلّ مقطـعٍ فـي الـنص ؛ لعظمـة مقـام الأم وشـرفها عنـد الله تعـالى فـي قرآنـه العظـيم وفـي وصـية نبيّـه الكـريم ﷺ ، ثـم أجـاد الشـاعر فـي انتقـاء الألفـاظ التـي تليـق بمقامهـا وترفـع مـن قيمـة الـنص برسـم صـورٍ متتاليـة وكثيـرة بـدأت برسـم الظـل وتحويـل الـدم إلـى عطـر.. ... وفـي البيـت الأخيـر يختـتم بالاسـتفهام المثيـر للمتلقـي فيسـتدعى بذهنـه قصّـة وحـوار سـيدنا موسـى فـي سـورة الكهـف ـ عليـه وعلـى نبينـا أفضـل الصـلاة وأتـم التسـليم ـ وفـي عمـوم الـنص نصـحٌ وإرشادٌ وتوجيهٌ وتذكيرٌ بمقامِ الأم وفضلها .

ومن نص (ثمّ أبوك) يقول:

أبـــــوك الذي تدعوه في كلّ محنةٍ ** وتطلب منـه العـــوْن يوم النّوائـبِ

يداعـبُ فيك الدّفـء والحب والرضـا ** ويسكـــبُ من جنبيـــــهِ روح المداعبِ

فـــإن كنـت ترجـو الله برّاً ورحمـةً ** وحـــــوراً وجنّـــاتٍ وبِـــيضَ كواعـبِ

فبادر لرضـــوانٍ بإيثار من مضى ** يسـوقُ لك الحسنى كثيرِ المنـاقبِ [2] .

هـذا الـنص اشـتمل علـى (24) أربعـةٍ وعشـرين بيتـاً مـن البحـر الطويـل بنَفَسِـهِ الممتـد بعاطفـةٍ تسـمو فتعلـو يتخلّلهـا نصـحٌ وإرشـاد ؛ لتوضّـحَ فضـل الأبـوة وقـدرها التـي شـرفها الله سـبحانه وتعـالى ، فقـد ارتبطـت عبادتـه بالإحسـانِ إلـى الوالـدين تشـريفاً وتعظيمـاً لشـأنهما ، فالوالـدان أسـاس بنـاء الأسـرة الناجحـة ، بـل والمجتمـع عمومـاً ، والإحسـان

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 174 .

[2] المصدر السابق : ص 176 .

إليهما ورعايتهما ، هو أمرٌ واجب حثّ عليه جلّ وعلا ، ويندرج تحت طاعة وطاعة رسوله ﷺ ، واختيار الشاعر لألفاظ (المداعبة ، الحب ، الرضا ، الدفء ، البر ، والرحمة) إنما هو اختيارٌ يناسب مقام الأب الذي يحمل هذه الصفات الفطرية التي أودعها الله سبحانه في قلوب الوالدين ، وقد أوجزها الشاعر في البيت الأول والثاني ، ثم يأتي بأسلوب الشرط في البيت الثالث ، ويسوق ألفاظه في معاني الخير الوفير في جنات النعيم ؛ ليكون الجواب في البيت الرابع ، ولا يتحقق ذلك النعيم إلا برضا الوالدين ، فالألفاظ في مستوى النص برزت فيها العواطف الجيّاشة التي تؤثر في المتلقي وتضفي على النص بعداً جمالياً .

وخلاصة القول : تبدو عاطفة الشاعر جياشة من خلال نصوصه التي سبقت من الأم وما تحمله من عواطف صادقة تدخل ضمن جانب البر وكذلك مع أبنه وأخيه .

المبحـــث الثانـــي

الألفـــــــــــاظ :

تـأتي اللفظـة المفـردة فـي المسـتوى الثـاني بعـد الصـوت فـي تحليـل الشـعر إذ هـي " الأسـاس الـذي يُبْنَـى عليـه الـنص " [1] ، فالألفـاظ التـي وُضِـعتْ ضـمن المعجـم الشـعري لا تكمـن أهميتهـا مـن حيـث هـي مجـرد ألفـاظ فقـط ، دون أن يتعـداها إلـى الجملـة أو مـا يثيـره التعبيـر فـي الـذهن [2] ، والملاحـظ أن الكلمـات فـي النصـوص الشـعرية مـن حيـث الزاويـة المعجميـة لا تتسـم بمحدوديـة الدلالـة ؛ لأنهـا غالبـاً مـا تتعـدى محمولهـا الـدلالي الأساسـي إلـى مجـالات دلاليـة أخـرى ، إن لـم يؤطرهـا الشـاعر بمـا يقصـر دلالتهـا على الهدف الذي يرمي إليه ويترجمه رسماً عبر النسق البنيوي للشعر .

إن الشـاعر ينتقـي مفرداتـه الخاصـة تبعـاً لتجربتـه ، فضـلاً عـن تـأثره بـالتطورات الحضـارية وتحصـيله المكتسـب ، " وإن شـيوع ألفـاظ معينـة فـي قصـائد شـاعر مـا ، هـو مـا يشـير إلـى أنّ تجربـةً خاصـة تكونـت لديـه ، تحتـاج إلـى شـبكةٍ لفظيـة ذات دلالاتٍ معنويـة ونفسـية تناسـب هـذه التجربـة ، وتُعبِّـرُ عـن تلـك الحالـة الانفعاليـة التـي تسـيطر علـى الشـاعر ، ثـمّ إن إلحـاحَ تلـك الألفـاظ واختيارهـا يُؤكـد هـذه الحالـة التـي تضـغط عليـه " [3] ، مـن هنـا حُـقّ للشـاعر أن تكـون لـه لغتـهُ الخاصـة التـي تعبّـر بدقّـة عـن تجاربـهِ الانفعاليـة لحظـة التكـوين الشـعري ، ولا يـتم تأسـيس المعجـم الشـعري بمعـزلٍ عـن ذوق الشـاعر ومزاجـه [4] ، لأن اسـتعمال مفـردات معينـة لـدى شـاعر معـيّن يشـير إلـى أن حالـة نفسـية خاصـة وراء هـذا الاسـتعمال ، ولـذلك كـان لكـل شـاعر مُعْجمُـهُ الشـعري وهو حصيلة تكوينه الثقافي وقدرته الخاصة في التقاط المفردة التي تعبّر عن معاناته .

---

[1] في سيمياء النص : محمد مفتاح ، دار الثقافة ، المغرب ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1982 م ، ص 24 .

[2] ينظر : الجذور والأنساغ : دراسات نقدية في جديد القصيدة العربية المعاصرة ، خالد سليمان ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمّان ، ط 1 ، 1430 هـ ، 2009 م ، ص 161 .

[3] الأسس الجمالية في النقد العربي : ص 96 .

[4] ينظر : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : إليزابيث درو ، ترجمة ، محمد إبراهيم الشوش ، مكتبة منيمنة ، بيروت ، 1961 ، ص 78 .

والشـاعر يوسـف العظـم مـزج بـين ألفـاظ سـهلة المخـرج وواضـحة المعـاني والـدلالات ، وهـي التـي تمثّـل السـواد الأعظـم فـي شـعره ، وبـين ألفـاظ غريبـة وإن كانـت قليلة جداً ، كما أن هناك ألفاظ أعجمية ، سيتم الإشارة إليها كلاً على حدة .

1 ـ ألفاظٌ سهلة واضحة :

من نص (الله ربي) يقول :

إن سألتـم عـن إلهـي ** فهـــو رحمـــن رحيـــم

أو سألتـم عـن نبيـي ** فهـــو إنســـان عظيـــم

أو سألتـم عـن كتـابـي ** فهـــو قـــرآن كريـــم

أو سألتـم عـن عـــدوّي ** فهـــو شيطـانٌ رجيـــم[1].

السـهولة : ألا تكـون الكلمـة مكوّنـة مـن حـروف متنـافرة يصـعب علـى اللسـان النطـق بهـا، فقـد اعتنـى كثيـر مـن النقـاد بهـذا الأمـر وبحثـوا عـن الأسـباب التـي مـن أجلهـا يحـدث الثقـل علـى اللسـان فـي نطـق بعـض الكلمـات [2] فجـاءت الألفـاظ فصـيحة سـهلة واضـحة المعنـي لا يعتريهـا الغمـوض ، ولا يحتـاج معهـا المتلقـي لتفسـير ، ومَـردُّ ذلِـكَ إلـى اختيـار الشـاعر الألفـاظ ذات الحـروف البعيـدة عـن التنـافر ، السّـهلة علـى اللسـان يجمـع بينهـا التـرابط والتـآلف ، فأفعـال الشـرط فـي الأبيـات اقتـرن جوابهـا بالفـاء وأغنـت عـن انتظـار الإجابـة ، واختيـار الشـاعر لهـذه الألفـاظ وترتيبهـا علـى هـذا النحـو ، إنمـا يـدل علـى التزامـه الخلقـي والـديني الـذي يجعلـه يتمسـك بهـذه الثوابـت فـي القاعـدة الأساسـية التـي يجب أن يرتكز عليها إيمانُ كل مسلم ، وفي ذلك توجيه إلى التمسك بهذه الثوابت .

ومن نص (آيـات) يقول يوسف العظم :

فـي رعشـة الجفـن تسبيـحٌ وإيمـانٌ ** فـي خفقـة القلـب إحساسٌ ووجـدانُ

فـي همسـة الثّغـر إبـداعٌ لخالقـه ** في بسمـة الطفـل للخـلّاق عنـوانُ

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 385 .

[2] ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، ص 457 .

فـي دورة الفلـك الـدّوّار منتظمـاً ** للعقــل والقلب إفصـاحٌ وتبيـــانُ

في صنعـة الكون توحيـدٌ لصانعـه ** فـي ومضـة العقـل آيـاتٌ وبرهـانُ

والمنكرون لنور الحق لـو عقلـــوا ** لـولا المهيمن ما كنّا ولا كانوا !![1].

يلاحـظ أنــه اختـار ألفاظــه بدقـةٍ وعنايـة بعيـدة عـن الغمـوض والإبهـام ، والألفـاظ التي انتقاها الشاعر جمعت معانٍ كثيرة في ألفاظٍ قليلة .

ومن نص (أبـي) يقول الشاعر :

أبـــي دعانـــي إليــه ** والخيــر مــلءُ يديــهِ

وضمّنـــــي بحنـــانٍ ** والرِّفــقُ فـــي ساعديــهِ

ســـــلامُ ربـــــي عليـــــه

بالعـــزمِ فـــي ساعديـــه ** والعطـــفِ فـــي جنبيـــهِ

والنـــورِ فـــي عينيـــه ** والخيـــرِ فـــي راحتيـــهِ

قولـــوا .. .. .. ســـــلامٌ عليـــه [2] .

هـذا الـنص فـي بيـان فضـل الأب علـى أبنائـه ، وقـد انتقـى الشـاعر ألفاظـه بعنايـة ، فجـاءت سـهلة وواضـحة ، مـن أجـل أن تصـل الفكـرة إلـى المتلقـي بكـل سـهولة ، وتكـون الألفـاظ فـي مسـتوى قـدرات القـارئ الذهنيـة والجسـدية ، كمـا لا يشـوبها الغمـوض ولا التعقيـد فـي نطقهـا ، وفـي ذات الوقـت تحمـل مـدلولات الخيـر ونفحـات الرحمـة والعطـف والمحبة ، وهي صفات فطرية غرسها الله تعالى في قلبي الوالدين .

ومن نص (صوم رمضان) يقول الشاعر :

رمضــان هـلّ هلالـه ** فاستبشـروا بطلوعـه

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 69 .

[2] المصدر السابق : ص 395 .

وبصومـه وصلاتــه ** وبذكــره وخشوعـــــه

فاضـت علينـا رحمـة ** بالخيـر مـن ينبـوعه

قـد عـاد يشرق بالهـدى ** يـا مرحبـاً برجوعـه [1] .

اسـتهلّ الشـاعر أبياتـه بلفـظ (رمضـان) وهـو مـا يتوافـق وعنـوان الـنص ، فـإلى جانـب أنـه ركـن مـن أركـان الإسـلام المعروفـة ، فـإن لـه مـن المعـاني والإيحـاءات والنفحـات الربانيـة مـا يجعـل المسـلمين يستبشـرون بقدومـه ، لمـا فيـه مـن تشـريفٍ وتفضـيل مـن الله عـز وجـل فـي قرآنـه الكـريم ، ولـه مـن المميـزات الكثيـرة التـي تميـزه عـن بقيـه الشـهور ، فجـاءت الكلمـات سـهلة وسلسـة خفيفـة علـى اللسـان تنسـاب انسـياباً وتحمـل فـي طياتهـا البشرى بالرحمة والخير الوفير ويذكّر الشاعر من خلالها بفضل هذا الشهر الكريم .

ومن الألفاظ السهلة ما جاء في نص (رحماك ربي) حيث قال :

أتيتـك يـا رب ضيفـاً فـلا ** تـــرد إلهـي قدومـــي إليـــكْ

وقـد جئـت يـا رب عبداً منيبـاً ** وكـلّ خطايـــاي بيـــن يديـــكْ

فغفرانـك اللّـه إنـي ضعيـف ** أنـوءُ بحمل الخطايـا لديـكْ

فأنـت العفـــوّ وأنـت الغفورُ ** وكـلُّ اعتمـادي إلهـي عليـكْ [2] .

امتـازت الألفـاظ بسـهولتها فجـاءت بأسـلوب النـداء الـذي خـرج إلـى معنـى الـدعاء والرجـاء بصـورة الكلمـة الهامسـة والعبـارة الرقيقـة التـي تحمـل معنـى التـذلل والخضـوع لله تعـالى ، فـي أسـلوبٍ جـزلٍ تبـدو فيـه اللغـة محفوفـة بلـونٍ خـاص مـن ألـوان الـنفس الجميلـة الهادئـة بمشـاعرها الصـافية ، فكانـت الألفـاظ منتقـاةً فـي سـياقها خادمـةً للمقاصـد التـي يرمـي إليهـا الشـاعر ، فـي جـوّ يخـيّم عليـه شـيءٌ مـن الحـزن والحسـرة والنـدم ؛ لأن الـذنوب والخطايـا همـا العنـوان الـذي مـن أجلـه يتضـرّع لربـه ، وقـد عبـر عنهـا بأنـه ضـعيف يَنُـوءُ بحمـل الخطايـا ، وأيقـن أنـه قـد حـان وقـت الأوبـة والتوبـة ، فجمـال العـيش وسـعته بتلـك

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 387 .

[2] المصدر السابق : ص 291 .

اللذة والمتعة التي حصل عليها في شبابه تحولت عنده إلى مجرد ماضٍ وذكرى بعيدة يصعب استرجاعها أو الحصول على ما يماثلها في عهده الراهن الذي يكون فيه في مواجهةٍ مباشرة مع النهاية الأكيدة التي لا محيد عنها ولا مفر ، ومن هنا يظهر الإنسان في صورة العجز والضعف والاستسلام ، فيظهر مخلوقاً لا يملك من أمره إلا أن يؤوب إلى خالقه طلباً في الرحمة والمغفرة فهو الجدير دون غيره بالرحمة والغفران .

2 ـ ألفاظ غريبة :

اللفظ الغريب : هو " الذي مات استعماله وغدا من الحوشي الذي يحتاج في التّعَرّفِ إلى دلالته إلى المعجمات [1] ، والكلمة الغريبة كونها غير ظاهرة المعنى ولا مستأنسة ، وفي الأدب كل ما هو حوشي أو مشكل ، أي يكون من الصعب فهمه إلا بعد الرجوع للمعاجم ؛ لفك الغموض واللبس .

ومن نص (حبّ) يقول الشاعر :

قلت لا أعشق طرفاً ناعساً ** وخدوداً وشفاهاً (قرمزية) [2] [3] .

وظّف الشاعر أحد الألوان غير المتداول كثيراً بالنسبة للألوان المألوفة ، ولكن دلالته ظهرت بما سبقها من لفظي (الخدود والشفاه) اللذان دلّا على تحديد ماهية اللون .

ومن نص (إلى رمز الجهاد والاستشهاد) يقول الشاعر :

إن دمّر " الوغد " بيتاً كنت تسكنه ** فالقلب بيتك والوجـــــدان والمُقَـلُ

أو عربـــد" العلج " في محراب قبلتنا ** وحلَّ في قدسنا " الشّذّاذُ " " والهمل"

فـــذاك مصـــداق ما كنَّا نردّده ** يستأسدُ الكلب أو يستنوقُ الجمل [1] .

---

[1] علوم البلاغة : (البديع والبيان والمعاني) محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط 1 ، 2003 م ، ج 1 ، ص 28 .

[2] (القرمز : صبغ لونه أحمر ، يقال : إنه عصير نوع من الديدان ، ويقال : لون قرمزي) ينظر: المعجم الوسيط : ج 2 ص 730 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 100 .

مـن الألفـاظ الغريبـة أو غيـر مستأنسـة فـي الـنص ومسـتهجنة فـي الوسـط الاجتمـاعي ، ألفـاظ (الوغـد ، العلـج ، الشّـذاذ ، الهمـل) وكثيـرٌ ممـن يتلفظـون بهـا وقـد لا يعرفـون معناهـا الأصـلي فيسـتوجب ذلـك البحـث عنهـا فـي معـاجم اللغـة ، فلفـظ (الوغـد) هـو " الأحمـق الضـعيف الخفيـف العقـل ، والوغـد : الصـبي خـادم القـوم أو هـو الضعيف جسماً " [2] .

أمّـا كلمـة (العلـج) تعنـي : " الحمـار مطلقـاً ويقـال : هـو حمـار الـوحش لاسـتعلاج خلقـه وغلظـه ، والعلـج : كـلّ ذي لحيـة ، واسـتعلج الرجـل: خرجـت لحيتـه وغلـظ واشـتد، والجمـع :أعـلاج [3] ، أمّـا لفـظ (الشّـذاذ) : " قـومٌ شـذاذ أي الـذين يكونـون فـي القـوم ليسـوا فـي قبـائلهم ولا منـازلهم أو الـذين لـم يكونـوا فـي حـيّهم ومنـازلهم ، وشـذاذ الآفـاق : الغربـاء لا وطـن لهـم ، (والشّـاذ) : مـا خـالف القاعـدة ، وفـي علـم الـنفس انحـراف عـن القاعـدة أو الـنمط [4] . ولفـظ (الهمـل) يعنـي : " الضّـوال مـن الـنعم والـدواب ، واحـدها : هامـل أي أن النـاجي مـنهم قليـل فـي قلّـة الـنعم الضّـالة ، (والهمـل) : السّـدى المتـروك لـيلاً أو نهـاراً ، ومـا تـرك الله النـاس سـدىً بـلا ثـوابٍ ولا عقـاب " [5] ، فالألفـاظ السـابقة غيـر مستأنسـة ، أي مسـتهجنة فـي الوسـط الاجتمـاعي وفيهـا غرابـة لقلـة اسـتخدامها ، وفـي البيـت الأخيـر يسـتخدم السـخرية والـتهكم بنـوع مـن الهجـاء الـلاذع ، فمـن بـاب التعجـب والاسـتغراب عنـد الشـاعر يوسـف العظـم أن يصـير الكلـب أسـداً والجمـل ناقـة، وهـذا مـردّه إلـى حالـة الانقسـام والتشـتت بـين أبنـاء الأمـة حتـى صـاروا لقمـة سـائغة يـنعم العـدو بخيـراتهم وهـم لا يحركـون سـاكناً ، فقـد آلـت الأمـور إلـى

---

[1] الأعمال الشعرية : ص 23 .

[2] تاج العروس : مرتضى الزبيدي ، ج 9 ، ص 312 (وغد) .

[3] المحكم والمحيط الأعظم : ابن سيدة المرسي ، ص 325 (علج) .

[4] معجم اللغة العربية المعاصرة : ج 2 ، ص 1179 (شذذ).

[5] لسان العرب : ابن منظور ، ج 11 ، ص 710 (همل) .

غيـر أهلهـا ، وقـد حـاول الشـاعر أن يُكْسِـب الألفـاظ معـاني غيـر معانيهـا الواضـحة ، فـإذا مـا اكتشـف السـامع مـا يقصـد المـتكلم ، فهـو هـذا المعنـى الغريـب الـذي أنتجـه الشـاعر مـن خـلال اشـتراك المعـاني حـول نفـس اللفـظ ، وهـذا الـذي يتطلّـب التركيـز مـن قبـل المتلقـي فـي عمليـة فهـم مـا يرمـي إليـه المؤلـف ، فهـدف المبـدع مـن خـلال التوظيـف إحـداث الأثـر الشعري وجعل القارئ يشارك المبدع في تجاربه .

ومن نص (مناجاة تائه) يقول الشاعر :

أيغويني حديثٌ من لعوبٍ ** وتمسخ هيبتي ألحاظ دعجٍ [1] .

فـي البيـت لفظـان قـلّ فيهمـا الاسـتعمال ، فلفـظ (لعـوب) اسـتعماله قـديماً زمـن الجواري فيقال : " جارية حسنة الدِّلِّ كثيرة اللعب أو أنه يُلْعَبُ بها " [2]

وأمّـا لفـظ (دعـج) هـو " شـدة سـواد العـين مـع سـعتها ، يقـال : عـينٌ دعجـاء ، والأدعج من الرجال : الاسود [3] .

حملـت الألفـاظ تسـاؤلاً إنكاريـاً يحمـل صـفة الاسـتغراب ، فالشـاعر أراد ألا يضـع نفسـه فـي غيـر موضـعها ، والتزامـه الـديني والخلقـي يحـتّم عليـه ألا يقـع فريسـة فـي هـوى النفس وملذات الدنيا الزائلة .

ومن نص (جمالٌ وفتوى) يقول :

قلت إن الجمال من صنع ربي ** صانه الله من نفوسٍ عليلة

خلق اللّـهُ للجمال سياجـــــاً ** (عبقرياً) يحمي الحياة الجميلة

وسيـــاج الـــجمال دينٌ وتقـــوى ** وحيـاةٌ وعفّـــةٌ وفضيلة [4] .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 157 .

[2] لسان العرب : ابن منظور ، ج 1 ، ص 314 (دعج) .

[3] تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل الجوهري ، ج 1 ، ص 314 ، (دعج) .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 178 .

يقال : " رجلٌ عبقري ، وهذا عبقريُ قومٍ : إذا كان شديداً ، وظلمٌ عبقري ؛ أي شديد فاحش " [1] ، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ **عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ** ﴾ [2] ، وفي المفهوم المعرفي السائد في المجتمع ، أن هذا اللفظ يطلق على من منحه الله قوةً في الذكاء والابتكار ، ولكن الشاعر استعاره صفةً للسّياج ، ثمّ وظّفه في حماية الحياةً المبنية على الدين والتقوى والعفة والفضيلة .

وقوله :

لا تسلموني للسجـــــــون ** أو تحرقوني في (الأتون)

وأنا الذي يحمي (الذّمارَ) ** فلا يذلّ ولا يهـــــون [3] .

اللّفظان المشار إليهما بين الأقواس لا يظهر عليهما صفة التداول في الشعر على كثرته ، بالرغم من فصاحتيهما ، فالأول : الأتون " بالتشديد الموقد ، والعامة تخفّفه ، والجمع الأتانين ، قال (ابن خالويه) [4] ، الأتون : أُخْدُودُ الجبّار والجصّاص وأتون الحمّام ، قال : ولا أحسبه عربياً " [5] ، والثاني : الذّمار : " الذمر : زأر الأسد ، وقد ذمر إذا زأر ، والذمار بالكسر : ذمار الرجل وهو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته ، قالوا : حامي الذمار كما قالوا : حامي الحقيقة ، وتذمّر هو : لام نفسه على فائت [6] .

3 ـ ألفاظ أعجمية :

اللفظ الأعجمي دخيلٌ وغير فصيح ، " وعُجْمُ الكلام إذا لم يكن فصيحاً فهو أعجم وهي عجماء، والجمع عُجْمُ ، وأعجم الكلام : أبهمه وذهب به إلى العجمة خلاف

---

[1] مختار الصحاح : زين الدين الرازي ، ج 1 ، 199 .

[2] سورة الرحمن : الآية 76 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 172 .

[4] هو : الحسن بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله ، لُغوي من كبار النحاة ، كان له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة ..: ينظر : وفيّات الأعيان لابن خلّكان ت 681 هـ ، تح ، إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج 2 ، ص 178 .

[5] لسان العرب : ابن منظور ، ج 13 ، ص 7 (أتن) .

[6] تاج العروس : مرتضى الزبيدي ، ج 11 ، ص 388 (ذمر) .

أعربه ، والعَجَمُ خلاف العرب ، الواحد عجمي نطق بالعربية أم لم ينطق " [1] .
ووردت في نصوص الشاعر بعض الكلمات ومن ذلك ما يلي :

من نص (ذكريات المجد والعار ...في أرض الأبرار) يقول الشاعر :

واستنزلوا النصر فالأقصى يلوذ بكم ** لتدحروا من رحاب القدس (كوهينا) [2] .

(كوهين) هذه الكلمة في العبرانية في لغة بني إرم ، تقابلها في العربية كلمة (كاهن) ، ومن مرادفات الكاهن الطاغوت [3] ، وبهذا التفسير فسّر العلماء قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ** ﴾ [4] ، وأقرب ما يكون لمعنى الكلمة هو شخصية سياسية يهودية إسرائيلية طاغية ، دلّ على ذلك فعلا الأمر والمضارع (استنزلوا ــ تدحروا) ، اللذان جاءا بمعنى الحث والتحريض على استنهاض الهمم وكسب أسباب النصر للقضاء على رأس الكفر وتحرير القدس .

ومن نص (مهلاً يا رفيق) يقول الشاعر :

لا تظنّ الشعب في مصر غداً ** " بلشفياً " أو " عميلاً " في رباها [5] .

يوجه خطابه إلى رفيقه وينبهه إلى أن شعب مصر الذي لم يرض يوماً بأن يكون (**بلشفياً**) وهذا اللفظ مأخوذ من البلشفيّة التي تعني : " مذهب الحزب الشيوعي الرّوسي ، تبلشف في التفكير والممارسة ، وبلشف البلد : جعله يطبق شيوعية لينين التي ترى وجوب وجود مرحلة انتقالية للتحول من النظام الرأسمالي إلى النظام الشيوعي أي مذهب يدعو إلى تطبيق الشيوعية على المجتمعات الرأسمالية بعد المرور بمرحلة

---

[1] المعجم الوسيط : ج 2 ، ص 586 .
[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 33 .
[3] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ت 1408هـ ، دار الساقي ، ط 4 ، 1422 هـ ، 2001 م ، ج 12 ، ص 332 .
[4] سورة البقرة : الآية 256 .
[5] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 52 .

الجماعية " [1] ، وكذلك لم يكن عميلاً أو خائنا يعمل لحساب غيره .

ومن نص (خذّريهم يا كوكب الشرق) يقول الشاعر :

وأنين (الكمان) صار أذاناً *** في حمى البيت والنديم إماما [2] .

يتحسّر الشاعر لما آل إليه الوضع من وجود المتناقضات في المجتمع ، حتى صار صوت الموسيقى بمثابة الأذان الذي يُرْفَع للصلاة ، وصار النديم الذي يقدم الكؤوس إماماً ، وكل ذلك مردّه إلى الابتعاد عن منهج الله تعالى ، أما لفظ (الكمان) فهو أعجمي يُطْلَقُ على : " آلة طرب وترية ذات أربعة أوتارٍ وقوس " [3] .

ومن نص (العش المهجور !) يقول الشاعر :

ناح (قيثاري) الحزين فحنّت ** لصدى النّوح قاسيات الصخورِ [4] .

لفظ القيثار أعجمي وهو : " آلة طربٍ ذات ستّة أوتار ، وعزف مقطوعة موسيقية على القيثار " [5] ، يكشف البيت عن حالة نفسية مضطربة للشاعر تهيء المتلقي لسبر أغوار المعنى أو الرؤيا أو الحالة الشعورية التي يحملها النص ، من خلال العلاقة القائمة بين صوت الآلة وحنين الصخور المتميّزة بالقسوة ، فليس أبلغ دلالة على شدة الحزن من بكاء أو نواحٍ يرق لسمعه الحجر بقسوته .

---

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة : ج 1 ، ص 240 (بلشف) .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 80 .

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة : ج 3 ، ص 1957 (كمان) .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 135 .

[5] معجم اللغة العربية المعاصرة : ج 3 ، ص 1882 (قيثار) .

المبحـــث الثالـــث

الأســـــــــلوب :

الأســاليب البلاغيــة هــي أســاليب يوظّفهــا الشــاعر المبــدع فــي ســياق خطابــه الشـعري ؛ ليصـل بـالمتلقي إلـى فهـم مـراده ورسـالته التـي يرسـلها مـن خـلال الـنص الـذي ينتجـه معبّـراً عـن حـالات نفسـية متعـددة وتجـارب شـعورية خاضـها فـي حياتـه ؛ فينقـل المتلقـي إليهـا وكأنّـه يعيشـها واقعـاً فعليـاً ، والانتقـال بـين الأسـاليب فـي الـنص الشـعري مـن شـأنه أن يثـري العمليـة الإبداعيـة ويُحْـدِث تلوُّنـاً فـي أسـلوب الـنص ، فيبعـث فيـه الحيويـة والجـدّة مـن خـلال الالتفـات مـن بُنيـة إلـى بُنيـة أسـلوبٍ آخـر ، وهـذا يجعـلُ الـنص فـي أوج إبداعه الأدبي ، فتتحقق قيمته الإنسانية في نفس المتلقي .

1 ـ التقديم والتأخير :

إن الجملـة العربيـة تخضـع لترتيـبٍ يُـنَظّم تتـابع أجزائهـا فـي الهيكـل الأساسـي للبنـاء اللغـوي ، ومـن ثـم تسـتكمل عناصـر أخـرى يـتم بهـا التعبيـر وتنقـل بهـا الآراء والانفعـالات ، وتـنهض ظـاهرة التقـديم والتـأخير فـي لغـة العـرب علـى مخالفـة الترتيـب المـألوف فـي نظـام الجملـة ، وذلـك مـن خـلال انتهـاك نظـام الرتبـة فـي التركيـب اللغـوي ، بحيـث يعمـد المبـدع إلـى تحريـك الألفـاظ مـن مواقعهـا إلـى مواقـع أخـرى ؛ لغـرض فنّـي وجمـال يـروم تحقيقـه " فيرتـب الألفـاظ بخـلاف مـا يقتضـيه ترتيبهـا ووجودهـا الـذهني ؛ وذلـك مـن أجـل تحقيـق أبعـاد نفسـية معينـة تنبـع مـن طبيعـة التجربـة الشـعورية والمعنـى المـراد نقلـه "[1] ويـرى الجرجـاني أنـه " بـابٌ كثيـر الفوائـد ، جـمّ المحاسـن ، واسـع التصـرف ، بعيـد الغايـة ، يفضـي بـك إلـى لطيفـه ، ولا تـزال تـرى شـعراً يروقـك مسـمعه ، ويلطـف لـديك موقعـه ، ثـم تنظـر فتجـد سـبب أن راقـك ولطـف عنـدك ، قُـدّمَ فيـه شـيءٌ وحُـوِّلَ اللفـظُ عـن مكـان إلـى مكـان "[2] ، فهـو أحـد أسـاليب البلاغـة والكـلام عامـة ، " يـدلّ علـى تمكّـن المـتكلّم فـي

---

[1] المصطلح النقدي في التراث العربي : محمد عزام ، دار الشرق العربي ، بيروت ، د ت ، ص 114 .

[2] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ص 106 .

الفصاحة والملكة في انقياد الكلام له ، وله في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق " [1] .

من نص (إلى رمز الجهاد والاستشهاد) يقول يوسف العظم :

في كفّك الروح لا تبغي بها ثمناً ** والتافهون بجمع المال قد شغلوا [2] .

إن الرتبة المحفوظة في الجملة الإسمية تقديم المبتدأ على الخبر ، غير أنه ثمّة سياقاتٍ تعدل عن هذا الترتيب بحيث يحدث العكس ، وقد استنبط علماء المعاني جملة من المسوغات لهذا العدول التركيبي هي في حقيقتها أقرب إلى التعديلات النفسية المتعلّقة بنفسية المبدع " وبناء العبارة في أصله بناء خواطر ومشاعر ومعانٍ ومقاصد قبل أن يكون هندسة ألفاظ وتصميم قوالب ، وإذا كان السّياق سياقاً فيّاضاً وحافلاً أبدت هذه الزحزحات الخفيفة للكلمات غنىً وفيضاً " [3] ، وفي البيت قّدّم الشاعر الجار والمجرور في جملة (في كفك) ، وفي هذا التقديم برزت أهمية المخاطَبْ ، فأكد على صفاته الحميدة في جانب إيجابي يبرز حرصه على انتزاع النصر أو الظّفَر بالشهادة من أجل وطنه ، وعدم التفاته إلى عرض الدنيا الزائل ، وبذلك أحدث أثراً جمالياً لدى المتلقي ولفت الانتباه ،عندما تضافر التقديم مع (و) العطف في وصفه (التافهون) في إشارة إلى أن استعمال أسلوب العطف دلّ على التعاقب السريع ، كما عبّر عن الإيقاع النفسي للشاعر ، وفاعلية حرف العطف تجلّت من خلاله الصورة الثانية السلبية ، وهم الذين لا يعرفون قيمة الوطن فكان جمع المال شغلهم الشاغل .

وبالنظر في أسلوب الشاعر يلاحظ أنه يقدم للمعنى صورة مناسبة من حيث الإقدام والزهد .

ومن نص (غاية الأبطال إحدى الحسنيين) يقول الشاعر :

إن في كفّك الكريمة بِرْءً *** ورجاءَ الإنسان للإنسان [4] .

---

[1] البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ت 794 هـ ، تح ، محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ط 2 ، 1957 م ، ج 3 ، ص 233 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 23 .

[3] دلالة التراكيب : دراسة بلاغية ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1 ، 1979 م ،

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 24 .

قـدّم شـبه الجملـة مـن الجـار والمجـرور علـى اسـمي (إنّ) ، وفـي هـذا تأكيـدٌ وإظهـارٌ صـفةِ يـدِ مُخاطبـهِ ، وكنايـةٌ عـن وصـفها بـالجود والإحسـان ، وجـاء الـربط بـين اسـمي (إنّ) بـواو العطـف مـن بـاب الملازمـة الداخليـة لحركـة الـنفس التـي تعمـل علـى شـدّ خيـوط الحـدث الفرعيـة إلـى المركـز ، لـذلك لـم يكـن العطـف مجـرد توصـيل بـين الاسـم والاسـم ، بـل مـن أجـل تكثيـف المعنـى ، ونصـحٍ مفـاده حاجـة الإنسـان الضـرورية لأخيـه الإنسان .

ومن نص (اللجة العاصفة) يقول :

يسكبهُ في مسمع الدنيا ** نفحـــةٌ مـــن شـــذا وردةٍ

وخفقةٌ من جناح فراشـــة ** وصفـــاءٌ من قطـــرةِ نـــدى[1] .

هنـا فصـل بـين الفعـل والفاعـل بشـبه الجملـة ؛ لإفـادة تخصـيص المكـان (الـدنيا) بحاسـة السـمع ، ولعـلّ إبـراز المعنـى المقصـود إلـى المتلقـي هـو الـذي فـرض علـى الشـاعر مثـل هـذا التقـديم الـذي جعـل الجملـة أكثـر شـعرية مـن خـلال توظيفـه لعناصـر الطبيعـة ، فكانـت الألفـاظ (شـذا الـورد ، وخفـق الجنـاح ، والفراشـة ، والصـفاء ، وقطـر النـدى) مبعـث أمـل وتفـاؤل أضـفى علـى الـنص جماليـة انتقـاء الكلمـات بعنايـة ، ولعلّـه وجـد فـي عناصـر الطبيعـة ملجـأً يلـوذ بـه فـي التعبيـر عمّـا يشـعر بـه ، كمـا أنّ موقـع اللفـظ أسـهم فـي تفسـير القيمـة الفنيـة للتقـديم ؛ لأن تصـدير الشـاعر لنصّـه بـالمفردة المختـارة تحمـل شـحنة يتقبلهـا المتلقـي ، وتمثـل إحـدى مراحـل الاتصـال بـين المعنـى وبينـه ، وهـذا مـن شـأنه تأكيـد عِظَـمِ الدلالـة وتقريرهـا فـي ذهـن السـامع ، فاسـتطاع الشـاعر أن يزيـد الالتفات إلى المتقدم عن طريق التقديم .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 142 .

2 ـ الحذف :

" حـذفُ الشـيء إسـقاطه ، وحـذف رأسـه بالسـيف إذا ضـربه فقطـع منـه قطعـة " [1] يقـال : حـذفت مـن شَـعري ومـن ذنـب الناقـة أي أخـذت منـه [2] ، ويحقـق الحـذف مـن الإمتـاع الفنـي الشـيءَ الكثيـر بمـا يصـنعه مـن فجـواتٍ دلاليـة تُعْـرَفُ فـي النقـد الحـداثي بالمسـكوت عنـه مـن القـول الـذي يتـولّى المتلقـي مَـلْأَه ، إنـه يتـيح بـذلك عنصـراً مهمـاً فـي بنـاء القـراءة باعتبارهـا إبـداعاً إضـافيّاً ، حيـث يـتم إدراج المتلقـي بطريقـةٍ إسـقاطيه ، وفـي ذلـك إشـارة جديـدة إلـى القـيم التـي تتـداعم بفعـل العـدول ؛ لأن الحـذف إحـدى محصّـلاته ، فلـيس غريبـاً أن يصـفه الجرجـاني بقولـه : " بـابٌ دقيـق المسـلك ، لطيـف المأخـذ ، عجيـب الأمـر ، شـبيهٌ بالسـحر ، فإنـك تـرى بـه تـرك الـذكر والصـمت عـن الإفـادة أزيـد للإفـادة ، وتجـدك أنطـق مـا تكـون إذا لـم تنطـق وأتـمّ مـا تكـون بيانـاً إذا لـم تُـبِنْ " [3] ولهـذا عبّـر عنـه (ابـن الأثيـر ت 637 هـ)[4]. بقولـه : " إنـه نـوعٌ مـن التـأليف شـريفٌ لا يكـاد يلجُـهُ إلا فرسـان البلاغـة ، وذلـك لعلـوِّ منزلتـه " [5] ، وأشـار إليـه (سـيبويه) [6] فـي أكثـر مـن موضـع فـي كتابـه الموسـوم (الكتـاب) مبيّنـاً أنواعـه وكاشـفاً عـن أسـبابه ، مؤكّـداً أن ذلـك مـن سـمة العـرب الفصـحاء فـي أسـاليبهم [7] ، وعـدّه (ابـن جنّـي ت 392 هـ) [8]

---

[1] مختار الصحاح : زين الدين الرازي ، ص 69 .

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل الجوهري ، ج 4 ، ص 1430 .

[3] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ص 100 .

[4] هو محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ضياء الدين ابن الأثير ، ولد بالموصل 558 هـ صنّف الكتب وهو من العلماء الكتّاب ..ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 8 ، ص 31 .

[5] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور : ابن الأثير ت 637 هـ ،تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الشرق الجديد ، مصر ، د ت ، ص 122 .

[6] هو : إمام النحو ، حجة العرب أبو بشر بن عثمان بن قنبر سيبويه الفارسي ، ت 180 هـ ، طلب الفقه والحديث ، وأقبل على العربية فبرع فيها وساد أهل عصره ، وألف كتابه الكبير ...ينظر : سير أعلام النبلاء : شمس الدين الذهبي ، ت 748 هـ ، دار الحديث ، القاهرة ، 1427 هـ ، 2006 م ، ج 7 ، ص 346 (سيبويه) .

[7] ينظر : الكتاب : سيبويه ، ج 1 ، ص 8 ، ص 111 .

[8] هو : عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي النحوي المشهور ، من مؤلفاته كتاب الخصائص ..ينظر : إنباه الرواة على أنباه النّحاة : جمال الدين بن يوسف القفطي ، ت 646 هـ ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1406 هـ ، 1982 م ، ج 2 ، ص 335 .

باباً قيّماً من أبواب الشجاعة العربية [1] ، ومن نص (المجاهد الحق) يقول الشاعر :

طاهِرُ القلبِ والضّمير تقي ** صادقُ العهدِ بالذِّما يرعاه

وادعٌ كالحمام في حرم البيت ** وكالليثِ يُسْتَباحُ شراه [2] .

إن دور المتلقي لا يقلُّ أهمية عن النص أو منتج النص ، فهو يقوم بوظيفة البحث والتنقيب عن العناصر المحذوفة ، واستكمال الفراغ البنيوي على سطح النص ؛ لفهم واستيعاب المقصود من وراء هذا النص ، وقد ظهر حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع في البيتين ؛ والتقدير (هو طاهر ، هو صادق ، هو وادع) ؛ لتأكيد صفة المخاطب المقصود وتبيان مآثره والثناء عليه ، وزاد على ذلك التأكيد بتكرار أداة التشبيه مرتين ؛ بغية نقل الصورة إلى المتلقي بأكثر وضوح " وهذا أمرٌ يشعر به المتكلّم بلذة الإبداع والابتكار وإيجاد ما لم يُسْبَقْ إليه وهي نزعة موجودة في طبائع الناس الفطرية تنمو عند الأذكياء والعباقرة وتضمر عند غيرهم " [3] من هنا كانت ظاهرة الحذف عاملاً مساعداً في تحقيق تماسكٍ نصّيٍّ ، وجمع عدد من المعاني والدلالات والمشاعر والعواطف في أبيات قليلة هادفة ، وعلى قلّتها استطاع الشاعر إيصال رسالته .

ومن نص (عتاب !) يقول يوسف العظم :

ما ضرّ قلبك لو عاتبت يا قاسي *** وقد أصبت بسهم الظلم إحساسي [4] .

قد تتركّب الجملة من المسند والمسند إليه وحدهما ، وقد يزاد عليهما من الألفاظ بغرض استيفاء الدلالة وهو ما يسمّي (فضلة) وبحذف المفعول به للفعل (عاتبت) يكون الشاعر قد أسرّ في ذهن المتلقي نحو الفعل ذاته ؛ ليبيّن أن القصد

---

[1] ينظر : الخصائص لأبي الفتح عثمان ابن جنّي ت 392 هـ ، تح ، محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 4 ، 1990 م ، ج 2 ، ص 360 وما بعدها .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 27 .

[3] البلاغة العربية : عبد الرحمن حسن الميداني الدمشقي ت 1425 هـ ، ج 2 ، ص 167 .

[4] المصدر السابق : ص 87 .

هـو التعبيـر عـن هـواجس نفسـية لا يصـلحها إلا العتـاب ، فجـاء التركيـبُ مسـتغنياً عـن المفعول به .

ويظهـر دور المتلقـي فـي تقـدير المحـذوف والكشـف عـن إسـهامه فـي الاتسـاق النّصّـي ، فبقـدرِ معرفتـه بعـالم الـنص وسـياقاته المحيطـة بـه ، تتحقـق قدرتـه علـى اكتشـاف المحـذوف وتقـديره ، ومـن ثـمَّ يصـبح أثـر الحـذف هـو: توسـيع السـيطرة الدلاليـة لجملـة معيّنـة إلـى جملـةٍ أو جُمَـل أخـرى تليهـا وتتقـاطع معهـا فـي المعنـى ذاتـه مـا يسـهم فـي تحقيـق النّصيّة ، لأن المحذوف يُعَامّل من ناحية الدلالة معاملة المذكور [1] .

3 ـ القـصر :

لغـةً : " الحـبس والالتـزام ، تقـول : قصـرت نفسـي علـى الشـيء إذا حبسـتها " [2] قـال تعـالى : ﴿ **حُـورٌ مَقْصُـورَاتٌ فِـي الْخِيَـامِ** ﴾ [3] ، أي محبوسـات ، وفـي الاصـطلاح : " تخصـيص شـيء بشـيء وحصـره فيـه ويسـمى مقصـوراً ، والثـاني مقصـوراً عليـه ، كقولنـا فـي القصـر بـين المبتـدأ والخبـر : إنمـا زيـدٌ قـائم ، وبـين الفعـل والفاعـل : مـا ضـربت إلا زيـداً " [4] ، والقصـر : توكيـد يقـوم علـى النفـي والاسـتثناء، وغرضـه الـذي يؤديـه لـيس جماليـاً ، إنمـا جـوهري يتعلّـق بمعـاني الجمـل ، وأسـلوبه يتكـون مـن ثلاثـة

---

[1] ينظر : علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، صبحي إبراهيم الفقي ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ج 2 ، ص 246 .

[2] مختار الصحاح : ج 1 ، ص 254 .

[3] سورة : الرحمن ،الآية 72 .

[4] التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري ت 1031هـ ، ج 1 ، ص 583 .

أركـان : أداة القصـر والمقصـور والمقصـور عليـه ، أي أحـد الشـيئين موصـوف والآخـر صفة [1] .

ومن نص (مهلاً يا رفيق) يقول الشاعر :

نحن لن نرضى بغير المصطفى ** أو نرى فينا إماماً غير طه [2] .

قصـر حقيقـي فيـه أمـر جـازم بـالنفي (لـن نرضـى ، لـن نـرى) بحـرف النصـب والنفـي (لـن) وهـي " حـرفٌ يخـتص بالفعـل وناصـبة أَشْـبِهت لا النافيـة للجـنس فـي معناهـا ، فعملـت عملهـا فيمـا اختصّـت بـه " [3] ، وبـأن تمـام الرضـى لا يكـون إلا بالمصـطفى ﷺ منهاجـاً وسـلوكاً وقـدوةً ، ولا يكتمـل ذلـك الرضـى إلا أن يكـون هـو الإمـام ، فهو الرحمة المهداة والنعمة المُسداة ، ومن نص (مزّقوا أكبادنا !) يقول الشاعر :

ليس بالشكوى يُـرَدُّ المعتـدي ** إنّما بالنار يُصْلـوْن لظاهـا [4] .

اسـتعمل صـيغة القصـر لتوضـيح أن لا تفـاهم ولا سـبيل لـرد العـدوان إلا بالنـار ، والعنـوان يبـرّرُ هـذا التوضـيح ، وإن الشـكوى هـي حجـة الضـعفاء ، وقـد أكّـد علـى ذلـك بفعـل النفـي النـاقص (لـيس) ، فجـاءت (إنمـا) فـي أمـرٍ معلـوم ؛ للتأكيـد علـى مـا دلّ عليـه القصـر ، وهـو يؤكـد علـى شـعار مـا أخِـذَ بـالقوة لا يُسْـتَرَدُّ بغيـر القـوة ، وفـي أسـلوبه دعـوة لـرصّ الصـفوف وتحـريض علـى الجهـاد المقـدس ، واستحضـارٌ لقولـه تعـالى : **﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْتَطَعْتُـمْ مِـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُـمْ ﴾** [5] .

ومن نص (البحث عن عنوان في شرفات فصر الحمراء) يقول الشاعر :

---

[1] ينظر : الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، ت 911 هـ ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهـرة ، ط 3 ، 1405 هـ ، ج 3 ، ص 166 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 52 .

[3] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام ت 761 هـ ، تح ، يوسف البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ج 1 ، ص 50 .

[4] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 71 .

[5] سورة الأنفال : الآية 60 .

ولم أشاهدْ سوى آثارَ قرطبةٍ ** وغيرَ غرناطةَ بالصمت تلقانا [1] .

اقتصر الأمر على مشاهدة ما تبقى من أثر الدمار الذي شهدته مدن الأندلس ، ومنها (قرطبة وغرناطة) [2] وهما من أجمل بلاد الأندلس اللتان دمرتهما الحرب في ذلك الوقت ، فعبر بالصمت الذي يوافق الدهشة والتحسر على الدمار .

ومن نص (سيّدُ القرارات) يقول :

لست أرضى بغير (يافا) دياراً ** وربا القدس قبلة ومزارا

بعد أم القرى وكعبةِ روحي ** في حماها نلقى الهدى والوَقارا [3] .

جاء القصر ليبيّن شدة تعلق الشاعر بالديار الفلسطينية وانحصاره في تأكيده على عدم الرضا والقبول بغير يافا وما حولها ، وفي ذكره يافا تخصيص لما لها من أهمية في نفسه ، ثم إنها من ضمن ما احتله الصهاينة من مدن فلسطين ، لا سيّما أن القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول الكريم ﷺ ، ولكنه استدرك في البيت الثاني وانتبه ، فذكر أم القرى مكة موطن سيد الكائنات ﷺ ومهد الرسالة المحمدية العظيمة .

الأمر :

ينفرد كلّ نص أدبي بنظام أدبي خاصُ تبعاً للمؤشّر الأسلوبي المكوّن له ، وهو الذي يرد في سياقه بنسبة ورودٍ عالية فيجعله " يتميّز عن نظائره في المستوى والموقف ويساعدنا على فكّ شفرة النص وإدراك كيفيّة أدائه لدلالته " [4] ، ويُعَدُّ أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية وهو " طلب الفعل

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 185 .

[2] ينظر : معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ج 4 ، ص 324 ، ص 195 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 301 .

[4] إنتاج الدلالة الأدبية : صلاح فضل ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1987 م ، ص 257 .

على وجه الاستعلاء والإلزام " [1] وهو أيضاً " طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقةً أو ادّعاءً أي سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر ، أم دعيَّاً لذلك " [2] ، وقد ورد هذا الأسلوب في أعمال الشاعر بكثرة ، ومن نص (غاية الأبطال ... إحدى الحسنيين) يقول :

قُمْ وصافح ملائك الرحمن ** واصنع المجد في ذرى عمّان

وامنح القدس من دمائك فيضاً ** وتمتّع بجنّةِ الرضوانِ

واكتب النصر بالدماءِ مضيئاً ** وتحدَّ الغزاةَ غير جبانِ [3] .

تعاقبت أفعال الأمر في النص ، فاشتملت الأبيات على سبعة أفعال مرتبطة تماماً بالعنوان، وهذا التكثيف يحيل ذهن المتلقي إلى مزيدٍ من التأمّل ، لا سيّما وأنّها تتضمّن الحث على صنع المجد الذي يولد من رحم المعاناة واستثارة الهمم الراكدة ، والسعي إلى تغيير واقع أليم إلى سعادة وفرحة ، فإما النصر أو الشهادة وهذا ما خرج إليه الأمر ، لذا جاء توظيفُ الأمرِ على نحوٍ مكثّف ، ولعلّ تجربة الشاعر تقوم في أهم وجودها على الطلب ، فهو طلب فعل كل ما من شأنه أن يسترد وطناً مسلوب الإرادة ، وهو ليس الأمر القائم على الاستعلاء والإلزام ، وإنّما القائم على معاني الرجاء والدعاء والتحريض ، وفي كل ذلك نصحٌ وإرشاد لرصّ الصفوف واستنهاض الهمم ، وتوجيه لأمرٍ إيجابي يجرّ من ورائه المنفعة الخالصة ، وإيحاء إلى لفظٍ اقترن بصفة الإله الخالق وهو (الرحمن) وأي فضلٍ أكبر من ذلك ؟.

ومن نص (الله أكبر) يقول الشاعر :

ردّدوها بلسماً يشفي الصّدورا *** وابعثوها في الدّنا ناراً ونورا

واحرقوا الغاصب في وقدتها *** وأحيلوا جنّة القدس سعيرا

---

[1] أساليب بلاغية : الفصاحة ـ البلاغة ـ المعاني ، أحمد مطلوب الرفاعي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1980 م ، ص 110 .

[2] الأساليب الإنشائية في النحو العربي : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط 1 ، 1979 م ، ج 1 ، ص 14 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 24 .

واملأوا الأجـواءَ بـارودا وقـــد ** كانـت الأجــواءُ ورداً وعبيـــرا

واصنعوا من بسمة الصبح لظىً ** واجعلــوا النسمة ريحــاً زمهريرا [1] .

تتخـذ صـورة الامـر شـحنة انفعاليـة فـي نفـس الشـاعر ، بتعـدد أفعـال الأمـر وتعاقبهـا ، وفـي الأبيـات المشـار إليهـا (7) سـبعة أفعـال (رددوا، وابعثـوا ، واحرقـوا ، وأحيلـوا ، وامـلأوا ، واصـنعوا ، واجعلـوا) ، وعلـى مسـتوى الـنص كلّـه بلغـت صـيغة الأمـر (27) سـبعة وعشـرين فعـلاً ، وهـذا نـابعٌ مـن انبثـاق عـاطفي ومتـوتر أظهـره السّـياق البلاغـي واللغـوي الـذي يبـرز الحالـة الشـعورية والنفسـية العاليـة والمضـطربة عنـد الشـاعر ، ممـا جعـل الأسـلوب يكتسـب جماليـة بلاغيـة خاصّـة ومثيـرة ، فهـو يستصـرخ الضـمائر الحيّـة يطلـب اشـتمل علـى معـاني النصـح والترغيـب ، الغايـة منـه اسـتنهاض الهمـم والحـث علـى الاسـتمرار فـي المقاومـة والـدوام عليهـا ، فهـي السـبيل الوحيـد لخـلاص الـوطن المحتـل ، وهـذا يلتقـي مـع قـول الشـاعر (حـافظ إبـراهيم) [2] وهـو يسـتنهض همّـة شـباب مصر :

لا تيأسـوا أن تستـردّوا مجدكـم ** فلـربّ مغلـوبٍ هوى ثـمّ ارتقـى [3] .

وجاء الامر بصيغة هي الامر مباشر كما في النص الأول ، والمضارع المسبوق بلا النهاية كما في النص الثاني .

الاستـــفهام :

يُعـدُّ أحـد أسـاليب الإنشـاء الطلبـي فـي الجملـة العربيـة ، وقـد لا يبحـث فيـه المـتكلم عـن إجابـة محـددة ، وإنّمـا يهـدف إلـى حضـور مـا يتحـدّث عنـه ؛ فيخرجـه عـن حقيقتـه إلـى مقاصـد أخـرى ، وأسـلوبه يفـيض علـى اللغـة قـدرة علـى التـأثير فيمـا يعبـر عنـه مـن المشاعر والأحاسيس .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 40 .

[2] محمد حافظ إبراهيم فهمي المهندس ، الشهير بحافظ إبراهيم شاعر النيل ، مواليد مصر 1872/2/4 م ، من أبرز شعراء العرب في العصر الحديث ، ترجم العديد من القصائد والكتب لشعراء وأدباء من الغرب ، مثل شكسبير ، وفكتور هوجو ، توفى في 1932/6/21م . ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 6 ، ص 76 .

[3] جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : أحمد الهاشمي ، ج 2 ، ص 379 .

في اللغة : المصدر من استفهم فهو مشتق من مادة (فهم) ، والفهم " معرفتك الشيء بالقلب ، وفهمت الشيء : عقلته وعرفته ، وفهمت فلاناً وأفهمته وفهّمته تفهيماً " [1] ، إذاً في أصل اللغة هو طلب الفهم ، وفائدته الاستفسار عن شيء مجهول للسائل .

وفي الاصطلاح : " طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلاً عمّا سأل عنه " [2] .

ومن نص (أمك !) يقول الشاعر :

أتنسى أنها قلبٌ مُعنّي ** وعينٌ في لياليها السّهاد ؟

وكفٌ هدهدت منك الحنايا ** إذا ما حلّ في الجفن الرقادُ ؟

فكم لاقت من الأيّام صدّا ؟ ** وكم صبرتْ وصبرُ الأمِّ زادُ ؟

تُكابدُ فيك إنْ أُوذيتَ قُربا ** وتشقى فيك إن طالَ البعادُ [3] .

العنوان في الأعمال الإبداعية هو الرسالة الأولى التي يرسلها الأديب أو الشاعر إلى المتلقي الذي بدوره يحكم على فاعلية انتقائه بشاعريةٍ فائقة ، حيث تؤدي لغة العنوان دوراً فاعلاً من حيث ارتباطه بدلالة النص ، وجاءت الألفاظ على سهولتها ومعانيها الموحية وجمال تعبيرها (قلبٌ معنّي ، وعين ، وكفٌّ) ، والاستفهام الإنكاري خرج إلى معنى التعجب والعتاب وبيان قيمة الأم في آنٍ واحد ، ومجيئه في مطلع الأبيات وتكراره على مستوى النص أكثر من (10) عشر مرّات ، إنّما يمثل بؤرة التعبير أو الفكرة الأم التي يدور حولها النص ، والشاعر أعاد ذاكرة المتلقي إلى الطفولة وأسّر ذهنه وشدّ انتباهه ؛ ليوضّح دور الأم في التربية وما تعانيه من أجل أبنائها ، تفرح لفرحهم وتحزن لحزنهم ، ويذكّره بقوله تعالى : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربّياني صغيرا** ﴾ [4] ، كما لوحظ على الشاعر أنه أقرب إلى الموروث الأدبي القديم ، ومن ثمّ يتم توظيفه في ألفاظه وتراكيبه ، وإن هذه التراكيب انصهرت فيها المعاني في نسيج التجربة الكلية للقصيدة ،

---

[1] لسان العرب : ابن منظور (فهم) .

[2] الكتاب : سيبويه ، تح ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1988 م ، ص 288 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 174 .

[4] سورة الإسراء : الآية 24 .

فكانت استلهاماً واعياً ، مما يدل على قدرة الشاعر وإمكاناته التعبيرية والشعرية في توظيف الموروث الأدبي توظيفاً إيجابيّاً ، وبالعودة إلى الألفاظ فقد شكّل منها الشاعر صورة فنية قديمة ومتحركة بحركة الكفّ التي بها تداعب وتغازل الأم طفلها بعبارات تبعث في نفسه الفرح والطمأنينة حتى يشعر بحنان أمه .

وفي البيت الثالث تكرر حرف الاستفهام ، وتكراره ليس بغرض السؤال ، وإنما بغرض بيان ما تقاسيه الأم طيلة حياتها من أجل تكوين أسرة يكون لها دورها الفاعل في المجتمع ، والتذكير ببيان فضلها الذي شرّفها الله تعالى به في قرآنه الكريم ، أضف إلى ذلك مراعاة النظير بين الأفعال (لاقت ، صبرت ، تكابد ، أوذيت ، تشقى)، لما فيها من التلاؤم والتناسب بين معانيها ، وجميعها تتعلق بالأم وصبرها ، فحنان الأم لا يتغير في القرب والبعد .

ومن نص (عوْدٌ إلى الله) يقول الشاعر :

أين من كان يناجي ربّه ** في ظلام الليل أو عند المغيب ؟

أترى قد ضاع في دوّامةٍ ** أم تُرى قد مسّه بعض اللغوب ؟

أم تراه ضائعاً في حيرةٍ ** أم تراه غاص في جرحٍ رعيب ؟ [1] .

بدأ استفهامه ب (أين) التي يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان وفيها تخصيص ، إذ هو يقصد شخصاً بعينه افتقده في مكان وزمان العبادة ، وهذا التساؤل أحال ذهنه إلى مزيدٍ من التفكير ، وفي ذلك دلالة على موقع الغائب ومنزلته في قلبه ، ثم تكرر الاستفهام بالهمزة بعد الفعل المضارع المبني للمجهول وأفاد إنكار ما كان ينبغي أن يكون ذلك منه ، أي أن يضيع في دوامة أو أن يمسّه اللغوب ، وإن كان أسلوبه يتضمّن الاستهجان أو التوبيخ لتلك الأفعال ، فإنه بالمقابل لا يخلو من تأنيبٍ وعتاب ويحرص على الرفق والملاطفة وما شابه ذلك من المشاعر الناعمة ، والشاعر يتجاهل أمثال هذه الصور التي تنكر الفعل الواقع من باب الحرص الشديد على من خصّه بالذكر، وإن لم يصرّح باسمه للعودة إلى الله تعالى كما أكّد على ذلك في العنوان .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 312 .

النـــــــــداء :

ظـاهرة غريزيـة فـي كثيـر مـن المخلوقـات ، لكنهـا ترقـى إلـى مسـتوى أفضـل وصـيغةٍ راقيـة عنـد الإنسـان لـيس باعتبارهـا وسـيلة اتصـال فحسـب ، وإنّمـا هـي أداة تعبيـر عـن المشـاعر والأفكـار منـذ فجـر التـاريخ ، وإذا كانـت معظـم لغـات الأمـم قـد تخلّـت عـن الأصـل الـدلالي الـذي وُضِـعتْ لـه أسـاليب النـداء واتجهـت إلـى الدلالـة الاصـطلاحية وأثرهـا ، فـإن العربيـة مـا تـزال تتمسّـك وتحـتفظُ بالأصـل الـدلالي للنـداء مـا جعلهـا تكتسـب علـى الدوام مراتب الرقي الفكري والنفسي والاجتماعي والحضاري [1].

والنـــداء : أسـلوب " يشـكّل أبـرز مظـاهر اللغـة الانفعاليـة نظـراً لمـا فـي أدواتـه مـن الصّـيحات الناتجـة عـن الانفعـال الحـاد والمؤديـة للوظيفـة الانتباهيـة والإفهاميـة عنـد المخاطـب وتوظـف هـذه الوظيفـة الانفعاليـة مـن القيمـة الإبلاغيـة والحـدّة التعبيريـة مـا لا طاقـة لغيرهـا بـه " [2] ، ولوجـود هـذه الصـلة الحميمـة التـي يعقـدها النـداء بـين طرفـي التواصـل اللغـوي يُـرَى أنـه غالبـاً مـا يكـون متلُـوّاً بـالأمر أو بـالنّهي، وقـد ثبـت فـي اللغـة العربيـة " أن النـداء إذا سـبق طلبـاً كـان دالّاً علـى شـدّة اهتمـام المـتكلم بهـذا الطلـب وحرصـه علـى تنفيـذه مـن جهـة وعلـى أن الأمـر مقصـورٌ علـى المنـادى مـن جهـة أخرى " [3] .

ومن نص (متى ؟) يقول الشاعر :

يا منية النفس يا أغلى مواعيدي ** ولحنِيَ العذب إن عزّت أناشيدي

وبلسم الجُرح والآلام في كبدي ** وطلعة الفجر في أيّاميَ السودِ

إذا ابتسمتِ فدنيا القلب ضاحكة ** وإن عبستِ فقلبي غير غرّيدِ

---

[1] ينظر : جمالية الخبر والإنشاء : (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، حسين جمعة ، ص 192 .

[2] قضايا الشعرية : رومان جاكبسون ، ترجمة محمد الوالي ، مبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، ط 1 ، 1988 م ، ص 27 .

[3] نداء المخاطبين في اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، عدد 9 ، 1987 م ، ص 85 .

متـى حنانـــك يرعانـي ويغمرنـــي ** وينتهـــي عهدُ آلامي وتشريدي؟ [1] .

وجـه الشـاعر خطابـه إلـى زوجتـه وقـد أثنـى عليهـا بمـا هـي أهـل لـه فـي هـذا الـنص وغيـره ، وقـد وظـف أسـلوب النـداء المتلطـف الـذي خـرج إلـى معنـى الإغـراء بكلمـات مألوفـة واضـحة المعـاني رقيقـة تبعـث الانشـراح فـي الـنفس وتقـوي وشـائج المحبـة بـين الـزوجين ، فجـاءت الألفـاظ ومجاوراتهـا التـي تناسـبها (منيـة القلـب ، لحنـي العـذب ، بلسـم الجـرح ، طلعـة الفجـر ، حنانـك يغمرنـي) ، تلـك هـي كلمـات تنـبض بالحيويـة والتفـاؤل بمـا هـو أفضـل ، يزخـر بهـا المعجـم الوجـداني للشـاعر " إن الكلمـة فـي التجربـة الجماليـة إشـارة حـرّة تـمّ تحريرهـا علـى يـدي المبـدع الـذي يطلـق عتاقهـا ويرسـلها صـوب المتلقـي " [2]، وبـالرغم مـن الدلالـة التـي تزخـر بهـا الكلمـة ، فإنهـا تبقـى أسـيرة السـياق فهـي مرتبطـة أشـد الارتبـاط بشـقيقاتها فـي التركيـب اللغـوي ، فالمجـاورة تزيـدها بهـاءً وتكسـبها رونقـاً وجمـالاً وتخرجهـا عـن الدلالـة المعجميـة إلـى دلالـة جديـدة " لأن الكلمـة تبقـى الوحـدة الأسـاس للبنـاء الفنـي اللغـوي " [3] ، وبالتضـاد كـان لتلـك الكلمـات مـا يقابلهـا فـي جانـبً آخـر يسـتهجنه الشـاعر ويتـألم منـه ؛ لأنـه ينغّـص حياتـه مثـل : (عـزّ أناشـيدي ، أيّـامي السـود ، قلبـي غيـر غرّيـدٍ ، آلامـي وتشـريدي) ومـع كـل ذلـك فـإن الشـاعر يحـذوه الأمـل الكبيـر فـي تخطـي كـل الصـعاب فـي وجـود زوجـةٍ وفيـةٍ مخلصـةٍ تقدر قيمـة زوجهـا وتحفظـه حاضراً وغائباً .

وخلاصـــة القـــول : أن الاســـاليب كانـــت متنوعـــة وعـــدم عـــرض النصـــح عنـــد الشاعر، لم تكن غرضاً لذاتها وإنما كانت وسيلة لتحقيق غرض الإرشاد .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 179 .

[2] تشريح النص : (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة) ، عبدالله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب لبنان ، ط 2 ، 2006 م ، ص 18 .

[3] عزف على وتر النص الشعري (دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية) عمر محمد الطالب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2006 م ، ص 58 .

المبحث الرابـــــــــع

الصـــــــــــــــورة

مـادة الأدب هـي ذلـك الكـون الفسـيح علـى امتـداد البسـيطة بطبيعتـه المختلفـة مـن مكـان إلـى آخـر وبطبـائع البشـر الخيّـرة والشـرّيرة ، الحانيـة والقاسـية ، ومـا يتخلـل كـل تلـك المظـاهر ، ومـا يصـحبُها مـن مشـاعر وأحاسـيس ومـا يترتّـبُ عليهـا مـن معـاني وأفكـار كـلّ ذلـك يشـكّل مـادة الأدب ، وعنـد تكـوين كـل التجـارب والمشـاهد والمعـاني والأفكـار ، فإنـه يسـتلزم صـورة تترجم عـن كـل ذلـك ، وتـوحي إلـى الـنفس بشـتّى الإيحـاءات حتـى تنطبـع فـي الأذهـان وتسـتقر فـي الأعمـاق ، وعلـى قـدر تعبيـر الصـورة ومـدى تأثيرهـا ووقعهـا فـي النفس ، يتوقف القبول لدى السامع أو القارئ .

ورد فـي اللسـان: " الصـورة فـي الشّـكل ، والجمـع صُـوَرٌ ، وقـد صـوّره فتصـوّر ، وتصـوّرتُ الشـيء : توهّمـت صـورته ، والتّصـاوير: التماثيـل " [1] ، وفـي التنزيـل قـال تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [2] .

قـال الجرجـاني : " واعلـم أن قولنـا (الصـورة) إنّمـا هـو تمثيـلٌ وقيـاس لمـا نعلمـه بعقولنـا علـى الـذي نـراه بأبصـارنا " [3] ، وعـن أثـر التمثيـل فـي الـنص الشـعري يُقِـرُّ بـدوره السـحري فـي الجمـع بـين المتناقضـات إذ يقـول : " يُريـك الحيـاة فـي الجمـاد ويُريـك التئامـاً بين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعينِ " [4].

الصـــورة الأدبيـــة هـــي : " تلـك الظـلال والألـوان التـي تخلعهـا الصـياغة علـى الأفكـار والمشـاعر ، وهـي الطريـق الـذي يسـلكه الشـاعر أو الأديـب لعـرض أفكـاره وأغراضـه عرضـاً أدبيـاً مـؤثّراً فيـه طرافـة متعـددة وإثـارة " [5] ، وإذا كانـت الصـورة تتفـاوت فـي تعبيرهـا مـن حيـث الرّفعـة والوضـاعة ، فإنـه مـن الأهميـة بمكـان أن يُؤْخَـذّ فـي الاعتبـار الصـورة التـي تُنَمّـي الـذّوق الأدبـي الرّفيـع ، وتعبّـر عـن الفـن القـولي الأصـيل النـابع مـن

---

[1] لسان العرب : ابن منظور ج 4 ، ص 85 .

[2] سورة الانفطار : الآيتان 7 ، 8 .

[3] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ص 317 .

[4] المصدر السابق : ص 445 .

[5] الصورة الأدبية في القرآن الكريم : صلاح الدين عبد التوّاب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ـ لونجمان ـ القاهرة ، ط 1 ، 1995 م ، ص 18 .

عمق التجربة الذي يُعمّق المشاعر ويهز الوجدان ، ما يجعل تلك الصورة باقية وخالدة وحيّة وماثلة في الأذهان تحرّك المشاعر والأحاسيس ، والصورة في أعمال الشاعر يوسف العظم كانت حاضرة بكثافة ومن ذلك :

الصورة الرمزية :

وتكون غالباً في شعر الأطفال وهي : صياغة رمزية إيحائية ، والإيحاء فيها مرهونٌ بقدرة الشاعر على تمثيل أفكاره ومشاعره في صور ذات أصلٍ مادّي [1] ، والصورة والرمز بينهما علاقة وطيدة ، فهما يشكلان تقنية إيحائية بما بينهما من التفاعل ، فالصورة جزء من الرمز الي يُسهِم في حركيّتها وبنائها داخل القصيدة ، ويلاحظ على الصور الرمزية كثرتها في القصائد الوطنية والوصف ، وعلى سبيل المثال عندما يتكلم الشاعر يوسف العظم بكثرة عن القدس ، فإنه يرمز إلى موروث ديني إسلامي وتراث عربي طويل الأمد في عراقته ، إضافة إلى رمزية القدس المعاصرة ، فالمستوى المكثف من الرمز والصور الرمزية عند الشاعر أفرزته الظروف المعاصرة .

ومن نص (نشيد الورد) يقول يوسف العظم :

قد تفتّحنا برفقٍ ** نحنُ باقاتُ الورودِ

وانتثرنا في ربانا ** كابتسامات الوليدِ

غير أنّا لا نبالي ** بحثالات اليهودِ

وإذا الأقصى دعانا ** فوسامٌ للشّهيد [2] .

تظهر الصورة الرمزية من خلال وصف الشاعر أطفال المسلمين بأنهم براعم متفتحة ذات بهجةٍ وأريج تشكّلت في صورة باقات من الورود تتضوع منها الروائح الجميلة فتملأ الأرجاء ، فاتخذ من الطبيعة رمزاً شكّل منه صورته الرمزية لأن الطبيعة

---

[1] ينظر: الرمزية في الأدب العربي الحديث ، أنطوان غطّس كرم ، الكشاف للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1949 م ، ص 12 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 398 .

ميدانٌ خصب يتسع لأفق الشعراء ؛ فتمدهم بما يؤدي أغراضهم الشعرية كافة ، وقد أجاد التصوير في قوله (برفق) وهذا يناسب تفتح الوردُ ، ثم يمزج صورة بأخرى في تشبيهه، انتشار الورود في الرّبا بابتسامات الطفل الصغير، وجعل الابتسامة بصيغة الجمع دلالة الكثرة التي تناسب كثرة انتشار الورود في الربا ، مما أضفى في البيت صوراً تخيّليّة جعلت المتلقي يتمثّل صورتي المشبه والمشبه به ، كما أراد الشاعر أن يعبّر بقرب الصورة بين تفتح الأزهار والابتسامة وتقريبها للمتلقي من حيث المعنى الذي أبانته وأكدته فتتكوّن عنده الصورة الذهنية " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان [1] ، بمعنى أن كلّ شيء له وجود خارج الذهن ، فإنه إذا أُدْرِكَ حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أُدْرِكَ منه .

وفي البيت الثالث استدراك والتفات ؛ لبيان وإظهار قوة السواعد الصغيرة التي وصفها بباقات الورود ، وهي صورة رمزية لتلك السواعد التي ينتظرها مستقبل حمل أعباء المسؤولية في التصدي للعدوان ، وهذا الأسلوب له فائدته ، كما أشار إلى ذلك (الزركشي) [2] بقوله : " التفنن والانتقال من أسلوبٍ إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع واستجلاب صفاته واتساع مجاري الكلام وتسهيل الوزن والقافية " [3] ، ولإثارة ذهن المتلقي أكثر ، فإنه أظهر عدم المبالاة والاكتراث بمن وصفهم وأشار إليهم برمز(حثالات) وهذا التهكم والسخرية منهم ، إنما أنتجته ظروف الواقع المعيش حيث الاستبداد والتسلّط الصهيوني على مقدسات المسلمين ، ويختم بدعوة مفادها التأكيد على تلبية داعي الجهاد ، وأن الباقات المشار إليها تتحول إلى أبطال يطلبون الشهادة فيتحصّلون على الوسام من أجل دينهم ووطنهم .

ومن نص (لا يضير الكريم كيد الأعادي) يقول الشاعر :

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، ت 684 هـ ، تح ، محمد بن الحبيب الخوجة ، مكتبة دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1966 م ، ص 18 .

[2] هو: أبو إسحاق الزركشي الكاشغري ، نسبة إلى كاشغر من مدن وسط بلاد الترك وُلِدَ ببغداد 554 هـ ، تولّى مشيخة المدرسة المستنصرية في بغداد ، وبها توفى في 645 هـ ، صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن ..ينظر : تاريخ إربل : المبارك بن أحمد اللخمي ابن المستوفي ، ت 637 هـ ، تح ، سامي بن سيّد الصّقار ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1980 م ، ج 2 ، ص 552 .

[3] البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، ص 390 .

وعبيـــــر الزهـور يمـلأ نفســي ** وخريـر الميـاه فـي وديانـــه

وغنـاء الشحـرور فـي كـل روضٍ ** وهديـل الحمـام فـي أغصانـه

وغصـون الزيتـون رفّـت جفونـاً ** وخـدود المـلاح فـي رمّانـــه

وصهيل الخيول فـي ساحـة المجـد ** وســـرب الظبـاء مـن غزلانـه

أنـــا أهـوى ربوعـه وفـــؤادي ** نبضـاتٌ مـن روحـه وجنانـه [1] .

وتبدو الرموز واضحة من خلال العيد وغناء الشحرور الزيتون وكلها صور رامزه للطبيعة وتحث على حب الوطن .

اكتسـحت اللغـة الرمزيـة الكتابـة الشـعرية المعاصـرة بعـدما تجـاوزت اللغـة التقليديـة لغـرض الالتفـات إلـى مشـاعر وتجـارب الشـاعر فـي نسـيج لغـوي غـامض ؛ " مـا يسـتدعي جهـداً كبيـراً فـي القـراءة ، كمـا ينبغـي وجـود قـارئ مـن نـوعٍ خـاص يمتلـك مرجعيـة معرفيـة عميقـة " [2] ، والشـاعر لجـأ إلـى الطبيعـة بمـا فيهـا مـن عناصـر مختلفـة ومتنوعـة بـين مـا هـو حيـواني ونبـاتي إلـى جانـب الظـواهر الطبيعيـة المرتبطـة بـالكون ، لقـد توالـت الصـور الرمزيـة فـي الـنص ولفتـتْ انتبـاه المتلقـي حتـى وصـلت إلـى مـا يعـرف " (بالحبكـة) وهـي مـن أهـم عناصـر العمـل الـدرامي تُـنَظّم وتـربط أجـزاء العمـل ككـل وهـي بمثابـة الـروح للجسـد " [3] ليـأتي البيـت الأخيـر ، فيكشـف اللثـام عـن مقصـود الشـاعر ومبتغـاه ، وهـو حُبّـهُ المتجـذر لوطنـه الـذي يمثـل لـه نـبض فـؤاده ، وبـذلك تتجمّـع كـل تلـك الصـور الرمزيـة في الصورة الكليّة الواحدة التي يمثلها شيء له معنى كبير اسمه الوطن .

الصـــــورة الأسطوريـــة :

الأسـطورة : " قصـــة خياليـــة ذات أصـــلٍ شـــعبي وتـــاريخي تمثـــل فيهـــا قـــوى الطبيعـة ، ويكـون لأفعـالهم ومغـامراتهم معـانٍ رمزيـة كمـا تمثـل صـورة المسـتقبل الـوهمي الـذي يعبـر عـن عواطـف النـاس ، وهـي الصـورة الشـعرية أو الروائيـة التـي تعبـر عـن أحـد

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 373 .

[2] الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري : عبد الحميد هيمة ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، بوزريعة ، الجزائر ، 2005 م ، ص 77 .

[3] فن الشعر : أرسطو ، ترجمة إبراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص 98 .

المـذاهب الفلسـفية بأسـلوب رمـزي يخـتلط فيـه الـوهم بالحقيقـة " [1] ، والشـاعر **يوسـف العظم** لم يكن مكثراً في أعماله من هذا النوع من الصورة .

ومن نص (تحية للجزائر) يقول الشاعر العظم :

فَطِـرْ بنـا يـا بسـاط الريـح منطلقـاً ** وسابـقِ الطيَـر مـن نسـرٍ وعقبـانِ

حتـى تحـطّ بنـا فـي ظـلِّ وارِفـــــةٍ ** ثمارهـا الحـب تسْقِـي فيـض وجـداني [2] .

اختـار الشـاعر أن تكـون رحلتـه الجويـة إلـى الجزائـر ، ووسـيلته فـي السـفر بسـاط الـريح الاسـم الأسـطوري فـي التـراث العـالمي القـديم ، يشـقُّ بـه الفضـاء الرحـب وهـو الحيّـز المكـاني للرحلـة ، فكـان الحـوار قـد بـدأ بفعـل الأمـر ويـاء النـداء بـين شخصـيتين متناقضـتين فـي الظـاهر ، فالإنسـان عاقـل يمثـل الحيـاة الأرضـية الماديـة ، والثـاني شخصـية بسـاط الـريح الطـائر الأسـطوري ، بأسـلوبٍ رومانسـي عبّـر الشـاعر عـن أحاسيسـه التـي امتزجـت بعناصـر الطبيعـة ومنهـا الطيـور ، وقـد بيّنـت هـذه الرحلـة أهميّتهـا بالنسـبة لـه ولفتـت انتبـاه المتلقـي ، فكانـت وسـيلتهً للتعبيـر عـن أهميـة المكـان الـذي انطلقـت إليـه الرحلـة ، ولعـل فـي إشـارته إلـى بسـاط الـريح مـا يفيـد تـأثره بقصـص كليلـة ودمنـة (لابـن المقفـع) [3] ، وطـوق الحمامـة (لابـن حـزم الأندلسـي) ، وألـف ليلـة وليلـة وغيـر ذلـك مـن القصـص التـي تـأثر بهـا ، فصـارت حاجتـه إلـى بسـاط الـريح ؛ ليسـابق الـزمن حتـى يصـل إلـى مبتغـاه ، وعليـه فـإن جمـال الطبيعـة كـان مصـدراً مهمّـاً ارتـبط بـذات الشـاعر المنطلـق مـن انفعـالٍ وشعور نحو الطبيعة .

الصـــــــــورة الخيالية :

الخيـال : " الظّـن والتـوهّم ، وَكِسـاءٌ أسـود يُنصـبُ علـى عـودٍ يُخيّـلُ بـه للبهـائم والطيـر فتظنّـه إنسـاناً ، وهـو : مرتـع الأفكـار كمـا أن المثـال مرتـع الأبصـار ، والخيـال قـد

---

[1] المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، 1994 م ، ج 1 ، ص 67 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 50 .

[3] هو : عبد الله بن المقفع ت 142 هـ ، من أئمّة الكتّاب وأول من عنى في الإسلام بترجمة كتب المنطق ، له رسائل منها : الأدب الصغير ورسالة الصحابة واليتيمة ..ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج 4 ، ص 140 .

يقال: للصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته في المنام أو في اليقظة " [1] ، والصورة الخيالية ترتبط بالخيال الشعري الذي يعني : " إعادة تشكيل حالات المتلقي العاطفية وبخاصةٍ التعبير عمّا قد يصاحبه من تأثيرٍ أو لذّةٍ أو حادثة انفعالية " [2] ، ومن أهم الأسس التي تنهض عليها الصورة هو الخيال ، لما يمثله من دور فعّال في بنائها من حيث كونه " وسيلة من وسائل التقنية المُفْضية لابتداع الصورة الفنيّة " [3] وهو يقدم للقارئ صوراً فيها متعة نفسية وعقلية تبعثُ فيه روح النشاط ولذة الفكر ، وتجعل ذهنه دائب الحركة والنشاط ويدرك في الصورة جديداً كلّما قرأها ، لهذا عُدَّ الخيال " عنصراً أصيلاً في الصورة وإليه يرجع تحقيق الاندماج بين الشعور وغير الشعور عند الشاعر وبه يتحقق التوافق والتنوع ، وبهذه العناصر يتولّد العمل الفني " [4] وعندما يقترن الخيال **بالتشبيه** ، فإنه يضفي على النص جمالية تترسخ في ذهن المتلقي وتشد انتباهه كما في نص (الأخوّة في الله) يقول يوسف العظم :

وإنّي كنبع الماء يجري مسلسلاً ** ولكنّني في الحقّ أقسى من الحجر [5].

تشكّلت الصورة في البيت من أربعة دعائم لتكوينها ، فجاء التوكيد أوّلاً بالحرف (إنّ) ؛ لبيان صفة المتكلم وإسناد صفته إلى شيءٍ عظيم ، وهو الماء الذي أحيا الله سبحانه وتعالى به كلّ شيء في قوله : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [6] ، فأراد تقوية الكلام وتثبيته وإزالة الشّك وترسيخ اليقين في ذهن السّامع وهذا يضفي على النص قيماً وأبعاداً جمالية ، ثم أردف ثانياً **بالتشبيه الذي هو** : " عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفةٍ واحدةٍ أو أكثر بأداة

---

[1] الكلّيات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب محمد الحسيني الحنفي ت 1049 هـ ، تح ، عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج 1 ، ص 431 .

[2] نظرية اللغة والجمال في النقد العربي : تامر سلوم ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، اللاذيقية ، ط 1 ، 1983 ص 170 .

[3] قضايا الإبداع الادبي : حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق 2003 ، ص 36 .

[4] الصورة في شعر بشار بن برد : عبد الفتاح صالح نافع ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ، 1984 م ، ص 61 .

[5] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 401 .

[6] سورة الأنبياء : الآية 30 .

لغرض التعلم " [1] ، فرسم الشاعر صورة لنفسه جعلته يتخيّل فيها أنه يرتقي إلى مستوى قيمة الماء ذلك النبع المتدفق في سهولة ويُسْر ، وكان لأداة التشبيه (ك) دورها البارز في الربط بين التوكيد والتشبيه ، أظهر من خلال ذلك ترفُّعه عن الدنايا التي يتصف بها غيره ، وبذلك اتضحت فائدة التشبيه الذي هو في حقيقته " تصوير يكشف حقيقة الموقف الجمالي الذي عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع ويرسم أبعاد ذلك الموقف " [2] .

وثالثاً جاء الاستدراك في الشطر الثاني من البيت الذي " وسيلته أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثمّ يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني " [3] ؛ ليؤكد به صفته الثانية في المقابلة بين (يجري مسلسلاً ، أقسى من الحجر) ، فبقدر ما هو ليّنٌ في أسلوبه وطبعه كنبع الماء ، لكنه أقوى من الحجر في المواقف التي تتطلّب ذلك ، والدعامة الرابعة كانت المقابلة التي تولّدت عنها حركة أثارت في ذهن المتلقي مزيداً من الانتباه ، ولعلّ الشاعر من خلال ذلك أراد توصيل الخطاب بهذا الأسلوب وترسيخه بزيادة التوكيد بعد الاستدراك .

ما يلاحظ على الشاعر يوسف العظم ، توقّده الخيالي المبالغ فيه أحياناً ، والذي يجسّد به تجربته في شكلٍ أكثر اتساعٍ ، وقد يكون ذلك لضرورةٍ نابعة من تجربته الشخصية ، كما أن لهذا الخيال المتزايد ينابيعه التي تتفجّر في مستوى الحاجة إلى تشكّل ضرورة متزايدة ونصوصه السابقة تدل على ذلك .

ومن نص (حوار في بلادي) يقول يوسف العظم :

---

[1] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1992 م ، ص 188.

[2] التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية : عدنان حسين قاسم ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة 2000 م ، ص 53 .

[3] العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ابن رشيق القيرواني ، ت 463 هـ ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط 5 ، 1401 هـ ، 1981 م ، ج 2 ، ص 45 .

ألـفُ ليـثٍ كأنّــهم ألـفُ جيـشٍ ** فـي ذرى زحفِهـم يَسـيرُ الحِمَـامُ [1].

اسـتمد الشـاعر مـن الطبيعـة مـا يُشـكل بـه صـورة تعتمـد علـى الخيـال ، واختـار منهـا (الليـث) الرمـز البـارز فـي الـنص والـذي يعنـي : " الأسـد والشـدة والقـوة والشـجاعة " [2]، ثـمّ (الجـيش) وهـو: " جَيَشـانُ القـدر ، وكـل شـيء يغلـي فهـو يجـيش ، حتـى الهـمُّ والغصّـةُ فـي الصـدر ، والبحـر يجـيش إذا هـاج ولـم يُسْـتَطَعْ ركوبـه ، وحـين يسـيرون لحـرب ونحوهـا " [3] ، وهـذا الحقـل مـن الأهميـة بمكـان بالنسـبة إلـى الشـاعر ؛ لأنـه يتميّـزُ بالحيـاة والحركـة ، فـإلى جانـب أنـه يمثـل بيئـة الإنسـان الاقتصـادية مـن غـذاءٍ وكسـاءٍ وتنقـل ، فإنـه بالمقابـل حقـلٌ يثيـر المخـاوف لمـا يتضـمّنه مـن عناصـر تشـكّل خطـراً علـى الإنسـان لا سـيّما مـا يتعلّـق بالحيوانـات المفترسـة ، ومـا زاد الصـورة الخياليـة أكثـر تعلّقاً فـي ذهـن المتلقـي هـو حصـر أعـداد مأهولـة (ألـف ليـث ، ألـف جـيش) وكـان الـرابط بينهمـا أداة التشـبيه (كـأنّ) ، فهـذا الوصـف قـدّم للقـارئ تفصـيلات عـن ضـخامة وشـجاعة أولئـك المعنيـين فـي تصـويره ، فسـعى إلـى اعتمـاد أسـلوب التشـبيه بغيـة نقـل الصـورة إلـى المحسـوس المـدرك لـدى المتلقـي ، وقـد لجـأ لاسـتخدام الرمـز إمّـا أن يريـد عامـداً التلمـيح دون التصـريح ، أو لتفجيـر طاقـة شـعورية لا يمكـن تفجيرهـا إذا عبّـر عـن مـراده مباشـرة ، فاسـتخدم مـا هـو شـديد فـي قوتـه وسـطوته ؛ ليتناسـب مـع الموقـف ولِيَخْـدِم بـه غرضـه الفني ويسهم في إغناء عمله الأدبي.

ولـم يكـن هـذا التضـخيم العـددي بأقـل أهميـة فـي جعـل الصـورة المتخيلـة أكثـر تعلّقـاً فـي ذهـن المتلقـي ، ولا شـكّ فـي أن التجـاوب الموسـيقي مـن تماثـل الكلمـات مثـل : (ألـف ليـث ، ألـف جـيش) تمـاثلاً كـاملاً أو ناقصـاً تطـرب لـه الأذن وتهتـز لـه أوتـار القلـوب ، ولعـلّ الشـاعر بهـذا التفخـيم لقـوة جـرس اللفظـين أراد اخـتلاب الأذهـان وخـداع الأفكـار حيـث " يـوهم أنـه يعـرض علـى السـامع معنـىً مكـرّراً أو لفظـاً مـردداً لا يجنـي منـه السـامع

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 420 .

[2] المعجم الوسيط : ج 2 ، ص 849 .

[3] معجم العين للخليل بن أحمد : ج 1 ، ص 46 (جيش) .

غير التطويل والسّآمة ، فإذا هو يروع ويعجب ويأتي بمعنى مستحدث يُغَيِّرُ ما سبق كلّ المغايرة ؛ فتأخذ السامع الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة " [1] .

وفي الشطر الثاني من البيت يعمد إلى أسلوب الفخر ، الذي يخلع فيه عن نفسه كلّ أسباب الضّعف ويلبس ثوب القوة من أجل إلباس المعاني ثوباً أدبيّاً ، فيحسن وقعها عند السّامع بتصوير تلك الجموع وهي زاحفة ، وقد أيقنت أن الموت يسير في ذراها ، لكنّها لم تبالِ بالعواقب لكثرة عددها ، فاكتملت الصورة بالتشبيه البليغ حيث غابت فيه الأداة ، وأضاف إليه الاستعارة في قوله : (يسيرُ الحِمامُ) ، فأسند للموت صفة السير التي هي من لوازم الإنسان والحيوان .

إن الاهتزاز الذي يحدث في نفس المتلقي سببه مؤلف النص الذي استطاع أن يصل إلى شغاف القلوب ، وإن التأثير الذي يعتري السامع هو من جرّاء حدثٍ أفرزته الصورة بأنواعها وفاجأت المتلقي إما بالمتعة وإما بالدّهشة .

الاستعـــــــــارة :

طغت صفة التشخيص على النمط التصوري الاستعاري في شعر يوسف العظم ، وكانت الأكثر تجلّياً من صفتي التجسيد والإيحاء ، أراد الشاعر من خلالها أن يستنطق الأشياء الجامدة والحية ، ويبعث منها الحياة بآلية الأنسنة (أي تأخذ صفة الإنسان) ، فالخيال الطليق يكون عوناً للشاعر على أن يخلق المعنى بصورته ، وبالنسبة للمتلقي فإن الصورة الاستعارية تقذف به في عالم التخيل ، فتجعله يتفحّص وجه دلالة الصورة وماهيتها ، والشاعر كَثُرتْ في أعماله مثل هذا النمط من الصورة .

الاستعارة في اللغة : من استعار الشيء : أي طلبه ، والعارة : ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، التعاور: التداول ، وعليه : فإن أصل المادة وما اشتق منها يدور حول العطاء وطلبه[2] .

---

[1] البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1979 م ، ص 167 .

[2] ينظر : المعجم الوسيط : ج 2 ، ص 636 .

وفي الاصطلاح : " أن يكون للّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلّ عليه الشواهد على أنه اختصّ به حين وُضِع ، ثمّ يستعمله الشاعر أو غيره في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية " [1]

ومن نص (بلادي) يقول الشاعر :

على رباكِ بلادي قد زكا الأجل ** وأينع الحبُّ والإيمانُ والأملُ

وصفّق المجدُ والتاريخُ في طربٍ ** وساحة المجدِ والتاريخِ تشتعلُ

لتحرِقَ الظّلْمَ بالنّارِ التي اندلعت ** وتهدي الناس بالنور الذي حملوا

فإن وردنا حياض العزِّ نشربُها ** وإن لقينا قيود الذُّلِّ نرتحلُ [2] .

اشتملت الأبيات على عدة استعارات تسندها الكناية ، وهذا الحشد الكبير والتكثيف ينُمُّ عن محاولة الشاعر إظهار نصّه بأسلوبٍ له قيمة تميّزه بالأصالة ، وهذه الأصالة تعود إلى حساسيّة وذوقية ذات رهافةٍ فنيّة جعلته يتحرّى الدّقة ويتعهّد الانتقاء لمكونات النص ، فجاءت الاستعارة **المكنية** وهي : " التي لم يصرّحْ فيها باللفظ المستعار ، وإنما ذُكِرَ فيها شيءٌ من صفاته أو لوازمه " [3] ، في صورةِ جُمَلٍ متتالية (زكا الأجل' ، أينع الحبُّ ، صفّقَ المجْدُ ، ساحة المجد تشتعل ، لتحرقَ الظلم) ، وفي كل جملة انتقل المعنى إلى غير مكانه ، فألزم صفة العقل للأجل ، وأينع الحب وهذه من خاصيّة الثمار ، والتصفيق من لوازم الإنسان ، وساحة المجد الاشتعال فيها من خاصية النار ، وفي الشطر الثاني من البيت الثالث **كناية** عن أن النور هو هداية الإسلام .

وفي البيت الأخير كان للاستعارة **التصريحية** دورها إذ " صرّح فيها بذات اللفظ المستعار الذي هو في الأصل المشبه به حين كان الكلام تشبيهاً " [4] ، فقد

---

[1] أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ، ص 10 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : 422 .

[3] البلاغة العربية : عبد الرحمن حسن حبنّكة الدمشقي ، ج 2 ، ص ، 243 .

[4] المصدر السابق : ج 2 : ص 242 .

أطلق لفظ (حياض العز) وأراد علوّ المكانة والشرف والمراتب العليا ، وجاء الشطر الثاني ليزيد الأول تقويةً وتأكيداً ، وتزامن ذلك مع أسلوب الشرط الذي يأخذ حيّزاً في فضاء النص يثير في المتلقي رغبةً في معرفة الجواب ، ثمّ ضمير الفاعل المتكرر في مصراعي البيت (نا) الدالة على الفاعلين ، وتكراره ذو فاعلية في الحقل الدلالي من حيث الكثافة والعمق ، فكأنه المنبّه الذي ينبثق منه المعنى في وجود الجملة الفعلية المتبوعة بأخرى والدّالّتين على الاستمرارية ، فصارت الاستعارة أكثر حركية تشابكت من خلالها انفعالات فكرية ونفسية ، وإن كانت هذه الحركة موجودة في التشبيه ، فإنها في الاستعارة أكثر غنىً وثراء ، وبالنسبة إلى النص أدخلت عليه عدداً من العناصر أسهمت في تكوين نسيج كلّي بدأ من صور جزئية إلى أن تكاملت معه الصورة التي حملت التشويق ، وأحالت ذهن المتلقي إلى مزيدٍ من التأمل والتخيل، وهذا الذي من أجله بنى الشاعر نصّه على هذا الأسلوب .

الكِنـــَـــــايَة :

يستعمل الشاعر الأسلوب الكنائي كوسيلة فنية في البيان تساعده في ضبط المعاني بالرمز بعيداً عن المباشرة والوضوح على أن يتّخذها تقنية إيحائية ، والكناية تُبنى على معنيين " معنى مباشر وصريح ومعنى آخر غير مباشر خلف المعنى الجلي الواضح .

الكنـــاية لغة : " أن تتكلّم بشيء وتريد غيره ، وقد كنّيتُ بكذا عن كذا وكنوتُ ، واكتنى فلانٌ بكذا، والكنية بالضم والكسر : واحدة الكنى " [1] ، وفي الاصطلاح : " لفظٌ أُريدَ به لازم معناه مع جواز إرادة معناه ، كقولك : فلانٌ طويل النجاد : أي طويل القامة [2] .

وتُعدُّ الكناية من فنون البلاغة التي تؤدي دورها في تقوية المعنى وإبرازه ، ولكنها تحتاج إلى شيءٍ من الدّقَةِ لما يكتنفها من غموض ، فالشاعر أو الكاتب

---

[1] الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية : اسماعيل الجوهري ، ج 7 ، ص 327 .

[2] الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تح بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1419 هـ ، 1998 م ، ص 301 .

الفصيح أو المتكلّم النّبِيه هو الذي يلجأ إلى أسلوب الكناية أحياناً لإخفاء المراد عمّن لا تسعفهم ألبابهم لإدراكه .

ومن نص (البابُ الذي لا يُغْلَقْ) يقول الشاعر :

ضاقت بيَ النفس حتى كدت أختنق ** واجتاح زورقَ عمري الموجُ والغرقُ

ولفّني الصّمت حتى كاد يسحقني ** كأنّني لوجيب القلب أسترق[1] .

يرسم النص صورة اضطراب نفس الشاعر وحزنه ، الأمر الذي وصل بهذه الحالة درجة الاختناق ، وهذا ما دلّ عليه فعل المقاربة (كاد) ، كما أن هذه الحالة دلّت على الندم الذي يعتريه ، ذلك ما أوضحته الكناية في شطر البيت الثاني ، ولكنّ أمله ورجاءه في الله تعالى كبير في (البابُ الذي لا يُغْلَقْ) ذلك هو عنوان النص الذي لجأ إليه ، ويمثل العتبة الأولى للنص ، وله إسهامُهُ في توضيح الدلالات ، والمفتاح الرئيس لسبر أغواره .

ويوسف العظم استخدم هذا الأسلوب في قوله : (واجتاح زورقَ عمري الموج والغرق) ، وألفاظ : الاجتياح والموج ثم الغرق جاءت متناسقة في ترتيبها ، ودلالتها تحتوي نبرة القوة والضخامة ، وتفصح عن صورة متحركة ومضطربة انحصرت في تقدم عُمُر الشاعر في مرحلته الأخيرة ، وعندما شعر بدنوِّ أجله ضاقت نفسه حتى قاربت على الاختناق ، ولعلّ في ذلك حسرةً وندماً على ما فرّط في جنْبِ الله سبحانه عندما كان في مقتبل عمره . أمّا البيت الثاني فيكاد أن يكون شرحاً مفصلاً لحالته في البيت الأول ، ومن هنا تظهر أهمية الصورة الكنائية بوصفها وسيلة تعبيرية موحية بأوسع المعاني وأدقّها في ألفاظٍ موجزة ،كما أن للتعبير الكنائي علاقة بالبيئة الاجتماعية للشاعر ، غير أنّ الكناية لا تتحقق فنّيّتُها ما لم تتعاضد معها عناصر البيان الأخرى كالتشبيه والاستعارة ، فاستخدم الاستعارة في قوله : (لفّني الصّمت ـــ يسحقني) والتشبيه في قوله : (كأنني لوجيب القلب أسترق) ، وبذلك يكون قد مزج بين عناصر

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 66 .

البلاغـة الرئيسـية ، وبهـذا التعاضـد بـرزت الكنايـة بوضـوح وصـارت ملمحـاً مـن ملامـح الإشارة ، اتكأ عليه الشاعر للتعبير عمّا يربده بشكل غير مباشر .

ومن نص (على شاطئ بحيرة " نيوأورليانس" بأمريكا) قال يوسف العظم :

عجبـتُ فـي غربتـي: حـرّاً بـلا حـذرٍ ** وفي بلادي عيون البغي ترصدني

تحصي علينـا حديثـاً حيـن نهمسـه ** وتستبدّ فتـذكي جمـرة الفتـنِ [1] .

بـدأ الشـاعر بالتعجـب الـذي يـدعو إلـى التّسـاؤل والحيـرة مـن أمـرٍ مـا ، لا سـيّما وأنـه غريـبٌ فـي غيـرِ وطنـهِ وأهلـهِ الـذين يـرتبط معهـم نفسـيّاً وعاطفيّـاً واجتماعيّـاً ، وقـد يكـون مجبـوراً علـى ذلـك ، أو حبّـاً فـي الانتقـال إلـى بلـدٍ أخـر لأمـورٍ خاصّـة بـهِ ، وفـي غربتـه لجـأ إلـى تصـوير مـا يشـعر بـه هنـاك فيتعجّـبُ ، إذ كيـف يشـعر بالأمـان والحريـة فـي غيـر وطنـه ؟ والأَوْلَـى أن يكـون كـذلك فـي بـلاده ولـيس العكـس ، فجـاء الأسـلوب الكنـائي فـي الشـطر الثـاني مـن البيـت ؛ ليكشـف عـن السـبب وهـو(عيـون البغـي) كنايـة عـن المخبـرين أو مـا يعـرف برجـال الأمـن وفـي قولـه : (ترصـدني) ذلـك مبعـث الخـوف والفـزع الـدائم ؛ لأن الفعـل دلالتـه الاسـتمرارية ، ولـم تكتـفٍ تلـك العيـون بالرصـد فحسـب ، بـل إنهـا تعلـم حـديث الهمـس ، وفـي ذلـك كنايـة عـن المراقبـة اللصـيقة والتّنَصُّـتْ علـى مـا يـدور مـن حـديث وإن كـان مهموسـاً ، فالكنايـة تـدعو المتلقـي إلـى اكتشـاف المعنـى المتخفّـي وراء المعنـى الأصـلي ، فيشـعر بلـذّة الكشـف عنـه ، وفـي محاولتـه الوصـول إلـى المعنـى المقصـود تتكـوّن عنـده حركـة نفسـية تحرّكهـا صِـوَرٌ خياليـة يستحضـرها المتلقـي فـي صـورة ومضـات متكـررة ؛ ليصـل مـن خلالهـا فـي نهايـة الأمـر إلـى معنـىً ثابـت يترسّـخُ فـي العقـل ويتـأثّرُ بـه القلـب ، وفـي قولـه : (تسـتبد) فالاسـتبداد والظلـم مـن صـفات عيـون البغـي وقـد أجـاد فـي وصـفه ، ويختـتم بالاسـتعارة التـي رسـمت هـي الأخـرى صـورة تثيـر كـوامن المتلقـي ، فـإلى جانـب اسـتبداد العيـون وظلمهـا ، فإنهـا تـذكي الفـتن التـي تـؤدي إلـى الدمار.

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 356 .

المبحـــث الخامـــــــــــس

الإيقـــــــاع الشعـــــــري :

البنيـــة الإيقاعيـــة تتموضـــع داخـــل الخطـــاب الشـــعري والنثـــري علـــى حـــدٍ ســـواء بوصفهما نتاجين من نتاج اللغة .

ولمّـا كـان الإيقـاع مـن نتـاج اللغـة ، فهـو يحمـل تناغمـات داخليـة وخارجيـة أفرزتهـا الخصـائص الإيقاعيـة للغـة العربيـة مـن خـلال مـا يظهـر مـن التّقابـل الصّـوتي ومـا يحصـل مـن التوافـق فـي الجـرس ، فالعربيـة كانـت ولا تـزال تتميّـز بزخامـة إيقاعهـا إذ أن " حروفهـا كاملـة فـي مـدرجها الصـوتي ، حسـنة التوزيـع للحـروف ، والأصـوات فـي هـذا المدرج مميّزة في المخرج والصفات [1] .

أوّلاً : الموسيقى الخارجية :

يتميّـز الشـعر العربـي منـذ القـدم بخاصّـيّة موسـيقاه التـي تطـرب الأسـماع ، وبـذلك عرّفـه القـدماء بأنّـه " كـلامٌ مـوزونٌ مقفّـى يـدُلّ علـى معنـى " [2] ، لمـا رأوا فيـه مـن مقـاطع الكـلام الخاضـعة إلـى ترتيبٍ خـاص بتـردد القـوافي وتكرارهـا وهـذا مـا ميّـزه عـن النثـر ، وإلـى جانـب تعلـق الشـعر بـالمعنى ، فهنـاك الخيـال والصـور التـي تـؤثّر فـي الـنفس وتثيـر العاطفة ، وقد تمثّلت الموسيقى الخارجية في الوزن والقافية.

1 ـــ الـــوزن :

الشـعر العربـي القـديم علـى امتـداد تاريخـه اقتـرن بـالوزن الـذي بـه تنـتظم الألفـاظ وتكـوّن موسـيقى خارجيـة ، ويراعـى فيـه اتّفـاق الأبيـات فـي الـوزن الواحـد داخـل الـنص الشـعري بحسـب البحـر الـذي بُنِيَـتْ عليـه القصـيدة ، ومـن خلالـه يظهـر تعاقـب الحركـات والسّـكنات التـي تتشـكّل منهـا الأسـباب والأوتـاد والفواصـل، ومـن مميـزات الشـعر القـديم أن الأبيـات الشـعرية التـي يتكـون منهـا الـنص الشـعري تسـير علـى نسـقٍ واحـد منـذ زمـن مؤلّـف علـم العَـرُض (الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي ت 175 هـ) ، الـذي اسـتطاع أن يضـبط

---

[1] فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط 3 ، 1968 ، ص 24 .

[2] نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ص 64 .

شعر العرب " في خمسة عشر بحراً وخالفه في ذلك (الأخفش الأوسط ، ت 215 هـ) [1] فجعلها ستة عشر وكان بحر المتدارك هو الذي نفاه الخليل وأثبته للأخفش " [2]، ويكفي هنا ذِكْرُ مثالٍ ، فالبحر **الكامـــــل** مثلاً يتكوّن من ستِ تفاعيلٍ عروضيّة حيث تتكرّر تفعيلة (مُتَفَاعِلُنْ) فتأتي ثلاثٌ منها في الشطر الأول من البيت ومثلها في الشطر الثاني وقد تبقى صحيحة وقد يطرأ عليها شيءٌ من التغيير .

أ ـ أوزان تقليـــــدية :

لقد سار أغلبُ شعر يوسف العظم بأوزان تقليدية ، أي على البحور الشّعرية المعروفة .

فمن **البحر الكامـــــل** قوله :

سـدّد من المقلاع كلّ قذيفةٍ ** من هولها عقل الدّخيل يَحَارُ

واصفع وجوه الغاصبين ولا تَهَبْ ** حكم العدوِّ فحكمه ينهارُ [3] .

هذا النص يحتوي على (47) سبعةٍ وأربعين بيتاً استخدم فيه الشاعر البحر **الكـــــامـــل** :

وسمّيَ كاملاً لمطابقة تفعيلاته كما هي في الأصل مع استعمال الشعراء ، ويُسْتعمل تامّاً ومجزوءً [4] ويتميّز هذا البحر بخاصية عن بقية البحور، كونه يصلح لأكثر الموضوعات لسهولته ، وتوفر الحروف المتحرّكة في تفعيلاته وعذوبة موسيقاه ووقعها على الأسماع ، وقد ورد كثيراً في الشعر العربي ، ولعلّ الشاعر استخدمه لذات الغرض ، وقد تمحورتْ فكرة النص حول الحث على مقاومة المستعمر بالسلاح أو بالحجارة بل وبالقلم أيضاً ، فالحوارات مع العدو لم تعُد تجدي نفعاً ، ولم يعُدْ ذلك

---

[1] هو : سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري المعروف بالأخفش الاوسط ، ت 215 هـ ، صنّف كتباً منها : تفسير معاني القرآن ، ،شرح أبيات المعاني ، والاشتقاق ، ومعاني الشعر ، وكتاب الملوك ، وزاد في العروض بحراً ... ينظر المرجع السابق : ج 3 ، ص 101 .

[2] أهدي سبيل إلى علمي الخليل : محمود مصطفى ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1423 هـ ، 2002 م ص 110

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 225 .

[4] أهدى سبيل إلى علمي الخليل : ص 40 .

الأسلوب يروق للشاعر مما دعاه إلى أن يلجأ إلى استنهاض الهمم الغافلة وحثّها على دحر المستعمر المحتل .

ومن نص الشقيقة المسلمة (لمعلّقة لبيد) [1] يقول يوسف العظم :

زكتِ الديارُ وقد زهتْ أعلامُها ** وعلا بمكة عزّها ومقامُها

والمصطفى الهادي ربيع قلوبنا ** يزجي صفوف الفتح وهو إمامُها [2].

هذا النص يحتوي على (59) تسعةٍ وخمسين بيتاً من البحر **الكامل** ، وقد استخدمه الشاعر لذات المميزات التي تمت الإشارة إليها آنفاً ، واختياره للبحر يتلاءم تماماً مع الموضوع ، ومن ثمّ بعث الوزن في الكلمات روحاً جديدة جعلتها تحفل بالإيحاء ، فالألفاظ (زكت ، زهتْ ، علا ، العز ، المقام، المصطفى ﷺ ربيع القلوب ، الفتح) تحمل في دلالتها الفرح والسرور وكلّها حملت موسيقى وإيحاء ولها تأثير في نفس المتلقي .

ومن نص (حدائق الشعر) يقول الشاعر :

حدائق الشعر تزهو في نظارتها ** وترتوي من حنايا القلب ألوانا

الورد فيها على أغصانه عبقٌ ** والعطر فيها يفوح اليوم ريحانا [3].

ـــ هذا النص من البحر **البسيط** :

غير أن عروض هذا البحر لا تكون إلا مخبونة (فَعِلُنْ) والخبن هو : حذف الثاني الساكن ،مستفعلن = مُتفْعِلُنْ، فاعلن = فَعِلُنْ [4].

وقد استخدمه الشاعر لانبساط الحركات في عروضه ، كما ساعده على إخراج موسيقاه من خلال الألفاظ التي بعث فيها صورة ربيعية زاهية بالألوان ، عناصرها حاستي البصر والشّم تموج في جوٍ من الإيحاء ، بما فيها من جمال تستأنس له النفس

---

[1] هو : لبيد بن ربيعة بن عامر بن جعفر ..العامري ، من فحول الشعراء وفد قومه بنو جعفر على رسول الله ﷺ فأسلم وحسُنَ إسلامُهُ ،... ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : يوسف بن عاصم النمري ت 463 هـ ، تح ، علي محمد البيجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1412 هـ ، 1992 م ، ج 3 ، ص 1335 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 248 .

[3] المصدر السابق : ص 291 .

[4] أهدى سبيل إلى علمي الخليل : ص 11 .

وينشرح له صدر الكاتب والمتلقي ، ويوسف العظم لم يجعل الربيع غرضاً منفصلاً ، بل رسم له الصورة بألوانها باستعارته الحدائق للشعر ، فصار يلفّها الورد بعطره الفوّاح .

ومن نص (رحلةُ قلبٍ) يقول :

يا شباباً تعاونوا في إخـــاءٍ ** في مجالِ البِرّ العظيمِ كراما

وقلوبـــاً تفيضُ رفقاً وخيـــراً ** فتزيلُ الأسى وتجلو السّقاما [1] .

ـــ هذا النص من البحر **الخفيـــــف** :

ويجيئ تاماً ومجزوءً وسمّيَ كذلك " لخفّته وهذه الخفّة متأتّية من كثرة الأسباب الخفيفة ، والأسباب أخفُّ من الأوتاد " [2].

استوعب هذا البحر عبر إيقاعه صورة سمعية زخرت بالألفاظ : (تعاونوا ، إخاء ، البِرّ، تفيض رفقاً وخيراً ، تُزيلُ وتجْلو) ، التي شكّلتها إيقاعات حققت قدرة الشاعر بحسن استخدامها في تقديم النصيحة والموعظة الحسنة بأسلوبٍ ليّن سلس يؤثّر في المتلقي وتكون نتيجته إيجابية .

ومن **الخفيف** أيضاً يقول الشاعر :

أنت ما زلت رُغم كلّ فناءٍ ** خالدِ الذكر في المكارمِ حيّا

إن تحدّرت في التراب عليلاً ** فلقد عشت في النفوس عليّاً [3] .

وظّف الشاعر هذا البحر في رثاء أخٍ له يسمّى (علي) ورسم به صورة حزينة تشكّلتْ من ألفاظ (الفناء ، التراب) ، والرثاء: " فن الموت ولغة الحزن ومجال اليأس

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 339 .

[2] المرشد الوافي في العروض والقوافي : محمد حسن عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1425هـ ، 2004 م ، ص 98 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 83 .

ومعرض الوفاء " [1]. وجاء الرثاء في النص بذكر محاسنه ومآثره مناسبة لإيقاظ همم أبنائه وعشيرته لمسيرة حياة أخيه والتأثير في نفوس المتلقّين ببيان أثر ارتباط وشائج الأخوة المتينة ، فهو يعيش في نفوس محبّيه خالدَ الذكر حيّاً وميّتاً فائزاً بالدرجة الرفيعة عند ربّه جلّ وعلا ، وتفعيلة الضرب (فاعلاتن) بفعل الخبن صارت (فعلاتن) .

ـ البحـــر الوافـــــر:

يأتي الوافر تامّاً بست تفعيلات ثلاثٌ في كُلّ شطر ومجزوءً بأربع تفعيلات اثنان في كلّ شطر " [2] ، ونسج على هذا البحر يوسف العظم فقال :

وقلـــتُ لـه معافـى يا حبيبـي ** هنيئـاً في شـــرابـــك والطّعـــامِ

فطـبْ عيْشـاً على مـرّ الليالـي ** شفـاك الله ربـي مـن سقامي [3] .

قد وظف الشاعر البحر بتفعيلاته التي تقوم على أساس تكرار لمقاطع صوتية مما يخلق جوّاً موسيقيّاً منتظماً ومتساوياً ، وقد تلونت نظرته بلون الأسى الأمر الذي لم يمكّنْهُ من الوصول إلى مُبتغاه ، فكوّنت الألفاظ (معافى ، حبيبي ، هنيئاً ، طِبْ عيْشاً ، شفاك الله) من خلال الوزن الشعري موسيقى يحاول المتلقي من خلالها أن يتفهّم أفكار الشاعر وخياله وعواطفه ، فكان النتاج الذي أفرزته تفعيلات الوافر ، حوارية فيها رقّة والتماس ودعاء وإيحاءً وعاطفة جيّاشة ، امتزجت بثراء الروح العاشقة ونتج عنها نشوة انفعالية تبيّن أن الشاعر له ذاتٌ شاعرة تطوف في غلس العشق وهجيرهِ ، فعبّر بما يجعل المتلقي يشعر بحالته ويبادله الشعور حتى يكاد أن يقول : هذا ما جرى معي أيضاً .

ـ بحـــــــر الرمـــــــــل :

والشاعر العظم نسج من هذا البحر في نص (الله ربي) فقال :

---

[1] الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 12 ، 2003 ، ص 86 .

[2] المختار من علوم البلاغة والعروض : محمد علي سلطاني ، دار العصماء ، دمشق ، سورية ، 1427 هـ ، 2008 م ، ص 224 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 432 .

إنْ سألْتُـــمْ عـــن إلَهِـــي ** فهـــو رحمَـــنٌ رحيـــم

أو سألتـــمْ عـــن نبيّـــتي ** فهـــو إنســـانٌ عظـــيم

أو سألتـــمْ عـــن كتابـــي ** فهـــو قـــــرآنٌ كريـــم

أو سألتـــمْ عـــن عـــدوّي ** فهـــو شيطـــانٌ رجيـــم [1] .

نظـم الشـاعر علـى هـذا البحـر الـذي توافـق موسـيقاه (فـاعلاتن) ، فحـرف المـيم الـذي تكـرر فـي أوائـل الأبيـات أربـع مـرات ومثلهـا فـي آخرهـا قـد نشـأ عنـه جـرس موسـيقي ملائـم لسـياق المعنـى ، وفـي تكـرار حـرف العطـف (أو) ثـلاث مـرات وتكـرار حـرف الجـر (عـن) أربـع مـرات وكـذلك الضـمير (هـو) أربـع مـرات ، كـل ذلـك كـان لـه تناغمـاً موسـيقياً ، ويلاحـظ علـى الشـاعر الـنفس المتسـارع فـي الثلاثـة أبيـات الأولـى ثـم تراجـع الـنفس فـي البيـت الأخيـر ؛ ليفصـح بالإجابـة الشـافية للتّسـاؤلات المتكـررة فـي الأبيـات السـابقة ، وقـد امتـاز الـنص بإيقاعاتـه المتلاحقـة التـي انسـجمت وشـكّلتْ ثنائيّـات متّحـدة القافيـة مـع أسـلوب الشـرط وقـوّة الحـوارِ وحركتـه بالجملـة الفعليـة المفسَّـرَة بجملـةٍ أخـرى إسـمية ، فكانـت الجُمـل متينـة البنـاء قويـة الألفـاظ عبّـرت عـن معـانٍ سـامية ونبيلـة آمـن بهـا الشـاعر واتّخـذها نبراسـاً ومنهجـاً فـي حياتـه ، وفـي مجملهـا أنتجـت موسـيقى لهـا مـن المـدى النفسي والعمق ما يرسّخها في ذهن المتلقي .

ـــ البحـــــــــر الطـــــــــويل :

والشاعر العظم نسج على هذا البحر فقال :

وكنّـا بسيـفِ الحقّ نجتـاح باطـلاً ** فصرنـــا بســـوط الظلـــم والـــذّلِّ نُضْـــرَبُ

وقـد أشرقت بالنـور منّا صحائـفٌ ** فما بال شمـس الفكـر فـي السّاحِ تغـرُبُ ! [2] .

اشـتمل الـنص علـى أكثـر مـن أربعـين بيتـاً علـى نفـس الـوزن والقافيـة المتحركـة ، مـع كثـرت المعـاني المتقابلـة بشـكلٍ لافـت ، فتحقـق بـذلك الشـكل الموسـيقي ، وفـي سـياق

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 385 .

[2] المصدر السابق : ص 352 .

المقابلة بين الألفاظ من أفعالٍ وأسماء (كُنَّا ، صرنا ــ نجتاحُ ، نُضْرَب ــ الحق ، الباطل ــ أشرقت ، تغرُبُ) التحمت في جمل كوّنت صورة موسيقية بين الماضي والحاضر متفاوتة الزخم تفاوتاً أو تباطؤاً ، وتوزعت التفعيلات حسب التدرج الطبيعي لتفعيلات الطويل في الوزن الخليلي مع حرف الروي (الباء) المتحرك ، وهذا البحر ينسجم مع الأنفاس الشعرية الممتدة للبث والإفضاء بامتداد موسيقاه ، لما يعتري النفس من الحزن وإطلاق الزفرات ، ففي الشطر الأول تُظْهِر حركةً ونشاطاً ، وفي الشطر الثاني ، تُظْهَرُ السلبية والخمول والشعور بالضّعف والهوان ، والشاعر يحاور نفسه في تعجب بنفسيةٍ مستاءة مما آل إليه الوضع الذي لبس أقنعة الزيف والخنوع ، ولكنه يشعر بما يُمليهِ عليه واجبه أن يصدح بكلمة الحق ، فالنبرة الخطابية للأبيات تدلّ على أنه لا يزال متأثّراً إلى حدّ بعيد بخطابية الشعر القديم التي تتلاءم مع البحور الطويلة ، وربما لا يستطيع الدارس أن يحدد هدفاً آخر للشاعر سوى الإفصاح عن واقع مرير ، فوجد بعض التنفيس في ذلك ؛ لأن الصوت في الكلمات التي احتوت على القافية صوت صارخ يعلو باحثاً عن مخرجٍ أو متنفس .

ب ـــ شعـــر التفعيلـــــة :

من الملاحظ أن يوسف العظم قد نسج شعره على البحور القديمة في نصوصه التي بلغ عددها (315) ثلاثمائة وخمسة عشر نصاً بين الطويلة والمتوسطة والقصيرة، وقليل من شعر التفعيلة حيث بلغ ثمانية نصوص فقط في أعماله الشعرية وهي نسبة قليلة مقارنة بالأوزان التقليدية المشهورة التي أتى في بعضها على غير مثال من الوزن القديم ، واستعمل من البحور التامة والمجزوءة ، والأوزان الطويلة والقصيرة ، " وهذا اللون من الشعر الحديث خفّف من قيود القافية وصرامة الشطرين " [1] وفي هذا النظام الشعري المتطور يعتمد الشاعر في نسجِهِ على أسطر شعرية مبنيّة على التفاعيل الأصلية المعروفة ، وبذلك يسمح له بالتعبير عما في نفسه دون التقيّد ببحرٍ معيّن يلزمه بالتفاعيل الخاصة به .

---

[1] اتجاهات الشعر العربي المعاصر : إحسان عباس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ط 1 ، 1978 م ، ص 26

ومن هذا النوع يخاطبُ يوسف العظم طائراً حزيناً في نص (الغرّيد الحزين) فيقول :

مسكيـــنُ يـــا غرّيـــدُ . يـــا حزيـــنُ !

يـــا باحثـــاً عـــن قلبـــك الدفيـــنْ !

تُمضـــي ليالـــي العمـــرِ في النّحيبْ وتنشـــدُ الحنـــانَ ..... يا واهِـــبَ الحنـــانِ [1] .

استعمل الشاعر السطر الشعري بدلاً عن البيت وفي السطر الأول والثاني والثالث ثلاث تفعيلات ، مستفعلن ، مستفعلن ، فعولن .

أما السطر الرابع فقد تكوّن من مقطعين الأول بتفعيلتين ، مستفعلن فعولن ، وكذلك الثاني ، فجاء أقصر من سابقيه ، وبهذا التفاوت يكون الشاعر قد حقّق تنوعاً موسيقيّاً ، فالحركة الإيقاعية في الأسطر الثلاثة الأولى امتدادية إلى حدٍ ما ، في حين أنها جاءت قصيرة في السّطر الأخير ، وقد منح هذا التنوع حرية تامة بحيث مزج بين القوافي المطلقة والمقيدة ، وعبّر عمّا يحس به من انفعالات بعيدا عن قيود الوزن ، وهذا نموذج آخر من نص (الشاطـــئ البعيـــد) قوله :

يـــا بحـــراً سجـــا

ومـــحيطـــاً دجـــا

علـــى صـــدره ألـــفُ زورقٍ وزورق

إلـى أيـن تمضـي الجـواري المنشـآت فـي عُبابـكْ ؟ [2] .

تكوّن السطر الأول من تفعيلتين : مستفعلن ، فعلْ ، وظهر بعض الحذف ، واختلف مع السطر الثالث والرابع من حيث الطول والتفعيلات ، فاحتوى الرابع على خمس تفعيلات هي : فعولن ، فعولن ، فعولن ، فاعلاتً ، فاعلاتن ، وهذا التنويع يفضي إلى أنغام موسيقية جديدة ، ويفتح للشاعر مجالات إيقاعية واسعة ، وسواء أكان هذا التنويع على مستوى التفعيلة أم على مستوى المقطع أم القصيدة ، فإنه تطوير هام

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 139 .

[2] المصدر السابق : ص 143 .

في موسيقى الشعر العربي ، وبذلك استطاع الشاعر أن يكسر رتابة الشكل ويتحرر من قيد البحر، لكنه في ذات الوقت حافظ على الإرث القديم باستعماله التفاعيل المعروفة ، وقد غلبت هذه الظاهرة على الشعر المعاصر وصياغته.

2 ــ القافيـــــــــة :

تُعَدُّ من الظواهر الأسلوبية الفاعلة في تشكيل بناء الإيقاع الخارجي في النص الشعري ، وهي : " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمّى شعراً حتى يكون له وزنٌ وقافيةٌ " [1] ، **والقافيـــــــــة** : تمثّل الأصوات التي تتكرر في أواخر الأبيات الشعرية من كل قصيدة ، وتكرارها جزء من الموسيقى الشعرية له أهمية في زيادة وحدة النغم الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية [2] ، والشاعر العظم حافظ على القافية الواحدة في النصوص التي نُسِجَتْ على الأوزان التقليدية ، ومن نص (إني أخاف الهوى) قوله :

يا بلبلاً حلّ في أفياء واديـنا ** يردّدُ الشعرَ ألحاناً بناديـنا

ويبعثُ الشّوق في قلبٍ يعذّبه ** صوتٌ من المسجد الأقصى ينادينا [3] .

التزم في النّص بقافيةٍ موحّدة ومطلقةٍ بسبب حركة حرف الرّوي ، وقد بنى نصّه على حرف الـــرّوي (النون) المفتوحة والوصل (الألف)، **والـــــــرّوي** : هو " الحرف الذي ينتهي بها البيت ويلتزم الشاعر تكراره ، وإليه تُنْسَبُ القصيدة فيقال : قصيدة لاميّة أو ميميّة أو نونيّة أي كان حرفها الأخير لاماً أو ميماً أو نوناً [4] .

وفي مواضع أخرى كانت القافية مقيّدة أي ساكنة ، كما في نص (رحماك ربي) حيث يقول :

أتيتك يا ربِّ ضيفاً فلا ** تردّ إلهي قدومي إليْكْ

---

[1] العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ، ص 115 .

[2] ينظر : موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 3 ، 1965 م ، ص 155 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 88 .

[4] ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : أحمد الهاشمي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ص 111 .

وقـد جئتُ يـا ربِّ عبـداً منيبـاً ** وكـلّ خطايـاي بيـن يديْـكْ [1] .

يتمحـور الـنص حـول الطلـب والرجـاء والتوسّـل ، وفـي ذلـك صـورة كافيـة عـن أن تكـون للشـاعر رؤيـة عميقـة جعلتـه يـرتبط أوثـق الارتبـاط بخالقـه ، فكـان قوامـه فـي ذلـك الجمـل الفعليـة والإسـمية المشـحونة بالعاطفـة والاحسـاس بالـذنب ، فقـد توسّـل إلـى مـن هـو أهـل للإجابـة وجـديرٌ بهـا ، فتشـكّلت مـن خـلال ذلـك صـورةٌ تُـؤثّرُ فـي المتلقـي وتعكـس الدلالـة التعبيريـة والفنيـة التـي اسـتمدت عمقهـا مـن العلاقـة بـين أصـوات الألفـاظ ومعانيهـا وموسـيقاها ، ومـن هنـا جـاءت القافيـة موحّـدة فـي الـنص ومقيّـدة فـي هـذا البحـر المتقـارب الذي أضفى إيقاعاً بجرسه الموسيقي ، والتزم بحرف الروي (الكاف) الساكنة .

وبـنفس القافيـة وحـرف الـروي (الكـاف) السـاكنة مـن نـص (شامـخٌ بالحـق) يقـول :

ربّـاهُ جئتُـك ضـارعـاً ** أجثـو علـى أعتـابِ جـودكْ

أستلهم النّفحات والـ ** عـزمات مـن نعمـى وجـودكْ [2] .

فـي الـنص السّـابق اسـتخدم البيـت المـدور الـذي عرّفـه العروضـيون بأنـه " ذلـك الـذي اشـترك شـطراه فـي كلمـة واحـدة بـأن يكـون بعضـها فـي الشـطر الأول وبعضـها فـي الثـاني " [3] والبيـت المـدور لـم يوضـعْ عبثـاً عنـد بعـض الشـعراء فهـم يـرون فيـه إضـافة جماليـة للـنص الشـعري ، كمـا أفـادت بـذلك (نـازك الملائكـة) [4] حيـث قالـت : " وللتـدوير فـي نظرنـا

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 291 .

[2] المصدر السابق : ص 406 .

[3] أهدى سبيل إلى علْمي الخليل : ص 80 .

[4] هي : نازك صادق الملائكة شاعرة وناقدة وُلِدتْ بالعراق في بيت علمٍ وأدب مما أثّر في تكوينها النفسي والعلمي ، وقد تابعت تعليمها في أمريكا ، لها نتاج أدبي مثل : الأعمال الكاملة في مجلدين ، قضايا الشعر المعاص وغير ذلك ...ينظر : معجم الشعراء المعاصرين منذ عصر النهضة : إيميل بديع يعقوب ، ج 3 ، ص 1314 .

فائدة شعرية ، وليس مجردُ اضطرارٍ يلجأُ إليه الشاعر ذلك أنه يسبغ على البيت غنائية وليونة لأنه يمدّه ويطيل نغماته " [1]

وفي نصوص شعر التّفعيلة مزج الشاعر بين القافية الساكنة والمتحركة وحروف الروي المختلفة الساكن منها والمتحرّك ، ومن ذلك نص (القمر والبحر) يقول :

يـــا قمـــرَ السّحـــــــرِ والبيـــانْ !

يـــا سابحـــاً علـــى صفحـــةِ المـــاءِ يتثنّـــى

ولـــنْ أعمّـــقَ فيـــكَ نظـــري وتدبّـــــري

أنـــا علـــى يقيـــنٍ يا قَمَـــــرْ !

أنّـــك صـــورةٌ تخـــــــدعْ

وأنّ ارتعاشـــك علـــى صفحـــة اليَـــمِّ ..خيـــالْ ! [2] .

هذا النص على نظام الشعر الحر والقوافي الذلل التي يكون فيها حرف الروي سهل النطق به حيث تفاوتت الأسطر الشعرية التي تقصر كما في السطر الأول والرابع والخامس وتطول كما في السطر الثاني والثالث والسادس ، وقد تنوّعت القافية ، ولم يلتزم الشاعر بحرف روي واحد ، فاستعمل (النون) الساكنة في السطر الأول (والنون) المتحركة في السطر الثاني (والرّاء) المتحركة في السطر الثالث (والرّاء) الساكنة في السطر الرابع (والعين) الساكنة في السطر الخامس (واللام) الساكنة في السطر السادس ، وهذا التنوع قد أتاح له الحريّة في التخلّص من قيد الوزن والقافية بأن يعبر عمّا يجيش في وجدانه من مشاعر فيّاضة تجعل من هذه الصورة الاستعارية القائمة على الحوار مبعث انفراج وتسلية لأحزانه يشارك معه المتلقي في ذات الشعور.

---

[1] قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، ت 1428 هـ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، د ت ، ص 112 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 148 .

ثانياً : الموسيقى الداخلية :

للشعر بناءٌ داخلي يتميّزُ به ، وهو بناءٌ من خصوصيّات المبدع لا تحكمه قاعدة خارجية ؛ إذ تحكمه القدرة الفنية والموهبة والنواحي الإبداعية ، وسعة الرؤى ورهافة الحس الشّعري ، وهذه الأمور تُنْتِجُ إيقاعاً نصّيّاً مبعثه " تناسب الحروف واتّساق العبارات وسلاستها والتوازن بين التراكيب والأسجاع والأضداد والتماثل في الإيقاعات اللفظية ..." [1] والمبدع هو من يختار بعنايةٍ تامة الكلمات التي يؤلّفُ منها النص ، وما يكون بينها من تلاؤم بين الحروف والحركات ، ويراعي التنوين والتّضعيف وإشباع الحركة وتناسب الألفاظ مع موضوع القصيدة وما تعبّر عنه من فرحٍ أو حزنٍ أو عتاب وهكذا ، فهناك حروف مثل : (الخاء ، والقاف ، والجيم ، الظاء ، والصاد) تناسب المعاني القوية كما في شعر المعارك والفخر والهجاء ، أما الطبيعة والغزل والرثاء فتناسبها الحروف ذات الإيقاع الهادئ مثل : (السين ، والتاء ، والزاي ، والهاء) وغيرها من الحروف الرقيقة [2] ومن نص (بناتي) يقول يوسف العظم :

" أذكار" أنتِ المنى والحبُّ والأدّبُ *** وأنتِ حين أرى في كفّك اللُّعَب

تجتاحني خفقةٌ في الصدْرِ والهفي *** ويستخفُّ فؤادي الحبُّ والطّربُ [3] .

(أذكار ، إيثار ، أشواق ، أسحار) هنّ أسماء لبنات الشاعر اللاتي خاطبهنّ في هذا النص ، والألفاظ (المنى ، الحب ، الأدب ، اللُّعب ، الطرب) ألفاظٌ إيجابية تبعث الأمل في النفوس ، ومنها تكوّنت موسيقى تثير البهجة وتضفي أجواءً من الفرح ، بنداء يدلّ على قرب الأب وشدّة تعلّقه بابنته وعاطفته الجيّاشة اتجاهها من خلال تكرار الضمير(أنتِ) وفي البيتين تكرار الهمزة خمس مرات ومثلها حرف الباء ، والتناسب بين الفؤاد والحب والمنى ، وكذلك التناسب بين اللعب والطرب ، كلّ ذلك أنتج موسيقى داخلية تشد انتباه المتلقي لمعرفة علاقته مع بناته اللاتي ذكرهنّ في نصّه ، وهذا يذكّر أيضاً بدور الأبوّة في التربية ، فكانت الألفاظ تناسب الموضوع .

---

[1] مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث : خليل إبراهيم ، دار المسيرة للنشر ، عمّان ، الأردن ، ط 1 ، 2003 م ، ص 325 .

[2] ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، 1998 م ، ص 106 ، 107 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 412 .

وعن العتـــاب يقول :

كــفّ الملامـة والعتـاب ** يـا مـــن تَعـــــيبُ ولا تُعـــابْ

وهمـــاً بأنّـــكَ كامـــلٌ ** ونســـيت أنّـــك مـن تـــراب [1] .

شــكّلت الألفــاظ عبْــرَ أســلوبٍ رقيــقٍ ســلس لغــةً موســيقيّة أظهــرت انفعــالات وعواطــف وجدانيــة مســيطرة علــى نفــس الشــاعر مــن أثــر القطيعــة ، فاختــار الألفــاظ المتناسـقة مـع علاقتهـا بـالمعنى الـذي بُنِـيَ عليـه الـنص وهـو العتـاب ، وظهـرت موسـيقى الـنص مـن خـلال حركـة الفتحـة فـي (ك) الخطـاب فـي شـطري البيـت الثـاني ، والسـكون المتكـرر علــى حــرف البــاء فــي ألفــاظ (العتــاب ، تُعــاب ، تــراب) ، مــع قافيــةٍ مقيــدة وتصـريع ، فقـد كـان حُسـن تقسـيم أجـزاء البيـت ذو تـأثير حتمـي فـي الموسـيقى الداخليـة التــي هــي اتحــاد مباشــر بــين الصــوت والمعنــى ، وبــذلك نبّــهَ مُخاطِبَــهُ إلــى أنــه خُلِــقَ مــن تراب ومصيره إلى التراب ، ولكل نصٍ أبعاده النّفسية المؤثّرة .

وفي جانب الحـــزن يقول :

العيـــد أقبـــل والذكـــرى تؤرّقُنـي ** ولـيس فـي العيـدِ غيْـر الحـزْنِ والسّقَمِ

وغــير أمٍّ غدتْ تشتــاق والهفي ** لهمســة الحــبّ والإلهـام مـلْءَ فمــيِ

وقلـب أختٍ جريــحٍ ذاب مـن كمـدٍ ** ينـوح مــن شـدّة التبريـح والألــمِ [2] .

يـدل الـنص علـى نفسـية مضـطربة ومنكسـرة يملأهـا الحـزن وتسـيطر عليهـا الكآبـة تعكـس شـعوره بالأسـى ، بـالرغم مـن أن العيـد مناسـبةٌ للفـرح ، لكـنّ دلالـة الألفـاظ أنتجـت جرساً موسيقيّاً حزيناً ظهر جليّاً في كلّ بيت في النص ، وبالإضافة إلى الألفاظ

وحركاتها ، فإنّ الموسيقى الداخليّة تظهر في محاور أخرى منها :

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 360 .

[2] المصدر السابق : ص 36 .

1ـــ التكـــــــرار:

يمثـل أحـد الظـواهر الفنيـة فـي شـعر يوسـف العظـم ، وتنوعـت مظـاهره بحسـب الحالـة النفسـية والشـعورية التـي ألمـت بـه لحظـة الإبـداع ، وتكـرار الألفـاظ لا يكـون اعتباطـاً لمـلءِ حشـوٍ ، وإنمـا لغايـةٍ دلاليـة ؛ لأن الشـاعر بتكـرار بعـض الكلمـات يعيـد صـياغة بعـض الصـور مـن جهـة ، كمـا يسـتطيع أن يكثّـف الدلالـة الإيحائيـة للـنص مـن جهـةٍ أخـرى ، ولأي كلمـةٍ وظيفتهـا ودلالتهـا داخـل الـنص الـذي تكوّنـه وتحتويـه ، فـإذا تكـررت لفتـت الانتبـاه عنـد المتلقـي ، فهنـاك بعـض الـدّوال تكـررت إمـا لشـعورٍ بـاطن تملّـك الشـاعر وأراد أن يكشـف عنـه ، أو لغـرض التـأثير بـأكثر فاعليـة ممكنـة ، وقـد يكـون التكرار لصوت (**حـــــرف**) معيّن مثل قوله :

ومن نصّ (يا منية الروح) يقول :

يـا مُنْيـة الـروح أنـتِ الحبُّ في كبـدي ** وأنـتِ أنـتِ التـي يـبرا بهـا جسـدي

وأنـتِ أنـتِ التـي طابـت شمائلهـا ** والحـبُّ عنـدي حتْمـاً صـار معتمـدي [1] .

تكـرر الضـمير (**أَنْـــتِ**) خمـس مـرات ، وحـرف (النـون) سـبع مـرات وتكـراره تأكيـدٌ علـى شـدة العلاقـة وارتبـاط أواصـر المحبـة بـين الأبِ وابنتـه ، وأجـاد الشـاعر فـي انتقـاء الألفـاظ التـي أكّـدت علـى ذلـك مثـل : (الحـب فـي كبـدي ، يبـرا بهـا جسـدي ، طابـت شـمائلها ، حتمـاً صـار معتمـدي) وفـي مجموعهـا كوّنـت إيقاعـاً أسـهم فـي تكثيـف المعنـى وأضفى موسيقى داخلية لها تأثيرها في نفس القارئ .

ومن نص (فلسطينية ... تروي قصّتها في بيروت ! ..) يقول الشاعر :

ذبحـوني مـــن وريـدٍ لِوريـــد ** وسقـوني المـر فـي كلّ صعـيد

مـزّقوا زوجـي فلـم أعبأ بهم ** ومضـوا نحـو صغـيري ووحـيدي [2] .

تسـيطر علـى الـنص سـمة الحـزن والكآبـة فقـد تكـررت **الجملـة الفعليـة** (ذبحـوني مـن وريـدٍ لوريـد) أربـع مـرات فـي الـنص مـع ألفـاظٍ دالّـة علـى ذات المعنـى مثـل : (سـقوني

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص : 413 .

[2] المصدر السابق : ص 124 .

المُـر، غرسـوا الحربـة فـي أحشـائه ، دمـروا بيتـي ، دمـي سـال ، رصـاص وحديـد ...) وتكـرار هـذه الجملـة دون غيرهـا تحمـل دلالات لا تهـم المبـدع وتـؤثّر فـي والمتلقـي فحسـب ، بـل تبعـثُ بخطـابٍ مُـؤثّر لأبنـاء الأمـة جمعـاء يحـرّك مشـاعرهم ويسـتنهض هممهـم ، مـن أجـل ذلـك كـان فـي التكـرارِ إلحـاحٌ علـى تأكيـد فكـرة محـددة تـدور فـي ذهـن الشـاعر ، ومـا زاد الإيقـاع رونقـاً ووضـوحاً صـوت حـرف (الـدال) فـي وريـد ، صـعيد ، وحيـد ، ... وهـو حـرف القافيـة فـي الـنص ، وقـد تعاضـدت الألفـاظ فـي اكتمـال ظهـور الصورة بهذا النمط .

ومن نص (أمـــي) يقول :

قالـوا: حياتـك نـورٌ قـلت: يرسله ** قلـبٌ كبيرٌ يشـعُ النـور مُـذْ كـانـا

قالوا: حياتك حبٌ ، قلت : واهبـه ** مـَنْ هـَـدْهَـدَ القلبَ إشراقاً ووجدانا

قالوا :حياتك عطر، قلت :مصـدره ** مَـــنْ أنبتت في حنايا القلب ريحانا

قالـوا: حياتـــك برٌ، قـلت: صانعـه ** صـدرٌ كبـيرٌ غدا للبرّ عنـــوانا [1] .

هـذا الـنص جمـع بـين التكـرار والحـوار ، وعنوانـه يحمـل معنـىً عظيمـاً عنـد الله تعـالى ثـم عنـد الشـاعر، لمـا يحـس بـه مـن مشـاعر فيّاضـة وهـو يمـدح أمّـَهُ ، فتكـررت الجملتـان الفعليتـان (قَـالوا ، قُلْـتُ) أربـع عشـرة مـرة علـى مسـتوى الـنص ، والاسـم الموصـول (مَـنْ) الـذي بـدوره أجـاب عـن عـدّة تسـاؤلات ، وتكـرر حـرق (القـاف) تسـع عشـرة مـرة ، ورد العجـز علـى الصـدر فـي الأبيـات الأول والرابـع والخـامس ، وفـي كـل ذلـك تأكيـد علـى شـدة تعلّقـه بأمـه ومحبتـه لهـا ، ومـن جانـبٍ آخـر إحالـة ذهـن المتلقـي أو السّـامع؛ إلـى بيـان فضـل الأم ورفعـة شـأنها ، ويوثّـقَ تلـك المعـاني السـامية فـي النفـوس ؛ لأن التكـرار " يسـلّط الضـوء علـى نقطـة حسّاسـة فـي العبـارة ويكشـف عـن اهتمـام المـتكلم بها وهو بهذا المعنى ذو دلالةٍ نفسيّة قيّمة " [2] ، ثم يواصل النص فيقول :

قـــالوا: حياتـــك لحن، قلت : تعزفـــه ** قمـــــرية ملأت جنبيَّ ألحانـــا

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 82 .

[2] قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة : ص 275 .

قالـوا: حياتك نبعٌ، قلـــت: فجّـــره ** مـــنْ فاض من موطن الإيمان إيمانا
قالوا : فمـــن تلك في دنياك تملأهـــا ** عطـراً ونوراً وإلهاماً وإحسانـــا ؟
فقلت :أمي التـــي هامت بها كبـــدي ** فـي بـرِّها أنـزل الرحمـــن قرآنـــا [1] .

حمـل الـنص صـوراً جزئيـة شـكّلتْ فـي مجموعهـا صـورةً كلّيـة تسـرّ الـنفس وتبعـث فيهـا الطمأنينـة وتضـفي عليهـا جـواً مـن السـعادة ، ذلـك أن الألفـاظ (الحيـاة ، النـور ، القلـب ، يشـعُّ ، الحـب ، هدْهَـدَ ، الإشـراق ، الوجـدان ، العطـر الحنـان ، الريحـان ، البـر ، العـزف والألحـان) هـي ألفـاظٌ دالّـة علـى التفـاؤل والأمـل وظّفهـا بعنايـة واسـتوحى بعضـها مـن الطبيعـة بمـا فيهـا مـن ألـوانٍ زاهيـة أسـهمت فـي إنتـاج نصّـه ، ثـم اختـتم بمـا يسـمى (حسـن الانتهـاء) إذ هـو : " آخـر مـا تبقّـى منـه فـي الأسـماع وربّمـا حُفِـظَ مـن بـين سـائر الكـــلام لقـــرب العهـــد بـــه " [3] ، فكـــان حســـنُ ختامـــهِ (فـــيِ بـــــرّها أنـــــــزلّ الرحمـــــنُ قرآنـــا) .

2 ــ الجِنـــــــــاس :

يقـوم الجنـاس علـى أسـاس التشـابه بـين لفظـين فـي الشـكل مـع اختلافهمـا فـي المـدلول ؛ فـإن اتّفـق اللفظـان فـي أنـواع الأصـوات وعـدد ترتيبهـا وهيئتهـا الحاصـلة مـن الحركـات والسـكنات ؛ كـان التجـانس تامـاً، وإن اختلـف اللفظـان فـي واحـدٍ مـن الأربعـة المتقدّمة ، كان التّجانسُ ناقصاً [4] ، يقول يوسف العظم :

تفتّحـــي بحنـــانِ ** فـــي خافقـــي وجنـــانِ [5].

يوجـه خطابـه إلـى بـراعم الأقصـى ، والجنـاس نـاقص بـين (حَنَـانِ ، وجَنَـانِ) فكـان الاخـتلاف فـي الحـرف الأول ، واللفظتـان مختلفتـان فـي المعنـى بـالرغم مـن تقـارب الحـروف ، فالحنـان معـروف والجَنَـان هـو : " القلـب ، يقـال : ثابـت الجنـان : قـوّيٌّ يحـتفظُ برباطة جأشه " [6] وكان لذلك موسيقى داخلية .

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 82 .

[3] جواهر البلاغة : أحمد الهاشمي ، ص 344 .

[4] ينظر: التلخيص في علوم البلاغة : جلال الدين القزويني ت 739 هـ ، شرحه ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،ط 1 ، 1904 م ، ص 388 .

[5] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 89 .

[6] معجم اللغة العربية المعاصرة : ج 1 ، ص 959 .

وفي نصٍ آخر يقول :

يا بـلاداً تربـها مـن (عسجدِ) [1] ** لإلـهِ العـرشِ هيّـا واسجـدي[2] .

الجنـاس النـاقص بـين (عسـجدِ ، واسـجدي) فـي حـرف العـين وهمـزة الوصـل المسـبوقة بـواو العطـف ، فالعسـجد هـو الـذهب والسـجود معـروف ، وفـي توظيفـه للجـوهر الثمـين بيـان للقيمـة الثمينـة لـبلاده بمـا حباهـا الله سـبحانه مـن خيـرات كثيـرة تسـتحق الحمـد والثنـاء علـى الله تعـالى ، وبـذلك حقّـق الجِنـاسُ إيقاعـاً موسـيقيّاً تطـربُ لـه الأذن ، كمـا أنـه يثير انتباه المتلقي .

وقوله أيضاً :

قد صمّـمَ الشّعـبُ مُـذْ عـزّتْ كرامتـهُ ** أن يرتقـي قِمَمـاً دانـت لهـا قِمَـمُ [3] .

جـاء التماثـل بـين الكلمتـين (قممـاً ، قمـم) لفظـاً لا معنـى وهـذا مـا يتحقـق بـه الجنـاس ، وبـين اللفظـين جنـاسٌ تـام مـع اخـتلاف التماثـل النّغمـي المنبعـث مـن التنـوين الظـاهر ممـا أكسـب الإيقـاع جرسـاً خاصّـاً ، وبـذلك يتحقـق التـأثير السّـمعي المنشـود ، فـالقمم التـي قـرّرَ الشـعب أن يرتقيهـا هـي علـو المرتبـة والمجـد ، وهـذا التصـميم يعنـي عقـد العـزم علـى ضـرورة الوصـول إلـى الهـدف المنشـود فـدانت أي خضـعت وذلّـتْ لـذلك (قِمـمٌ) كنايـة عـن خضـوع السـلطة المسـتبدة التـي تحـاول قهـر إرادة الشـعوب ، لكـن إرادة الشعوب لا تُقْهَرْ.

3 ــ الطّبـــــــــــاق :

" وضـع طبـقٍ علـى طبـقٍ كوضـع غطـاء القـدر منكفئـاً علـى فـم القـدر حتـى يغطيـه بإحكـام ، وطـابق الشـيء علـى الشـيءِ مطابقـة وطباقـاً أي أطبقـه عليـه " [4] ، وهـو: " الجمـع بـين لفظـين متقـابلين فـي المعنـى وقـد يكونـا اسـمينِ أو فعلـينِ أو حـرفين فيكـون

---

[1] العسجد : الذهب ، وقيل : هو اسم جامع يُطْلق على الجوهر كلّه كالدر والياقوت . ينظر : تاج العروس : مرتضى الزبيدي ، ج 8 ، ص 377 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 428 .

[3] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 311 .

[4] تاج العروس : مرتضى الزبيدي : ج 26 ، ص 49 .

تقابل المعنيين مما يزيد الكلام حسناً وطرفة "[1] ، وهو نسقٌ من أنساق التعبير له أثره الموسيقي في تكوين صِورٍ جديدة لها وقعها وتأثيرها في نفس المتلقي ، وفي هذا الجانب يقول يوسف العظم :

بالأمس كنت مع الدنيا وزخرفها ** واليوم في موطنٍ يأويك تحتارُ

والأرض بالكفر والإلحاد مظلمةٌ ** والكون بالدين والإيمانِ أنوارُ

والرّوض بالظلم قد غاضت مفاتنه ** والحقلُ بالعدل والقرآنِ معطارُ [2] .

تركّزت الأبيات على عنصر المقابلة ؛ لتكشف الصراع بين الذات الطامحة إلى الأمل والسعادة بأنوار الدين المقامة على العدل ، وبين واقعٍ مظلم يُخيم عليه الكفر والظلم ، بعيداً عن السعادة التي ينشدها كل من امتلأ قلبه بالإيمان ، وقد جمع الشاعر بين خمسة من الطباق (الأمس واليوم ــ الكفر والإيمان ــ مُظْلِمة وأنوار ــ الظلم والعدل ــ غاضت مفاتنه ومعطار) ، وبما أن الطباق يجمع بين الأضداد لذلك كان عنصراً أساسيّاً في تشكيل صورةٍ جمعت بين متناقضات ولم تكن متصنّعة ، فاستخلص من تناقض عناصرها فلسفة خاصة وأفكارٍ متعمّقة أسهمت في تصوير عمق الهُوّة الشّاسع بين عالَمين متقابلين في رؤية الشاعر للواقع المعيش ، عالَمٌ يستحسنه ويتوق إلى تحقيقه وآخر يستهجنه ويخاف منه ، وما زاد من جمال الصورة في البيت الثالث حيث الحقل والروض ، فكثيرٌ ما يلجأ الشاعر إلى توظيف الطبيعة ، وتُعدّ الألوان من العناصر الدلالية المهمة حين يوظفها في سياق دلالي ، فالألوان من لوازم الروض والحقل ، وإن لم يصرح باللون صراحة ، فإنه جعل القارئ في موقف التخيل لذلك المعنى البعيد الذي يرمي إليه ، من خلال تصوير الروض الذي ذبُلت مفاتنه الزاهية بألوانها المختلفة وتلاشى عطرها ، وبين الحقل الذي اكتسب رائحته الزكية بفعل العدل والقرآن .

وإلى جانب ذلك كله فإن جرس الأصوات على المستوى الإيقاعي أعطى موسيقى تطرب لها النفس بالرغم من احتواء بعض الألفاظ على ما ينغص صفوها ، كما

---

[1] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد الهاشمي ، ص 303 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 310 .

أسـهمت كثـرة أحـرف المـد فـي اثنتـي عشـرة كلمـة مـا بـين اسـمٍ وفعـل فـي إضـفاء نبـرة موسـيقية ، وبهـذا كـان للإيقـاع الموسـيقي دور فـي تمييـز عـروض الشـعر وإثـراء لغتـه ، فقيمة الشعر تكمن في موسيقاه ووزنه .

ومن نص (الرايات الجريحة) يقول :

أنفـــــرحُ والرّايات مِـنّا جريحـةٌ ** ونضحـكُ والأيتـام فـي القـدس تنحـبُ ؟

شربنا كـؤوسَ الـذل دون كرامـةٍ ** ورحنـا بكـأس الـذل والخمـر نشـربُ

وقد لاح في دنيا الشعوبِ كواكبُ ** وما لاح في القـدس مع النصر كوكبُ [1] .

اشـتمل الـنص علـى واحـدٍ وأربعـين بيتـاً تشـكّلت موسـيقاها مـن ألفـاظٍ حزينـة بـدأها بالاسـتفهام ، وثنّـى عليهـا بـرد العجـز علـى الصـدر فـي البيـت الثـاني والثالـث ، يرافقهـا إيقـاع البحـر الطويـل مـع ألفـاظ كثيـرة مـن ثنائيـات الطبـاق ، عبّـرت عـن حالـة مضـطربة وحـزنٍ عميـق وهـذه الكثـرة مـع التكثيـف للألفـاظ والـدلالات، أفصـحت عـن نفسـية الشـاعر المتزامنـة مـع حالـة اليـأس ، فهـذا مـا أكدتـه الألفـاظ وعبّـرت عنـه (نفـرح ، وجريحـة ـــ نضـحك ، وتنحـب ـــ الـذل ، وكرامةـــ لاح ، ومـا لاح) ، لقـد أجـاد فـي انتقائهـا وترتيبهـا بحيـث جـاءت دلالاتهـا قويـة ومـؤثرة متطابقـة مـع العنـوان تمامـاً ، ثـم اسـتمرّ فـي رسـم الصورة فقال :

سرى النـور في الآفـاق يرسي شراعـه ** فكيـف طوانـا فـي المتاهـات غيهـبُ ؟

وكـنّا بسـيف الحـق نجتاحُ باطلا ** فصـرنا بسـوط الـذل والظلـم نُضْـربُ

وقد أشرقـت بالنـور منـّا صحـائفٌ ** فمـا بـال شمـس الفكر فـي السّاح تغرُبُ ؟ [2]

تحققـت قافيـة الأبيـات بحـرف البـاء المتحـرك وهـو شـديد انفجـاري مجهـور مـع كثـرة حـروف المـد التـي بلغـت سـبعة عشـر حرفـاً ، وتكـرار الاسـتفهام فـي موضـعين ، وحـرف السـين سـت مـرات ، وهـذا مـا أحـدث إيقاعـاً موسـيقيّاً علـى المسـتوى الـداخلي والخـارجي مـن

---

[1] [2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 352 .

خلال كلمات تناسب الحالة الشعورية والنفسية التي يعيشها الشاعر ، فحال الأمّة مُهَانٌ كما تبيّن من النص ، واستمر في تكثيف الثنائيات المعبرة بقوة دلالاتها فشملت كل بيت بكثافة مع الاستفهام المتكرر ، وهذا يدل على قتامة الصورة التي تزيد من سيطرة الحزن ، فتصف نفسية الشاعر بأكثر وضوح ، بلسان حاله الذي يقول : كيف كنّا ؟ وكيف أصبحنا ؟ فالألفاظ (الآفاق ، المتاهات ــ النور ، غيهب ــ سيف الحق ، سيف الذل ــ نجتاح ، نُضْرَب ــ أشرقتْ ، تَغْرُبُ) جسّدتْ الثنائيات الدلالية التي تجعل المتلقي يتوزع تفكيره بين متضادين يضاعفان من يقظته نحو المعنى " إذ إن الجمع بين الأمور المتضادة يكسوها جمالاً وبهاءً ... ولابد أن يكون هناك معنى ومغزى وراء الجمع بين هذين الضدّينِ في إطارٍ واحدٍ ، وإلا كان هذا الجمع عبثاً وضرباً من الهذيان " [1] .

4 ــ ويلحق بالموسيقى الداخلية **رد الأعجاز على الصدور** ،" وسميّ كذلك التصدير وهو في اللغة : من (صدر) صدر الإنسان وغيره ، وهو حبْل يُصدّر به البعير لئلّا تُرَدُّ إلى خلفه " [2] ، وفي الاصطلاح : " أن يُردّ أعجاز الكلام على صدوره ؛ فيدلّ بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك ، وتقتضيها الصّنعة ويكسب البيت الذي يكون فيه أبّهة ، ويكسوه رونقاً ، ويزيده مائيّة وطلاوة " [3] ، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** ﴾ [4] ، ومن قول يوسف العظم :

ما عاد فينا الطّفلُ يعبثُ لاهياً ** فالطفلُ فينا ماردٌ جبّارُ

---

[1] علم البديع : عبد الفتاح بسيوني ، مؤسسة المختار للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 2 ، 1988 م ص 136 .

[2] لسان العرب : ابن منظور : ج 4 ، ص 445 .

[3] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : : ابن رشيق القيرواني ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1424 هـ ، 2004 م ، ج 2 ، ص 8 (باب التصدير) .

[4] سورة الأحزاب : الآية 37 .

وصغارنا حملوا الحجارةَ وازدهوا ** ما عاد في ساحِ الجهادِ صِغَارُ [1] .

هذا النص يبعث على الثقة بالنفس والتحرر من الخوف مع الإيمان القوي بهوية الوطن بفعل الواقع المفروض على أطفالٍ في عمر الزهور أن يحملوا الحجارة في مواجهة أعتى قوى الشّر ، فدلّتِ الألفاظ (الطفل ، فالطفل ، صِغارُنا ، صِغَارُ) على تجاوب القافية المتبادل مع ما قبلها ، ذلك ما يجعل المتلقي يتأمل حركة الإيقاع المندفعة من هذا النمط التكراري المنتظم بكثافة صوتية من حرف الراء المتحرك بحركة تصاعدية تسير مع النص ، فنتج عن ذلك إيقاعٌ موسيقي تطرب له الأذن ، ويحرّك الحواس ويُسْهم في إظهار صورة جمالية لها وقعها في نفس المبدع والمتلقي .

ومن نص (ودّعوني) يقول :

ودّعوني بربّكم ودّعوني ** بلّلَ الدّمعُ في الليالي جفوني

يستثير الشّجون تملأُ قلبي ** وحياتي مليئةٌ بالشّجونِ

سامحوني إن كنتُ أخطأْتُ يوماً ** وارفعوا اللومَ هدّني سامحوني [2] .

صورة حزينة للحظة وداع عند شعوره بدنوِّ أجله ، ودموع انهمرت واقترنت بالشجون وهو الحزن ، وقد وظّف الشاعر لهذا الموقف الألفاظ اللازمة له (الشجون ، تملأ ، مليئة ، سامحوني) ألفاظٌ استخدمها لرد العجز عن الصدر مع مشاركة العنوان الدّل على الموقف ، وبذلك اكتسب النص بعداً إيقاعيّاً جعل المتلقي يتابع باهتمام نهاية المشهد .

5 ــ التصـــــــــــريع :

يلحق بالموسيقى الداخلية التصريع ، وهو نوع من البديع استخدمه الشعراء قديماً وحديثاً ، يدلّ على قدرة الشاعر وسعة بحره ، عرّفهُ (ابن رشيق) [2] فقال :

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 224 .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 434 .

[2] هو : الحسن بن رشيق القيرواني : ت 463 هـ ، وُلِدَ بالمسيلة بالمغرب وتأدب بها ، أشهر مؤلفاته كتاب العمدة في محاسن الشعر ونقده ...ينظر : الوافي بالوفيّات : صلاح الدين خليل الصفدى ، ت 764 هـ ، تح ، شعيب الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، 1420 هـ ، 2000 م ، ج 12 ، ص 9 .

" فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته " [1] ، والشاعر العظم اقتدى بمن سبقه ، وفي أعماله الشعرية وردت نصوص كثيرة في هذا الشأن ، ومن ذلك نص (شقيق الروح !) حيث يقول :

قد كنتَ لي سيفاً وغمدَا ** وحفظْتَ بي شوكاً ووردا

تدْمِي أكُفَّ المرجفين ** ن وتنثني عطراً وندّا [2] .

جاء النظم على البحر البسيط الذي يتسم بالجزالة وصلابة الحبك بحيث كَثُرَ المنظوم عليه في الشعر عموماً، وصرّع مطلع القصيدة فكانت القافية في الشطر الأول (وغمدا) ، وفي الشطر الثاني (ووردا) ، وتبدو أهمية التصريع منذ القافية الأولى التي بُنِيتْ على حرف الروي المتحرك (الدال) وجاءت القافية مطلقة ، وهذا يساعد على إضفاء إيقاع موسيقي بوجود حرف المد بعد الروي ، مما يعطي لمؤلف النص فرصة لاستغلال مواهبه الصوتية ، لا سيّما أنه في حالة حوار مباشر له أهميته في إبراز حقيقة العلاقة التي تربطه بشقيقه المتوفى وحزنه عليه ، ذلك ما أكّدته الكناية في البيتين ، في أن الأخير كان عضده وسنده وحاميهِ في السّرّاء والضّرّاء ، وقد جاء الإيحاء بذلك مبكراً بفعل التصريع ، كما أجاد الشاعر في انتقاء ألفاظه ؛ لتناسب الموقف تماماً باعتماده على اللغة القوية الغنية بأصواتها وتراكيبها وإيحاءاتها في تكوين صدى ذلك المعنى الذي يعبر عنه ويعمّق الإحساس به ، وبذلك يكون التصريع قد أدى دوره في النص وأضفى قيمة جمالية تلفت انتباه المتلقي .

ومن نص (عشقت النور والعِلْمَا) قوله:

عشقتُ النور والعِلْمَا *** كرهتُ العسفَ والظّلْما [3] .

التصريع في البيت بين لفظي (العلما والظلما) وبينهما جناسٌ ناقص وطباقٌ خفيٌّ أيضاً وكذلك بين (عشقت وكرهت) ، وهذا الجمع بين التصريع والطباق والجناس في بيتٍ واحد هو دليل على تمكن الشاعر ، وقد نسج على مجزوء الوافر

---

[1] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ج 1 ـ2 ، ص 156 (باب التقفية والتصريع) .

[2] الأعمال الشعرية الكاملة : ص 183 .

[3] المصدر السابق : ص 410 .

والقافيـة المطلقـة بحـرف المـد ، أمـا حـرف الـروي (المـيم) المتحـرك فقـد أضـفى علـى البيـت نغمـاً ، فهـو بمثابـة فاصـل موسـيقي يتوقـع السـامع تـردده ويسـتمتع بهـذا التـردد الـذي يطـرق الأذن فـي فتـرة زمنيـة محـددة ، فالشـعر يحسـن وقعـه علـى السـمع لحسـن وقع قافيته .

الخـــــــــــاتمة :

العمـل الأدبـي بشـطريه الشـعري والنثـري ، هـو محاولـة الوصـول إلـى إضـاءات تنيـر الطريـق أمـام كـل باحـث ، وفـي هـذه الدراسـة تناولـتُ جانـبَ النصـح والإرشـاد فـي شـعر يوسـف العظـم بمـا فـي ذلـك الظـواهر الأسـلوبية مـن ألفـاظ وتراكيـب وصـورة وموسـيقى أثّـرت فـي نصوصـه الشـعرية ، وأكسـبتها الجمـال الفنـي والأدبـي، ومـن أبـرز النتـائج التـي توصّلتُ إليها ما يلي :

1 ـــ تبـيّنَ مـن خـلال التمهيـد قيمـة النصـح والإرشـاد وأثـره الإيجـابي فـي رأب الصدع ، وإصلاح وتصحيح كثير من الظواهر العالقة في المجتمع .

2 ـــ فـي شـعره إحيـاء للعقيـدة والعبـادات ، وقـد أورد لكـل عبـادةٍ نصّـاً خاصّـاً كالصـلاة والصـوم والحـج ، وليلـة القـدر ، وذكـرى المولـد النبـوي الشـريف ، ومعجـزة الإسـراء والمعـراج ، والتشـديد علـى بـرّ الوالـدين ، وفـي كـلّ ذلـك إحيـاءٌ لصـمود وانتصـارِ ديـنٍ سماوي أخرج الناس من الظلمات إلى النور .

3 ـــ خصّـص للوالـدين وزوجتـه ، والمـرأة المسـلمة عمومـاً ، وأبنائـه جانبـاً مـن شـعره ، وشـدّد علـى صـفة الوفـاء بالعهـد والتسـامح مـع كـلّ أصـدقائه ، كمـا كـان لأطفـال الحجـارة والشّـهداء الحُظْـوة الكبيـرة فـي شـعره ، فالرأفـة والرحمـة بالأطفـال والحُنـوّ علـيهم مـلأ عليـه جوانـب الـنفس ، فجـاءت نصوصـه بأعـذب ألحـان وأرق مشـاعر وأصـدق أحاسـيس ، وما أعظم ما يربط قلبه بأطفال اليوم ورجال الغد .

4ـــ اسـتطاع توظيـف الألفـاظ الدّالـة التـي تتميـز بالسـهولة والفصـاحة وصـاغها بقالب أدبي لا يكتنفه غموض ، فجعلها تؤثّر في المتلقي بأسلوبٍ بعيدٍ عن التكلّف .

5 ـــ سـار شـعره علـى الأوزان التقليديـة القديمـة ، فاسـتخدم مـن البحـور الطويـل ، البسـيط ، الخفيـف ، الـوافر ، الرّمـل وغيـر ذلـك ، وخـرج عـن هـذه البحـور إلـى شعر التفعيلة ، فاستعمل السطر الشعري بنسبة قليلة جداً.

6 ـــ طـرق نموذجـاً فـي تنويـع القـوافي ، كَـأنْ يـأتي بأبيـاتٍ ثلاثـة بقافيـةٍ موحّـدة ثـم يـأتي بلازمـةٍ تشـمل علـى بيتـين متّحِـدِي القافيـة ، ثـمّ بأبيـاتٍ ثلاثـة لهـا قافيـة غيـر

الأولى ، ثم باللازمة الأولى نفسها، ثم بأبياتٍ ثلاثة غير السّابقتين ثمّ باللازمة ذاتها كما في نشيد (حماة الأقصى) و(حيَ على الجهاد)، كما استخدم الأساليب المتنوعة ومنها : القصر والحذف والاستفهام والنداء والأمر والتعجب والحوار وكذلك المحسنات البديعية .

7 ــ طرق موضوعاتٍ جديدة مبتكرة فيها طرافة كما في نص (بسمة الشهيد الصّامت) ، (في محراب القلب) ، (اللعوب الفارس) ، (رحمة إبليس)، (الباب الذي لا يغلق) ، وغير ذلك من النصوص .

التوصيّـــــــــــــات :

يرى الباحث أن شعر يوسف العظم يستحق دراسة جوانب أدبية أخرى ومن ذلك على سبيل المثال :

1 ــ تجليات التناص في شعر يوسف العظم ، أو الموازنة بينه وبين شاعر آخر في غير العصر الحديث .

2 ــ الإيقاع وأثره في الشعر العربي (يوسف العظم نموذجاً) .

3 ــ ملامح التجديد في شعر يوسف العظم .

المصادر والمراجع :

أوّلاً : القــرآن الكــريم (بروايـــة حفـــص)

ثانيـاً : كتـــــــب الحديـــــــــــث:

1. سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سوْرة الضحاك الترمذي ، ت 279 هـ ، تح ، أحمد محمد شاكر وآخرون ، تح ، بشار عواف معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 م .
2. سـنن أبـي داود : سـليمان بـن الأشـعث بـن بـن شـداد بـن عمـرو الأزدي ، ت 275 هـ ، تـح ، محمـد محـي الـدين عبـد الحميـد ، المكتبـة العصـرية ، صـيدا ، بيروت ، د ت .
3. سـنن ابـن ماجـة : أبـو عبـد الله محمـد بـن يزيـد القزوينـي ، ت 273 هـ ، تـح ، محمـد فـؤاد عبـد البـاقي ، دار إحيـاء الكتـب العربيـة ، فيصـل غيسـى البـابي الحلبي ، د ت .
4. سـنن النسـائي الكبـرى ، أحمـد بـن شـعيب النسـائي ، تـح ، عبـدالغفار البغـدادي ، وسـيد كسـروي حسـن ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ط1 ، 1411 هـ ، 1991 م .
5. شـعب الإيمـان : أبـوبكر البيهقـي ، تـح ، محمـد بسـيوني زغلـول ، دار الكتـب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1410 هـ .
6. صـحيح البخـاري : محمـد بـن إسـماعيل البخـاري الجعفـي تـح ، محمـد زهيـر بـن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ .
7. صـحيح مسـلم : مسـلم بـن الحجـاج أبـو الحسـن القيشـري ، تـح ، محمـد فـؤاد عبـد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت .
8. مسـند الإمـام الشـافعي : تـولى نشـره وتصـحيحه ومراجعـة أصـوله ، يوسـف الـزواوي الحسـيني ، وعـزت العطـار الحسـيني ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، 1370 هـ ، 1951 م .

9. موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس ، تح ، تقي الدين الندوي ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1413 هـ ، 1991 م .

ثالثاً : التفسير القرآني :

1 . البحر المحيط في التفسير : أبو حيان الأندلسي ، تح ، صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، 1420 هـ .

2. تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 1425 هـ 2005 م .

رابعاً : المعاجم اللغوية والأدبية :

1- تاج العروس : محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ، ت 1205 هـ ، تح ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د ت .

2- جمهرة اللغة : ابن دريد الأزدي ، ت 321 هـ ، تح ، رمزي بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1987 م .

3- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل الجوهري ، ت 393 هـ ، تح ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، ط 4 ، 1407 هـ ، 1987 م .

4- لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ط 1 ، د ت .

5- الكليات : (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تح ، عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419 هـ ، 1998 م .

6- المحكم والمحيط الأعظم : ابن سيدة المرسي ت 458 هـ ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 م .

7- مختار الصحاح : زين الدين الرازي ت 721 هـ ، تح ، يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، ط 5 ، 1420 هـ ، 1999 م .

8- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس ، ت 770 هـ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د ت .

9- معجم العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175 هـ ، تح ، مهدي المخزومي ، إبراهيم السمرائي ، دار ومكتبة الهلال ، د ت .

10- المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1994م .
11 ـ معجم لسان المحدثين : محمد خلف سلامة، الموصل ،2007 م .
12 معجم اللغة العربية المعاصرة :أحمد مختار عبد الحميد عمر ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008 م .
13 معجم المؤلفين : عمر كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، مكتبة المثنى ، بيروت ، د ت .
14 معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة ، كامل المهندس، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 2 ، 1984 م .
15 المعجم المفصل في الأدب : محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1419 هـ 1999 م .
16 المعجم المفصل في العروض والقافية : إيميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1411 هـ ، 1991 م .
17 معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1418 هـ .
18 المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، ط 4 ، 1425هـ ، 2004 م ـــ أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، تح ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة .
19 المفصل في صناعة الإعراب : الزمخشري ، تح ، علي بوملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط 1 ، 1993 م .

خامسًا : كتب التراجـــــــــــم :

1. أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ت 630 هـ ، تح ، علي معوض ، وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1415 هـ ، 1994 م .

2 ـــ الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 15 ، 2002 م .

3 ــ الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، تح ، عادل عبد الموجود ، وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1415 هـ .

4 ــ جامع البيان في تأويل القرآن : ابن جرير الطبري ، تح ، أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 1420 هـ ، 2000 م .

5 ــ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة : إسماعيل الجوهري ، تح ، أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د ت .

6 ــ السيرة النبوية : ابن هشام ، شركة القدس للشر والتوزيع ، القاهرة ، مج 1ــ2 ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008 .

7 ــ فوات الوفيّات : محمد بن شاكر بن هارون : تح ، إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ،1993 م .

معجم الأدباء الإسلاميين، أحمد الجدع، القسم 920 (التراجم والأعلام) دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، 2015 م .

8- معجم أعلام شعراء المدح النبوي : محمد أحمد درنيقة ، تقديم ، ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال ، ط 1 ، د ت .

9 ــ معجم البلدان : ياقوت الحموي ، تح ، إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1993 م .

10- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين .http://www.ahlalhdeeth.com

11- معجم الشعراء العرب : أبوعبد الله بن محمد المرزباني ،ت 348 هـ ، تصحيح وتعليق ، ف. كرنكو ، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2 ، 1402 هـ ، 1982م .

12 ــ معجم شعراء منذ عصر النهضة : إيميل بديع يعقوب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ،1425 هـ ،2004 م .

13 ــ معرفة الصحابة : أبو نعيم الأصبهاني ، تح ، عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ن الرياض ، ط 1 ، 1419 هـ ، 1998 م .

14 ــ الوافي بالوفيّات : صلاح الدين الصّفدي ، تح ، أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ ، 2000 م .

15 ـ وفيّات الأعيان : ابن خلّكان ، تح ، إحسان عباس ، دار صادر، بيروت .

سادسًا : كتـــــب الأدب :

1. ــ أبيات مختارة : عبد الله البوصيري ، مطابع الحميضي ، القاهرة ، ط 1 ، 1422 هـ 2001 م .
2. أحسن ما سمعت : أبو منصور الثعالبي ، تح ، خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421 هـ ، 2000 م .
3. أخبار القضاة : أبوبكر محمد بن خلف الملقب بوكيع ، شرح وتعليق وتصحيح ، عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط 1 ، 1366 هـ ، 1947 م .
4. أدباءٌ مكرمون :غازي الجندلي شاعراً (دراسات وشهادات ونماذج من شعره) منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2002 .
5. أدب الأطفال وثقافة الطفل : عبد الفتاح شحدة أبو معال ، جامعة القدس المفتوحة ، القاهرة ، 2008 .
6. أدب الأطفال وثقافته : مريم سليم ، دار النهضة العربية بيروت ، ط1 ، 1422 هـ ، 2001 م .
7. ــ أدب الطفل العربي : (دراسات وبحوث) حسين شحاتة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط 2 ، 2000 م .
8. ــ الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط 1 ، 1979 م .
9. ــ أساليب بلاغية (الفصاحة والبلاغة والمعاني) أحمد مطلوب الرفاعي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1980 م .

10 ـ الأسس الجمالية في النقد العربي : عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1412 هـ 1992 م .

11 ــ أسس النقد العربي عند العرب : أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط 3 ، 1964 م .

12 ــ أشكال التناص : أحمد مجاهد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1998 م .

13 ــ أصول التربية الإسلامية وأساليبها في بناء الأسرة والمجتمع : عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، بيروت ، 1979 م .

14 ــ أصول التربية في الإسلام : القاضي سعيد إسماعيل ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2002 م .

15 ــ أبو العتاهية أخباره وأشعاره : تح ، شكري فيصل ، دار الفلاح للطباعة والنشر ، مطبعة جامعة دمشق ، 1384 هـ ، 1965 م .

17 ــ الأعمال الشعرية الكاملة : يوسف العظم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، 2002 م .

18 ــ الأمالي في لغة العرب ، أبو علي القالي ، وضع وترتيب ، محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، ط 2 ، 1344 هـ 1926 م .

19 ــ أمثال العرب : المفضل الظبي ، تح ، إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1401 هـ 1981 م .

20 أنوار الربيع في أنواع البديع : صدر الدين معصوم المدني ، تح ، وترجمة ، شاكر هادي شاكر، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط 1 ، 1388 هـ ، 1968 م .

21 ــ أهدى سبيل إلى علمي الخليل : محمود مصطفى ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، 1423 هـ 2002 م .

22 ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام ، تح ، يوسف البقاعي ، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت .

23 ــ الإبانــة فــي اللغــة العربيــة : أبــو المنــذر بــن مســلم العــوتبي ، تــح ، مجموعــة مــن المحققــين ، وزارة التــراث القــومي والثقافــة ، مســقط ، ســلطنة عُمَــان ، ط 1 ، 1420 هــ ، 1999 م .

24 ــ الاتجاهـات الأدبيــة فــي العــالم العربــي الحــديث : أنــيس الخــوري ، دار العلــم للملايــين ، بيروت ، ط 2 ، 1960 م .

25 ــ اتجاهـات الشـعر العربــي المعاصــر : احســان عبــاس ، المجلــس الــوطني للثقافــة والفنــون والآداب ، الكويت ، ط1 ، 1978م .

26 ــ الإتقـان فــي علــوم القــرآن : جــلال الــدين الســيوطي ، تــح ، محمــد أبــو الفضــل إبــراهيم ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ط 3 ، 1405 هـ .

27 ــ الإحكـام فــي أصــول الأحكــام : أبــو الحســن الآمــدي ، تــح ســعيد الجميــل ، دار الكتــاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1404 هـ .

28 ـ إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي : دار المعرفة ، بيروت ، د ت .

29 ــ اســتدعاء الشخصــيات التراثيــة : زايــد علــي عشــري ، دار الفكــر العربــي ، القــاهرة ، 1997 م .

30 ــ الاســتيعاب فــي معرفــة الأصــحاب : يوســف النمــري ، تــح ، علــي محمــد البيجــاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1412 هـ ، 1992م .

31 ــ الإســلام فــي شــعر شــوقي : أحمــد الحــوفي ، المجلــس الأعلــى للشــؤون الإســلامية ، مصر،1972م .

32 ــ الإشــارات الإلهيــة : أبــو حيّــان التوحيــدي ، تــح ، عبــد الــرحمن البــدوي ، دار الثقافــة ، بيروت ، 1973 م .

33 ــ إليــوت الشــاعر الناقــد : ف أ ماشيســن ، ترجمــة ، إحســان عبــاس ، المطبعــة العلوية ، بيروت ، 1965 م .

34 ــ إنبــاه الــرواة علــى أنبــاه النحــاة : جمــال الــدين بــن يوســف القفطــي ، ت 646هـ ، تــح محمــد أبــي الفضــل إبــراهيم ، دار الفكــر العربــي ، القــاهرة ، ط 1 ، 1406 هـ ، 1982 م .

35 ــ إنتاج الدلالة الأدبية : صلاح فضل ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ،1987 م .

36 ــ الانتفاضة : مقدمات ــ وقائع ــ تفاعلات ــ آفاق ــ عبد الرحمن أسعد ، والزور نواف ، مؤسسة الأبحاث العربية ، لبنان ،1989 م

37 ــ الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تح ، بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1419 هـ 1998 م .

38 ــ البداية والنهاية : إسماعيل بن كثير القرشي ، تح ، علي شيري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1408 هـ 1988 م ، ج 9 .

39 ــ البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1979 م .

40 ــ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، ت 794 هـ ، تح ، محمد أبي الفضل إبراهيم دار التراث القاهرة ، ط 2 ،1957 م .

41 ــ بلاغات النساء : أبو الفضل أحمد بن طيفور ، صححه وشرحه ، أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة ، 1326 هـ ، 1908 م .

42 ــ البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني : دار القلم دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط 1 ، 1416 هـ ، 1996 م .

43 ــ بهجة المجالس وأنس المجالس ، ابن عبد البر ، تح ، محمد الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1981 .

44 ــ تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمة ، عبد الحليم النجار ، دار المعارف، القاهرة ، ط 5 ، 1955 م .

45 ــ تاريخ الأمم والملوك : ابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1407 هـ ، ج 8 .

46 ـ تاريخ الأندلس : أرسلان شكيب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ط ، 1983 م .

47 ــ تاريخ إربل : ابن المستوفي ، تح ، سامي بن سيد الصفار ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1980م .

48 ــ تـاريخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير والأعـلام : شـمس الـدين الـذهبي ، تـح ، عمـر عبـد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1413 هـ ، 1993 م .
49 ـ التحرير الأدبي : حسين علي حسين ، مكتبة العبيكان ، ط 5 ، 1425 هـ 2004م.
50 ــ التحريـر والتنـوير : محمـد الطـاهر بـن عاشـور ، الـدار التونسيـة للنشـر ، تونـس ، 1984 م .
51 ــ التـذكرة الحمدونيـة : محمـد بـن الحسـن بـن حمـدون ، دار صـادر ، بيـروت ، ط 1 ، 1417 هـ .
52 ــ التربيـة بالترغيـب والترهيـب : عبـد الـرحمن الـنحلاوي ، دار الفكـر ، دمشـق ، 2006 م .
53 ــ تشـريح الـنص : (مقاربـات تشـريحية لنصـوص شـعرية معاصـرة) عبـد الله الغـدامي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط 2 ، 2006 م .
54 ــ تشـريح النقـد : تـوثروب تـراي ، ترجمـة وتقـديم ، محـي الـدين صـبحي ، الـدار العربيـة للكتاب ، طرابلس ، ليبيا ، د ط ، 1991م .
55 ــ التصـوير الشـعري رؤيـة نقديـة لبلاغتنـا العربيـة : عـدنان حسـين قاسـم ، الـدار العربيـة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 م .
56 ــ التصـوير الفنـي فـي القـرآن الكـريم : سـيد قطـب ، دار الشـروق ، بيـروت ، ط 8 ، 1983 م .
57 ــ تطـور الأدب الحـديث فـي مصـر : أحمـد عبـد المقصـود هيكـل ، دار المعـارف ، القاهرة، ط 6 ، 1964 م .
58 ـ التعبير القرآني : فاضل السمرّائي ، دار عمّان ، الاردن ، ط 6 ، 2009 م .
59 ــ التعريفـات : الشـريف الجرجـاني ، تـح ، جماعـة مـن العلمـاء بإشـراف الناشـر ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 1403 هـ، 1983 م .
60 ــ التكملـة لكتـاب الصـلة : ابـن الأبـار ، تـح ، عبـد السـلام الهـراس ، دار الفكـر للطباعـة ، لبنان ، ط 1 ، 1415 هـ 1995 م ج 2 .
61 ــ التلخـيص فـي علـوم البلاغـة : جـلال الـدين القزوينـي، شـرح ،عبـد الـرحمن البرقـوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط 1، 1904 م .

62 ــ التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي ، تح ، محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط 1 ، 1410 هـ 1990 م ، ج 1 .

63 ــ تيار الوعي في الرواية الحديثة : روبرت همفري ، ترجمة ، محمد الربيعي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، د ت .

64 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : عبد الرحمن السّعدي، تح ، عبد الرحمن اللّويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 1420 هـ ، ج 1 .

65 ــ جامع الدروس العربية : مصطفى بن سليم الغلاييني ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط 28 ، 1414 هـ ، 1993 م .

66 ــ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور: ابن الأثير، تح ، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي ،1375 هـ .

67 ــ الجذوع والأنساغ : دراسات نقدية في جديد القصيدة العربية المعاصرة ، خالد كنوز ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط 1 ، 1430 هـ ــ 2009 م .

68 ــ جماليات المكان : غاستون باشلار ، ترجمة ، غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط 2 ، 1984 م .

69 ــ جمالية الخبر والإنشاء : (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2005 م .

70 ــ الأمثال : أبوهلال العسكري ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت 1988 م

71 ــ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة : أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د ت .

72 ــ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : أحمد الهاشمي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، د ت .

73 ــ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد الهاشمي ، ضبط وتدقيق وتوثيق ، يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د ت .

74 ــ الحلــة السّــيراء : محمــد عبــدالله القضــاعي ، تــح ، حســني مــؤنس ، دار المعــارف ، القاهرة ، 1985 م .

75 ــ الحماســة المغربيــة : أبــو العبــاس أحمــد بــن عبــد الســلام الجــراوي التــادلي ، تــح ، محمــد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط 1 ، 1991 م .

76 ــ الحــوار فــي القصــة والمســرحية : طــه عبــد الفتــاح ، دار النشــر للطباعــة ، مصــر 1975 م.

77 ــ الخصــائص : ابــن جنــي ، تــح ، محمــد علــي النجــار ، دار الشــؤون الثقافيــة العامــة ، بغداد ، ط 4 ، 1990 م .

78 ــ الخطيئــة والتفكيــر مــن البنيويــة إلــى التشــريحية : عبــد الله الغــدامي ، النــادي الثقــافي الأدبي ، جدة ، السعودية ، 1985 م .

79 ــ دســتور العلمــاء: (جــامع العلــوم فــي اصــطلاحات الفنــون) القاضــي عبــد النبــي الأحمــد نكــري ، عــرّف عباراتــه الفارســية، حســن هــاني فحــص، دار الكتــب العلميــة ، بيــروت، ط 1 ، 1421 هـ 2000 م .

80 ــ دلائــل الإعجــاز : عبــد القــاهر الجرجــاني ، قــرأه وعلــق عليــه ، محمــود محمــد شــاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، ط3 ، 1413 هـ ، 1992 م .

81 ــ الــدلائل فــي غريــب الحــديث : قاســم ثابــت الرقســطي ، تــح ، محمــد بــن عبــد الله القنــاص ، مكتبية العبيكان ، ط 1 ، 1422 هـ ، 2001 م.

82 ــ دلالــة التراكيــب : دراســة بلاغيــة ، محمــد محمــد أبــو موســى ، مكتبــة وهبــة ، القــاهرة ، ط 1 ، 1979.

83 ــ الرســائل : الجــاحظ ، تــح ، عبــد الســلام هــارون ، مكتبــة الخــانجي ، القــاهرة ، 1384 هـ .

84 ــ الــرفض ومعانيــه فــي شــعر المتنبــي : يوســف الحداشــي ، الــدار العربيــة للكتــاب ، تــونس ، د ط ، 1984 م .

85 ــ الرمــز والرمزيــة فــي الشــعر العربــي المعاصــر : محمــد فتــوحي أحمــد ، دار المعــارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1987 م .

86 ــ الرمزيــة فــي الأدب العربــي : أنطــوان غطــس كــرم ، الكشــاف للنشــر والتوزيــع ، بيــروت ، 1949م .

87 ــ الــروض المعطــار فــي خبــر الاقطــار: محمــد عبــد المــنعم الحميــري ، تــح ، إحســان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط 2 ، 1980 م .

88 ــ روضــة الفصــاحة : أبــوبكر الــرّازي ، تــح ، خالــد الجبــر ، دار وائــل للنشــر ، عمّــان ، الأردن ، ط1 ،2005 م .

89 ـ سخرية الرفض وتهكم الاحتجاج : سيد عشماوي ، جامعة القاهرة ، 200م .

90 ــ ســرور الــنفس بمــدارك الحــواس الخمــس : أبــو العبــاس أحمــد التيفاشــي ، تــح ، إحســان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط 1 1980 م .

91 ــ ســير أعــلام النــبلاء : شــمس الــدين الــذهبي ، تــح ، مجموعــة مــن المحققــين بإشــراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 3 ، 1405 هـ 1985 م .

92 ــ الســيرة النبويــة والــدعوة فــي العهــد المكــي : أحمــد محمــد غلــوش ، مؤسســة الرســالة ، بيروت ، ط 1 ، 1424 هـ ، 2003 م ، ج 1 .

93 ــ الشــاعر والتــراث (دراســة فــي علاقــة الشــاعر العربــي بــالتراث) : مــدحت الجيّــار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنش، الإسكندرية، د ت .

94 ــ الشــامل فــي طــرق تــدريس الأطفــال : محمــد بــن محمــد العبــد الله ، دار المنــاهج للنشــر والتوزيع ، عمّان ، ط 1 ، 2013 م .

95 ــ شــرح ديــوان الحماســة : أبــو علــي محمــد المرزوقــي الأصــفهاني ، تــح غريــد الشــيخ ، وضــع فهارســه ، أبــراهيم شــمس الــدين ، دار الكتــب العلميــة ، بيــروت ، ط 1 ، 1424 هـــ 2003 م .

96 ــ شــرح شــعر المتنبــي : إبــراهيم الإفليلــي ، تــح ، مصــطفى عليّــان ، مؤسســة الرســالة ، بيروت ، ط 1 ، 1412 هـ ، 1992 م .

97 ـ شعر الأطفال : عبد التواب يوسف ،الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، د ط ، د ت.

98 ــ الشــعر العــذري فــي ضــوء النقــد العربــي الحــديث : (دراســة فــي نقــد النقــد) ، محمــد بلوحي ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2002 م .

99ـــ الشـــعر العربـــي المعاصـــر : عـــز الـــدين إســـماعيل ، دار الكتـــب العلميـــة ، ط 3 ،1981م.

100ــ الشـعر كيـف نفهمـه ونتذوقـه : إليزابيـت درو ، ترجمـة محمـد إبـراهيم الشـوش ، مكتبة منيمنة ، بيروت ، 1961 م .

101ــ صـبح الأعشـى فـي صـناعة الإنشـاء : أحمـد القلقشـندي ، تـح ، يوسـف علـي طويل ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1987 م .

102ــ الصـبح المنبـي عـن حيثيـة المتنبـي بشـرح العكبـري : يوسـف البـديعي ، المطبعـة العامرة الشرقية ، ط 1 ، 1308 هـ .

103ــ الصـداقة والصـديق : أبـو حيّـان التوحيـدي ، تـح ، إبـراهيم الكيلانـي ، دار الفكـر المعاصر ، بيروت ، ط 1 ، 14019 هـ ، 1998 م .

104ــ الصـناعتين الكتابـة والشـعر: أبـو هـلال بـن عبـد الله بـن سـهل العسـكري ، تـح ، علـي محمـد البيجـاوي ، ومحمـد أبـو الفضـل إبـراهيم ، المكتبـة العصـرية ، بيـروت ، 1406 هـ ، 1986 م .

105ــ الصـورة الأدبيـة فـي القـرآن الكـريم : صـلاح الـدين عبـد التـواب ، الشـركة المصـرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1995م .

106ــ الصـورة الفنيـة فـي التـراث النقـدي والبلاغـي عنـد العـرب : جـابر عصـفور، المركـز الثقافي العربي ، بيروت ، 1974 م .

107 ــ الصـورة الفنيـة فـي الخطـاب الشـعري الجزائـري : عبـد الحميـد هيمـة ، دار هومـة للطباعة والنشر والتوزيع ، بوزريعة ، الجزائر، 2005 م .

108ــ الصـورة الفنيـة ونماذجهـا فـي إبـداع أبـي فـراس : المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنشر ن بيروت ، ط 1 ، 1982 م .

109ــ الصـورة فـي شـعر بشـار بـن بـرد : عبـد الفتـاح صـالح نـافع ، دار الفكـر للنشـر والتوزيع ، عمّان ، 1984م .

110ــ الطفولـة فـي الشـعر العربـي والعـالمي : أحمـد علـي كنعـان ، دار الفكـر ، دمشـق ، 1995 م .

111ــ عزف على وتر النص الشعري : دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية ، عمر محمد الطالب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2006 م .

112ــ علم البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود ، مؤسسة المختار للطباعة والنشر ، القاهرة، ط 2 ، 1998م .

113ــ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : صبحي إبراهيم الفقيه ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة د ط ، د ت .

114ــ علم المعاني : العربي سالم الشريف ، منشورات جامعة السابع من إبريل ، (جامعة الزاوية) د ت .

115ـ علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) :محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ذيب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط 1 ، 2003 م .

116ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ابن رشيق القيرواني ، تح، عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1424 هـ، 2004 م .

117ــ فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب : فلغانغ أيزر ، ترجمة ، عبد الحميد الحمداوي ، وجلال الكدية ، مكتبة المناهل ، فاس ، المغرب د ط ، د ت .

118ــ فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط 3 ، 1968 .

119ــ فلسطين : (سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية) محمود محمد صالح، كوالا لمبور، ماليزيا، ط 1 ، 2002 م .

120ــ فن الشعر : أرسطو ، ترجمة ، إبراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د ت .

121ــ فنون الحوار والإقناع : محمد راشد ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1999 م .

122ــ في تاريخ الأدب الجاهلي : علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، طبعة دار التراث الأول ، 1412هـ ،1991م .

123ــ في سيمياء النص : محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب ، ط 1 ، 1982 م .

124ــ في النحو العربي ــ نقد وتوجيه : مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د ط ، د ت .
125ــ قصة الحضارة : ويليم جيمس ديورانت ، تقديم ، محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1408 هـ ، 1998 م .
126ــ القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي : بشرى الخطيب ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط 1 ، 1990 م .
127ـ قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط5 ، د ت .
128ــ قضايا الشعرية : رومان جاكبسون ، ترجمة ، محمد الوالي ، ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ، 1988 م.
129ــ قضايا النقد الأدبي والبلاغة : محمد زكي العشماوي ، دار الكتاب العربي للطباعة ، الإسكندرية ، 1967 م .
130ــ قواعد النقد الأدبي : لآسل أير كرومبي، ترجمة ، محمد عوض محمد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1944 .
131ـ الكتاب : سيبويه ، تح ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1988 م .
132ــ الكشكول : محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الهمذاني ، تح ، محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ ، 1998 م .
133ــ كنز الكتاب ومنتخب الآداب : أبو إسحاق الفهري ، تح ، حياة قارة ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، 2004 م .
134ـ اللغة والإبداع الأدبي : محمد العبد ، دار الفكر والدراسات ، القاهرة ، د ط ، د ت .
135ـ اللغة واللون : علي أحمد مختار ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 م .
136ــ المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب : ابن الأثير ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1995 م.
137ــ المختار من علوم البلاغة والعروض : محمد علي سلطاني ، دار العصماء ، دمشق، 1427 هـ ، 2008م .
138ــ مختصر المعاني : سعد الدين التفتزاني ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة التصبح ، القاهرة د ت .

139 ــ مـدخل لدراسـة الشـعر العربـي الحـديث : خليـل إبـراهيم ، دار المسـيرة للنشـر ، عمّـان ، الأردن ، ط 1 ، 2003 م .

140ــ المرشـد الـوافي فـي العـروض والقـوافي : محمـد حسـن عثمـان ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ، ط1 ، 1425 هـ ، 2004م .

141ــ المستقصـي فـي أمثـال العـرب : الزمخشـري ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ط 2 ، 1987 م .

142ــ المصـطلح النقـدي فـي التـراث العربـي : محمـد عـزام ، دار الشـرق العربـي ، بيـروت ، د ت .

143ــ مفتـاح العلـوم : أبـو يعقـوب السّـكّاكبي : مطبعـة مصـطفى البـابي الحلبـي وأولاده ، مصر، ط 1 ، 1937 م .

144ــ المفصـل فـي تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام : جـواد علـي ، دار السـاقي ، ط 4 ، 1422 هـ .

145ــ المفضـليات : المفضـل الظبـي ، تـح ، أحمـد محمـد شـاكر ، وعبـد السـلام هـارون، دار المعارف، القاهرة ، ط 6، 1361 هـ، 1942 م

146ــ مفهـوم الشـعر : جـابر أحمـد عصـفور ، المركـز العربـي للثقافـة والعلـوم ، القـاهرة ، 1982 م .

147ــ مقـالات فـي النقـد الأدبـي : ت س إليـوت ، ترجمـة ، لطيفـة الزيـات، دار الجيـل للطباعـة ، مصر ، د ت .

148ــ المقتضـب : أبـو العبـاس المبـرد ، تـح ، محمـد عبـد الخـالق عظيمـة، عـام الكتـب ، بيروت ، د ت .

149ــ المنتقـى مـن دراسـات المستشـرقين (دراسـات مختلفـة) صـلاح الـدين المنجـد ، مطبعـة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1955 م .

150ــ منهـاج البلغـاء وسـراج الأدبـاء : حـازم القرطـاجني ، تـح ، محمـد بـن الحبيـب الخوجـة ، مكتبة دار الكتب الشرقية ، تونس، 1966 م .

151ــ الموازنـة بـين أبـي تمـام والبحتـري : أبـو القاسـم بـن بشـر الآمـدي، تـح ، السـيد أحمـد صقر، دار المعارف ، القاهرة ، ط 4 ، د ت .

152ـ موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان: إعداد ، محمد بن عبد الكريم اللكسنزاني الحسيني ، مكتبة دار الحكمة ، دمشق ، سورية ، 1426 هـ ، 2005 م .

153ـ موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط3 ، 1965م .

154 ـ ميادين العقل العلمي في الفلسفة الإسلامية : علي زيعور ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1، 1421 هـ ، 2001م .

155ـ ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : أحمد الهاشمي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د ت .

156ـ نحو منهج جديد في البلاغة والنقد الأدبي : سناء حميد العبيدي، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ط ، 1998م .

157ـ النظرات : مصطفى لطفي المنفلوطي ، دار الآفاق الجديدة ، ط 1 ، 1402 هـ ، 1982 م .

158ـ نظرية اللغة والجمال في النقد العربي : تامر سلوم ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، اللاذيقية ، ط 1، 1983 م .

159ـ النقد التحليلي التطبيقي : عدنان خالد بن عبد الله ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 م .

162 ـ نقد الشعر: قدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينة ، ط 1 ، 1302 هـ .

160ـ الهجاء والهجّاؤون في الشعر الجاهلي : محمد حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة 1984 م .

161ـ الورد الصافي في علمي العروض والقوافي : محمد حسين إبراهيم عمري ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، الفجيرة ، الإمارات العربية المتحدة ، 1409 هـ 1988 م .

162ـ يوسف العظم شاعر القدس : زكي الشيخ حسين عثمان كتّانة ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط 1 ، 1407 هـ ، 1987 م .

سابعًا : الـدواوين الشـــــــــــعرية :

1 ـ الأعمال الشعرية الكاملة :أحمد مطر، لندن، ط 2، 2001 م .

2 ـ دواوين الشعراء العشرة : صنعه ، محمد فوي حمزة ، مكتبة الآداب ، دار عالم الطباعة ، القاهرة ، ط4 ، 2016 .

3ـ ديوان ابن سهل الأندلسي : تح ، يسرى عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424 هـ 2003 م .

4ـ ديوان ابن مشرف : أحمد بن علي الوهيبي ، مؤسسة مكتبة الفلاح ، الإحساء ، المملكة العربية السعودية ، 2009 م.

5ـ ديوان أبي الفتح البستي : تح ، دريّة الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، 1410 هـ ،1989م .

6ـ ديوان أبي القاسم الشابي : تقديم وشرح ، أحمد حسن نسج ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1426 هـ ، 2005 م .

7ـ ديوان أبي مسلم الرواحي البهلاني: وزارة الثقافة والتراث القومي ، سلطنة عمان ، ط 1 ، 1407 هـ ، 1987 م .

8ـ ديوان أحمد محرّم : ترجمة وتحقيق ، سمير بسيوني ، جزيرة الورد ، القاهرة ، ط 1 ، 2010 م .

9ـ ديوان أمير المؤمنين :علي بن أبي طالب ، شرحه وضبط نصوصه ، عمر فاروق الطّبّاع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت د ت .

10ـ ديوان الإمام الشافعي : اعتنى به ، عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 3 ، 1426 هـ 2005 م .

11ـ ديوان البوصيري: تح ، محمد سيّد كيلاني ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط 1 ، 1374 هـ ، 1955 م .

12ـ ديوان الحطيئة : اعتنى به ، حمدون طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 ، 1426 هـ ، 2005 م .

13ــ ديـوان سـابق البربـري : دراسـة وجمـع وتحقيـق ، بـدر ضـيف ، دار دنيـا الوفـاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2004 م .

14ــ ديـوان عـامر بـن الطفيـل : روايـة أبـي بكـر الأنبـاري ، دار صـادر ، بيـروت 1963 م .

15ــ ديـوان عنتـرة العبسـي : صـنعه : محمـد فـوزي جمعـة ، مكتبـة الآداب ، القـاهرة ، ط 4 ، 2016 م .

16ــ ديـوان مجنـون ليلـي : قـيس بـن الملـوح ، جمـع أبـي بكـر الـوالبي ، تـح ، محمـد إبـراهيم سليم ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، 2005 م .

17ــ ديـوان محمـود الـورّاق : تـح ، وليـد قصّـاب ، دار صـادر ، بيـروت ، ط 1 ، 1422 هـ ، 2001 م .

18ــ شـرح ديـوان علـي محمـود طـه ، تـح ، محمـد نبيـل طريفـي ، دار الفكـر العربـي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2001 م .

19ــ شـرح ديـوان عنتـرة بـن شـداد : محمـد علـي سـلامة ، دار الصـخرة ، القـاهرة ، ط 1 ، 2010 م .

ثامنًا : الرسائـــــل العلميـــة :

1 ــ عناصـر القصـة فـي الشـعر العباسـي : منتصـر عبـد القـادر رفيـق الغضـنفري (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1413 هـ ، 1993 م

تاسعًا : المـــــــجلات

1. لمحـات مـن الشـعر القصصـي فـي الشـعر العربـي : نـوري حمـودي القيسـي ، مجلـة كليـة الآداب ، جامعة بغداد ، مجلد 24 .

2. نداء المخاطبين في القرآن الكريم : أسراره وبلاغته ، علي عبد الواحد وافي ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية، عدد 9 ، 1987م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	1
مهاد نظري	9
المبحث الأول : النصح والإرشاد لغة واصطلاحاً	11
المبحث الثاني : التعريف بالشاعر وثقافته العامة	16
الفصل الأول : مرجعيات النصح عند الشاعر	
المبحث الأول : القرآن الكريم	21
المبحث الثاني : السنة النبوية الشريفة	40
المبحث الثالث : تأثره بالشعراء المبحث الرابع : تجربة الشاعر الذاتية	47 53
الفصل الثاني : اتجاهات النصح عند الشاعر	
المبحث الأول : الترغيب والبشارة	63
المبحث الثاني : الترهيب	82
المبحث الثالث : العتاب	93
الفصل الثالث : النصح وأليات التلقي (مراعاة أحوال المتلقي)	
المبحث الأول : الخطاب الموجه للرجال	104
المبحث الثاني : الخطاب الموجة للمرأة	114
المبحث الثالث : الخطاب الموجه للأطفال	124
المبحث الرابع : الخطاب الموجه للخارجين عن رأي الجماعة	133
الفصل الرابع : أساليب النصح	
المبحث الأول : أساليب خبرية	142
المبحث الثاني : أساليب إنشائية	149
المبحث الثالث : القصص	157

المبحث الرابع : الحوار	168
الفصل الخامس : الدراسة الفنية	
المبحث الأول : العاطفة	175
المبحث الثاني : الألفاظ	184
المبحث الثالث : الأسلوب	194
المبحث الرابع : الصورة	208
المبحث الخامس : الإيقاع	221
الخاتمة	244
ثبت المصادر والمراجع	246
فهرس الموضوعات	265